التّعْليمُ المسِيحي
للكِنيسة الكاثوليكية

الجزء الثاني
الاحتفال بالسر المسيحي

لماذا الليتورجيا؟

1066- في قانون الإيمان، تعترف الكنيسة بسر الثالوث الأقدس "وقصد محبته" (أف 1، 9) في شان الخليقة كلها: فالآب يحقق "سر مشيئته بإرساله ابنه الحبيب وروحه القدوس لخلاص العالم ومجد اسمه. ذاك هو سر المسيح الذي كشف وحقق في التاريخ بمقتضى خطة ورسم محكم التنسيق، يسميه القديس بولس "تدبير السر" (أف 3، 9) وسوف يسميه التقليد الأبوي "تدبير الكلمة المتجسد" أو "تدبير الخلاص".

1067- "وهذا العمل الذي كان به الفداء للبشر والتمجيد الأكمل لله، والذي مهدت له العظائم الإلهية في شعب العهد القديم، أتمه السيد المسيح خصوصاً بالسر الفصحي، سر آلامه الحميدة، وقيامته من مثوى الاموات وصعوده المجيد، بالسر الفصحي الذي" قضى فيه على موتنا بموته، وبعث الحياة في حياتنا بقيامته "إذ إنه من جنب المسيح الراقد على الصليب، تفجر السر العجيب، سر الكنيسة بأسرها" ولذا فالكنيسة في الليتورجيا، تحتفل خصوصاً بالسر الفصحي الذي أتم به المسيح عمل خلاصنا.

1068- سر المسيح هذا، تبشر به الكنيسة وتحتفل به في الليتورجيا، ليحيا به المؤمنون ويشهدوا له في العالم:

> "فالليتورجيا، ولا سيما ذبيحة الافخارستيا الإلهية التي بها "يتم عمل فدائنا" تساعد المؤمنين إلى أبعد حد في ان يبينوا ويعلنوا للآخرين، بسيرتهم وهوية الكنيسة الحقيقة ومفهومها الصحيح".

ما معنى لفظة ليتورجيا؟

1069- لفظة "ليتورجيا"، تعني أصلاً "عملاً عمومياً، خدمة من الشعب وللشعب". وهي تعني، في التقليد المسيحي، أن شعب الله يشترك في "عمل الله" بالليتورجيا يتابع المسيح فادينا وعظيم كهنتنا في كنيسته ومعها وبها، عمل فدائنا.

1070- لفظة "ليتورجيا"، في العهد الجديد، درج استعمالها في الدلالة، لا على الاحتفال بشعائر العبادات الإلهية وحسب، بل على البشارة بالإنجيل والمحبة الفاعلة في كل هذه الاحوال نجد إشارة إلى خدمة الله والناس في الاحتفال الليتورجي، تقف الكنيسة خادمة، على صورة ربها "الكاهن الاوحد"، تشاركه الكهنوت (شعائر العبادة) النبوي (البشارة) والملكوي (خدمة المحبة).

> "بحق إذا تعتبر الليتورجيا ممارسة لوظيفة يسوع المسيح الكهنوتية، بهذه الممارسة يتقدس الانسان عبر الرموز الحسية، بنعمة منوطة بكل من هذه الأسرار، وذلك في احتفال ديني متكامل يقوم به جسد يسوع المسيح السري أي رأس الجسد وأعضاؤه. ومن ثم، فكل احتفال

ليترجى، بصفته عمل المسيح الكاهن وعمل الكنيسة جسده، إنما هو ذروة الاعمال المقدسة الذي لا يوازي فاعليته، قيمة ودرجة- أي عمل آخر من اعمال الكنيسة".

الليتورجيا ينبوع حياة

1071- الليتورجيا هي عمل المسيح وهي ايضا عمل كنيسته، انها تحقق وتعلن الكنيسة علامة ظاهرة للشركة القائمة، بالمسيح، بين الله والبشر، وتولج المؤمنين في حياة الجماعة الجديدة، وتفترض لدى الجميع مشاركة "واعية وفاعلة ومثمرة".

1072- "الليتورجيا لا تستغرق كل العمل الكنسي" بل يجب أن يسبقها البشارة والايمان والتوبة، وعندئذ تؤتي ثمارها في حياة المؤمنين وهي الحياة الجديدة في الروح، والتطوع لرسالة الكنيسة وخدمة وحدتها.

الصلاة والليتورجيا

1073- الليتورجيا هي أيضا اشتراك في صلاة المسيح، يرفعها إلى الآب في الروح القدس، فيها تجد كل صلاة مسيحية مصدرها وغايتها. بالليتورجيا يتأصل الانسان الباطن ويتأسس "في الحب العظيم الذي به أحبنا الآب" (أف 2، 4)، في ابنه الحبيب. أنها "آية الله العجيبة" نحياها داخلياً في كل صلاة نرفعها "في الروح في كل وقت" (أف 6، 18).

الكرازة والليتورجيا

1074- "الليتورجيا هي القمة التي يرتقي عليها عمل الكنيسة وهي، إلى ذلك، المنبع الذي تنبع منه كل قوتها" وهي، بالتالي، المكان المميز لإلقاء الكرازة على شعب الله "الكرازة مرتبطة ارتباطاً صميماً بكل عمل ليتورجي واسراري، ففي الأسرار ولا سيما في الافخارستيا، يعمل المسيح يسوع ملء عمله لإصلاح البشر".

1075- هدف الكرازة الليتورجية أن تولج المؤمنين في سر المسيح (الميستاغوجية)، منطلقة من المرئي على اللامرئي، ومن الدال إلى المدلول عليه، ومن "الأسرار إلى الغيوب" هذه الكرازة تدخل في نطاق كتب التعليم الديني المحلية والاقليمية. اما كتاب التعليم الديني هذا فهو في خدمة الكنيسة كلها، بمختلف طقوسها وثقافتها، ويتضمن عرضاً لكل ما هو أساسي ومشترك في الكنيسة في شان الليتورجيا من حيث هي سر واحتفال (القسم الأول)، ثم نأتي على تفصيل الأسرار السبعة واشباه الأسرار (القسم الثاني).

القسم الأول

التدبير الإلهي في حياة الأسرار

1076- يوم العنصرة اظهرت الكنيسة للعالم بفيض من الروح القدس. عطية الروح هذه افتتحت عهدا جديدا "لتعميم السر": إنه زمن الكنيسة، فيه يعلن المسيح عمله الخلاصي ويفعله ويوزعه، من خلال ليتورجيا كنيسته، "إلى أن يأتي" (1 كو 11، 26) على امتداد زمن الكنيسة هذا، يحيا المسيح ويعمل في كنيسته ومع كنيسته بوجه جديد يلائم هذا الزمن الجديد. إنه يعمل بواسطة الأسرار، وهذا ما يسميه التقليد المشترك، في الشرك والغرب، "التدبير الأسراري"، وقوامه "توزيع" ثمار المسيح الفصحي في الاحتفال الكنسي بالليتورجيا "الاسرارية".
من الأهمية إذًا بمكان ان نوضح أولاً "توزيع الأسرار" هذا (الفصل الأول) وهكذا تتضح بأكثر جلاء، طبيعة الاحتفال الليتورجي وملامحه الجوهرية (الفصل الثاني).

الفصل الاول

السر الفصحي في زمن الكنيسة

المقال الأول

الليتورجيا- عمل الثالوث الأقدس

ا. الآب مصدر الليتورجيا وغايتها

1077- تبارك إله ربنا يسوع المسيح وابوه باركنا في المسيح كل بركة روحية في السماوات ذلك بانه اختارنا قبل انشاء العالم لنكون عنده قديسين بلا عيب في المحبة وقدر لنا ان يتبنانا بيسوع المسيح على ما ارتضته مشيئة لحمد نعمته السنية التي انعم بها علينا في الحبيب (أف 1، 3 – 6).

1078- البركة عمل إلهي يفيض الحياة ويصدر من الاب بركته كلمة وعطية معا فاذا طبقت هذه اللفظة على الانسان فمعناها العبادة والتسليم للخالق في الشكر.

1079- من البداية وحتى نهاية الازمان عمل الله كله بركة ابتداء من النشيد الليتورجي في مطلع الخليقة وحتى اناشيد اورشليم السماوية نري الكتاب الملهمين يعلنون قصد الخلاص بركة الهية لا حد لها.

1080- منذ البدء بارك الله الاحياء وبخاصة الرجل والمرأة عهد الله مع نوح ومع جميع الكائنات الحية جدد هذه البركة المخصبة بالرغم مما ارتكبه الانسان من خطيئة امست بها الارض لعنة بيد ان هذه البركة الالهية بدأت منذ ابراهيم تتغلغل في التاريخ البشري الزاحف نحو الموت لتعيده ثانية الى الحياة والى ينبوعه الاول وهكذا بزغ تاريخ الخلاص بقوة ايمان ابي المؤمنين الذي تقبل البركة.

1081- تجلت البركات الالهية عبر احداث عجيبة ومخلصة مولد اسحق النزوح من مصر الفصح والخروج موهبة ارض الميعاد اختيار داود حضور الله في الهيكل المنفي المطهر وعودة البقية الباقية ان الناموس والانبياء والمزامير التي تحبك ليتورجيا الشعب المصطفى تذكر بهذه البركات الالهية كما انها تصدي لها بتبريكات حمد وشكر.

1082- في ليتورجيا الكنيسة تتجلّى البركة الالهية تجليا كاملا وتوزع على المؤمنين. فالآب يعلن فيها بوصفة مصدرا وغاية لكل بركات الخليقة والخلاص انه يغمرنا ببركاته بكلمته الذي تجسد ومات وقام لأجلنا وبه يفيض في قلوبنا العطية التي تحوي كل العطايا أي الروح القدس.

1083- بتنا نفهم الان الليتورجيا المسيحية في بعديها فهي استجابة ايمان وحب للبركات الروحية التي يمن بها الاب علينا فمن جهة نري الكنيسة متحدة بربها وبدافع من الروح القدس تبارك الاب على هبته التي لا توصف (2 كو 9، 15) عابدة حامدة شاكرة ومن جهة اخري وحتي انقضاء قصد الله لا تني الكنيسة تقرب للاب قربان عطاياها وتتضرع الية ليرسل الروح القدس على هذا القربان وعليها وعلى المؤمنين وعلى العالم اجمع لكي تؤتي هذه البركات الالهية بالاشتراك في موت المسيح الكاهن وقيامته وبقدرة الروح ثمار حياة لحمد نعمته السنية (أف 1، 6).

II. عمل المسيح في الليتورجيا

المسيح الممجد

1084- ان المسيح "الجالس الى يمين الآب" والمفيض الروح القدس على جسده أي الكنيسة يعمل بواسطة الاسرار التي اقامها لتوزيع نعمته الاسرار هي علامات حسية (كلمات واعمال) قريبة المنال لبشريتنا في وضعها الراهن تحقق فاعلية النعمة التي ترمز اليها بقوة عمل المسيح وقدرة الروح القدس.

1085- في ليتورجيا الكنيسة يعبر المسيح خصوصا عن سره الفصحي ويحققه. لقد كان المسيح في غضون حياته الارضية يعلن سره الفصحي بتعليمه ويستبق حدوثة بأعماله فعندما حانت ساعته اختبر الحدث التاريخي الاوحد الذي لا يطويه زمان لقد مات يسوع وقبر وقام من بين الاموات وجلس الى يمين الاب مرة واحدة (روم 6، 10؛ عب 7، 27؛ 9، 12) انه حدث حقيقي طرأ على تاريخنا ولكنه حدث فرد: كل ما سواه من احداث التاريخ يحدث مرة ثم يعبر ويبتلعه الماضي واما سر المسيح الفصحي فلا يمكن ان يتلبث فقط في الماضي لان المسيح بموته اباد الموت ولان المسيح كله بهويته وبكل ما صنعه وكابده في سبيل الناس اجمعين يشترك في الابدية الالهية ويشرف هكذا على جميع الازمان ويظل فيها حاضرا. ان حدث الصليب والقيامة يدوم ويجتذب إلى الحياة كل شيء.

منذ عهد كنيسة الرسل

1086- "كما أن المسيح أرسله الآب، أرسل هو تلاميذه وقد ملأهم الروح القدس كارزين بالإنجيل للخليقة كلها، لا ليبشروا فقط بأن ابن الله حررنا بموته وبقيامته، من سلطان إبليس ومن الموت ونقلنا إلى ملكوت ابيه، بل لينهضوا بهذا العمل الخلاصي الذي بشروا به، وذلك بالذبيحة والأسرار التي تدور حولها الحياة الليتورجية بكاملها".

1087- هكذا عندما وهب المسيح القائم من القبر الروح القدس لتلاميذه، وكل إليهم سلطان التقديس: فأصبحوا علامات المسيح السرية، وبقدرة هذا الروح القدس عينه، فوضوا هذا السلطان إلى خلفائهم. هذه "الخلافة الرسولية" هي قوام كل الحياة الليتورجية في الكنيسة، وهي نفسها تحمل الطابع الأسراري، لأنها تنتقل بواسطة سر الكهنوت.

حاضر في الليتورجيا الارضية

1088- "للقيام بعمل عظيم كهذا"- أي لتعميم العمل الخلاصي وإيصاله- "لا ينفك المسيح حاضراً إلى جانب كنيسته ولا سيما في الاعمال الليتورجية. إنه حاضر في ذبيحة القداس، وفي شخص خادم السر. "فالذي يقدم الآن على يد الكهنة هو الذي قدم ذاته على الصليب حينذاك"، وبأعلى درجة تحت أشكال الافخارستيا. إنه حاضر بقوته في الأسرار، فإذا عمد أحد، كان المسيح نفسه هو المعمد، وهو حاضر في كلمته، لأنه هو المتكلم عندما تقرأ الكتب المقدسة في الكنيسة. وهو حاضر أخيراً عندما تصلي الكنيسة، وترتل المزامير، لأنه هو الذي وعد قائلاً: "حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، فأنا أكون هناك فيما بينهم" (متى 18، 20)".

1089- "وللقيام فعلاً بهذا العمل العظيم الذي يتمجد به الله أكمل تمجيد، ويتقدس البشر، يتعاون المسيح دائماً وكنيسته، عروسه الحبيبة، التي تبتهل إليه على أنه سيدها، وبه تؤدي العبادة إلى الآب الأزلي".

الذي يشترك في الليتورجيا السماوية

1090- "في الليتورجيا الأرضية، يكون اشتراكنا استعجالاً لتذوق الليتورجيا السماوية التي نسعى إليها في ترحالنا، والتي يحتفل بها في أورشليم المدينة المقدسة حيث يجلس المسيح إلى يمين الله خادماً للأقداس والمسكن الحقيقي، وحيث- مع جميع اجناد الجيش العلوي ننشد للرب نشيد المجد. وأننا ننتظر سيدنا يسوع المسيح مخلصاً لنا، إلى أن يتجلّى، هو حياتنا، ونتجلّى نحن معه في المجد".

III. الروح القدس والكنيسة في الليتورجيا

1091- الروح القدس، في الليتورجيا، هو الذي يثقف إيمان شعب الله وهو الذي يصنع "روائع الله"، أعني بها اسرار العهد الجديد. إن رغبة الروح وعمله في قلب الكنيسة هما ان نحيا حياة المسيح الناهض. وعندما يلقى فينا جواب الإيمان الذي هو باعثه، يتم تعاون حقيقي، به تصبح الليتورجيا عملاً مشتركاً بين الروح القدس والكنيسة.

1092- في هذه الطريقة التي يتم فيها توزيع سر المسيح عبر الأسرار، يعمل الروح القدس نفس عمله في سائر ازمنة التدبير الخلاصي: فهو يعد الكنيسة للقاء سيدها، ويعيد ذكرى المسيح ويعلنه لإيمان الجماعة، ويجعل سر المسيح، بقدرته المحولة، حاضراً لدينا ومزامناً لنا، وبما أنه روح الشركة فهو يضم الكنيسة إلى حياة المسيح ورسالته. الروح القدس يعدنا لاستقبال المسيح.

1093- إن الروح القدس يحقق، من خلال التدبير الأسراري، رموز العهد القديم. فالكنيسة قد "هيئت بوجه عجيب، بتاريخ شعب اسرائيل وفى العهد القديم" ومن ثم فليتورجيا الكنيسة تحتفظ بعناصر من شعائر العهد القديم، وتتبناها جزءا مكملاً لا بديل منه:

. أهمها قراءة العهد القديم

. صلاة المزامير

. وخصوصاً ذكرى الأحداث المخلصة والحقائق المغزوية التي تحققت في سر المسيح (الوعد والعهد، الخروج والفصح، الملكوت والهيكل، المنفى والعودة).

1094- هذا التناغم بين العهدين هو المحور الذي تدور حوله كرازة الرب الفصحية ثم كرازة الرسل والآباء من بعده. هذه الكرازة تكشف ما كان مطوياً في حرفية العهد القديم، أعني به سر المسيح، وتعرف بالكرازة "الإيمانية"، لأنها تكشف جدة المسيح انطلاقاً من "النماذج" التي اومأت إليها في الاحداث والاقوال والرموز المتضمنة في العهد الاول هذه القراءة الجديدة للعهد القديم في روح الحقيقة، ومن منطلق المسيح تكشف القناع عن الرموز فالطوفان وفلك نوح هما رمز الخلاص بالمعمودية، وكذلك الغمامة واجتياز البحر الأحمر والماء المتفجر من الصخرة، كلها ترمز الى مواهب المسيح الروحية، كما يرمز من الصحراء الى الافخارستيا "الخبز الحقيقي النازل من السماء" (يو 6، 32).

1095- ولذا، فالكنيسة ولا سيما في الزمن الإعدادي للميلاد، وفى فترة الصوم وخصوصاً في ليلة الفصح، تقرأ وتعيش ثانية هذه الاحداث الكبرى في تاريخ الخلاص في "آنية" ليتورجيتها ولكن في ذلك ما يوجب على الكارز ان يساعد المؤمنين في الانفتاح على هذا الفهم "الروحي" لتدبير الخلاصي كما تعلنه ليتورجيا الكنيسة وتمكننا من ان نعيشه.

1096- الليتورجيا اليهودية والليتورجيا المسيحية. وقفنا أفضل على إيمان الشعب اليهودي وحياته الدينية، كما يعلنهما ويمارسهما حتى اليوم، قد يساعدنا في فهم بعض ملامح الليتورجيا المسيحية ففي نظر اليهود كما في نظر المسيحين، الكتاب المقدس هو جزء جوهري في ليتورجيتهم، لإعلان كلمة الله وامتثال هذه الكلمة ولتأدية صلاة التسبيح والاستشفاع للأحياء والاموات، واللجوء الى رحمة الله ليتورجيا الكلمة، في هيكلتها الذاتية، تمتد جذورها الى الصلاة اليهودية. صلاة الساعات

وغيرها من النصوص والصيغ الليتورجية لها ما يوازيها في الصلاة اليهودية، وكذلك التعابير التي يعتمدها اجل ما لدينا من صلوات ومنها صلاة "الأبانا" الصلوات الافخارستية تستوحي، هي ايضا، نماذج من التقليد اليهودي. العلاقة بين الليتورجيا اليهودية والليتورجيا المسيحية، وكذلك الفرق بين محتواهما، نلاحظهما خصوصاً في اعياد السنة الليتورجية الكبرى، كعيد الفصح مثلاً. فالمسيحيون واليهود يحتفلون بالفصح. فصح التاريخ، المشدود إلى المستقبل عند اليهود، والفصح الناجز بموت المسيح وقيامته عند المسيحين، مع الترقب الدائم لانقضائه الحاسم.

1097- في ليتورجيا العهد الجديد، كل عمل ليترجى، ولا سيما الاحتفال بالافخارستيا والأسرار، هو لقاء بين المسيح والكنيسة. وتستمد الجماعة الليتورجية وحدتها من "شركة الروح القدس" الذي يجمع أبناء الله في جسد المسيح الواحد، متخطية الانسجام البشري والعرقي والثقافي والاجتماعي.

1098- على الجماعة ان تتهيأ للقاء ربها، وتكون "شعباً مستعداً" إستعداد القلوب هذا هو العمل الذي يشترك فيه الروح القدس والجماعة ولا سيما خدمتها، نعمة الروح القدس تعمل على إيقاظ الإيمان وتوبة القلب وامتثال إرادة الآب. هذه الاستعدادات يفترض قيامها تمهيداً لتقبل النعم الأخرى المعطاة في الاحتفال نفسه، ولثمار الحياة الجديدة التي ستؤتيها لأحقاً.

الروح القدس يذكر بسر المسيح

1099- الروح والكنيسة يتعاونان في اعلان المسيح وعمله الخلاصي في الليتورجيا فالليتورجيا هي تذكار سر الخلاص في الافخارستيا خصوصا وفي سائر الاسرار قياسا الروح القدس هو في الكنيسة ذاكرتها الحية

1100- كلام الله يذكر الروح القدس الجماعة الليتورجية اولا بفحوى الحدث الخلاصي فيضفي حياة على كلام الله المعلن ليكون موضوع قبول وحياة:

> "للكتاب المقدس في احتفالات الليتورجيا أهمية كبيرة جدّا فمنه النصوص التي تتلى وتفسر في العظة ومنه المزامير التي ترتل ومن وحيه ودفقه تنهل الصلوات والادعية والاناشيد الطقسية ومنه تستقي الاعمال والرموز معانيها".

1101- الروح القدس هو الذي يهب القراء والسماع كلا بحسب استعدادات قلبه ان يفهموا كلام الله فهما روحيا فمن خلال الاقوال والاعمال والموز التي تؤلف حبكة الاحتفال يضع الروح القدس المؤمنين والخدمة في علاقة حية بالمسيح كلمة الاب وصورته لكي يفرغوا في حياهم معنى ما يسمعونه ويتأملونه ويفعلونه في الاحتفال.

1102- كلمة الخلاص هي التي تغذي الايمان في قلوب المسيحين وهي التي تلد وتنمي شركة المسيحيين ولا تقتصر البشارة بكلمة الله على التعليم بل تستدعي جواب الايمان اذعانا والتزاما لإقامة العهد بين الله وشعبة والروح القدس هو الذي يهب ايضا نعمة الايمان ويقويها وينميها في الجماعة وما الاجتماع الليتورجي الا شركة في الايمان قبل أي شيء اخر.

1103- الاستذكار الاحتفال الليتورجي يعيدنا دوما الى تدخلات الله الخلاصية في التاريخ فالمكاشفة الالهية تتم بواسطة اعمال اجراها الله وأقوال ساقها وكلاهما وثيق الارتباط فالأقوال تشيد بالأعمال وتساعد في استشفاف السر المكنون فيها في ليتورجيا الكلمة يذكر الروح القدس الجماعة بكل ما صنعة المسيح لأجلنا ففي كل احتفال وفقا لطبيعة الاعمال الليتورجية والتقاليد الطقسية المرعية في الكنائس، نأتي على "ذكر" عظائم الله في صلاة "تذكارية" على قليل او كثير من الإسهاب. والروح القدس الذي يوقظ هكذا ذاكرة الكنيسة، يبعث فيها عندئذ مشاعر الشكر والحمد (الذوكسولوجيا).

الروح القدس يجعل سر المسيح آنياً

1104- لا تكتفي الليتورجيا المسيحية بأن تعيد إلينا ذكرى الأحداث التي خلصتنا، بل تجعلها آنية حاضرة. سر المسيح الفصحي نحتفل به ولا نكرره. فالاحتفالات هي التي تتكرر، وفى كل منها يحل فيض الروح القدس، ويجعل من السر الأوحد حدثاً آنياً.

1105- الاستعداد، هو الصلاة التي يضرع بها الكاهن إلى الله ان يرسل الروح القدس لكي يحول القرابين إلى جسد المسيح ودمه، ولكي يصير المؤمنين الذين يتناولون منها قربانا حياً لله.

1106- تحتل صلاة الاستدعاء مع صلاة الاستذكار مكان القلب في كل احتفال بالأسرار، ولا سيما سر الافخارستيا:

"تتساءل كيف يصير الخبز جسد المسيح، والخمر (...) دم المسيح؟ أنا أقول لك: إن الروح القدس يهب بغته ويحقق ما يفوق كل كلام وكل فكر (..) وحسبك ان تسمع أن هذا من عمل الروح القدس، كما أن الرب، بذاته وفى ذاته، قد اتخذ جسدا من العذراء القديسة بقوة الروح القدس".

1107- إن قوة التحويل التي يمارسها الروح القدس في الليتورجيا، تسرع مجيء الملكوت، وانقضاء سر الخلاص. وفيما ننتظر ونرجو، يجعلنا الروح القدس نستبق حقا ملء الشركة مع الثالوث الاقدس. وهو الذي ارسله الآب الذي يستجيب "دعاء" الكنيسة، يهب الحياة للذين يستقبلونه، ويكون لهم، منذ الآن، بمثابة "عربون" ميراثهم.

شركة الروح القدس

1108- هدف رسالة الروح القدس، في كل عمل ليترجى، هو إدخالنا في شركة مع المسيح لبناء جسده. فالروح القدس هو بمثابة الماوية في كرمة الآب التي نؤتى الاغصان ثمرها. في الليتورجيا يتحقق التعاون الاوثق بين الروح القدس والكنيسة العظيم، سر الشركة الإلهية الذي يجمع شمل أبناء الله المشتتين. ثمر الروح في الليتورجيا هو، في آن واحد، شركة مع الثالوث الأقدس وشركة أخوية.

1109- صلاة استدعاء الروح القدس من أهدافها أيضا تحقيق ملء اشتراك الجماعة في سر المسيح: "نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله الآب وشركة الروح القدس" (2 كو 13، 13)، يجب ان تظل دائماً معنا وتؤتي ثماراً حتى من بعد الاحتفال الإفخارستي الكنيسة تصلي الى الآب إذًا ليرسل الروح القدس فيجعل من حياة المؤمنين تقدمة حية لله ويحولهم إلى صورة المسيح، ويجعلهم يهتمون بوحدة الكنيسة ويشتركون في رسالتها بشهادة السيرة وخدمة المحبة.

بإيجاز

***1110**- في ليتورجيا الكنيسة نبارك الله الآب ونعبده بوصفه مصدر كل بركات الخليقة والخلاص، التي باركنا بها في ابنه، ليهبنا روح التبني.*

***1111**- عمل المسيح في الليتورجيا يتم من خلال الاسرار، لان سر خلاصه يتحقق فيها بقدرة روحه القدوس، ولان جسده، أي الكنيسة، هو بمثابة سر (علامة وأداة) به يعمم الروح القدس على الناس ثمار سر الخلاص، ولأن الكنيسة المترحلة، من خلال أعمالها الليتورجية، تستبق منذ الآن، طعم الاشتراك في الليتورجيا السماوية.*

***1112**- رسالة الروح القدس في ليتورجيا الكنيسة أن يهيئ للقاء المسيح، وأن يعلن المسيح ويعيد ذكره إلى الجماعة المؤمنة، وان يجعل من عمل المسيح الخلاصي حدثاً حالياً وآنيا بقدرته الباعثة على التحول، وان يثمر عطية الشركة في الكنيسة.*

المقال الثاني
السر الفصحي في اسرار الكنيسة

1113- الحياة الليتورجية في الكنيسة تدور كلها حول الذبيحة الافخارستية والاسرار في الكنيسة أسرار سبعة: المعمودية والتثبيت او الميرون، الافخارستيا، التوبة، مسحة المرضى، الكهنوت، الزواج. في هذا المقال نعالج ما هو مشترك بين اسرار الكنيسة السبعة من الناحية العقائدية. وأما ما هو مشترك بينها من ناحية الاحتفال بها، فسيعرض في الفصل الثاني، وأما ما يخص كلاً منها فسيعالج في القسم الثاني.

I. أسرار المسيح

1114- "في تقيدنا بعقيدة الكتب المقدسة والتقاليد الرسولية (...) وإجماع رأى الآباء"، نعترف "بأن أسرار العهد الجديد قد أنشأها كلها ربنا يسوع المسيح".

1115- إن أقوال يسوع وأعماله مدة حياته المستترة ورسالته العلنية، بات لها، مذ ذاك، فعلها الخلاصي. وكانت بمثابة استباق لقدرة سره الفصحي، وبمثابة إنباء وتمهيد لما كان مزمعاً أن يمن به على الكنيسة عندما يتم كل شيء. إن مكنونات حياة المسيح هي مرتكزات النعم التي بات المسيح يوزعها في الاسرار، على يد خدمة الكنيسة، لن ما كان مرئيًّا في مخلصنا أصبح كامنا في أسراره".

1116- الاسرار هي "القوى التي تخرج" من جسد المسيح، الحي أبداً والمحيي، وهي أيضا أفعال الروح القدس العامل في جسد المسيح أي الكنيسة، وهي اخيراً "روائع الله" في العهد الجديد الأبدي.

II. أسرار الكنيسة

1117- لقد اكتشفت الكنيسة شيئا فشيئاً، بالروح الذي "يرشدها الى الحق كله" (يو 16، 13) هذا الكنز الذي نالته من المسيح، وأوضحت طريقة "توزيعه"، كما فعلت ذلك في تحديد لائحة الكتب المقدسة وعقيدة الإيمان، بصفتها وكيلة اسرار الله. هكذا ميزت الكنيسة، على مدى الاجيال، من بين الاحتفالات الليتورجية التي تحتفل بها، سبعة أسرار، بالمعنى الحصري، انشأها الرب.

1118- الاسرار هي "من الكنيسة" بهذا المعنى المزدوج أنها "بها" و"لها" فالأسرار هي "بالكنيسة"، لأن الكنيسة هي سر عمل المسيح الذي يعمل فيها بالروح القدس المبعوث إليها. وهي "للكنيسة"،

لأن "الأسرار هي التي تصنع الكنيسة": "ولا بدع فهي تعلن للناس وتبلغهم، ولا سيما في الافخارستيا، سر الشركة مع الله المحبة الواحد في ثلاثة أقانيم.

1119- الكنيسة التي تؤلف مع المسيح الرأس "شبه شخص واحد سرى"، تعمل، بواسطة الأسرار، عمل "أسرة كهنوتية"، "مركبة تركيباً عضوياً": فبالمعمودية والتثبيت يصبح الشعب الكهنوتي أهلا لان يحتفل بالليتورجيا، وهناك، من جهة أخرى، مؤمنون "قد اتشحوا بكرامة الكهنوت المقدس، واقيموا ليرعوا الكنيسة، باسم المسيح، بالكلمة ونعمة الله".

1120- الخدمة المرسومة او "كهنوت الخدمة" هي في خدمة الكهنوت العمادي وهي كفيلة بأن المسيح، في الأسرار، هو الذي يعمل بالروح القدس لخير الكنيسة. رسالة الخلاص التي وكلها الآب إلى ابنه المتجسد، وكلت على الرسل وبهم إلى خلفائهم: فهم يتلقون روح يسوع ليعملوا باسمه وفى شخصه. وهكذا فالخادم المرسوم هو الصلة التي تربط، من خلال الأسرار، العمل الليتورجي بما قال الرسل وعملوه، وبواسطتهم بما قاله وعمله المسيح منبع الأسرار ومرتكزها.

1121- الأسرار الثلاثة: المعمودية والتثبيت والكهنوت تولى المؤمن، مع النعمة "طابعاً" اسرارياً أو "خاتما" يشركه في كهنوت المسيح ويجعله جزءاً من الكنيسة وفقاً لأحوال ووظائف متنوعة. هذا التطبع بطابع المسيح والكنيسة الذي يحققه الروح، له اثر لا يمحى، ويرسخ أبداً في المسيحي بمثابة استعداد إيجابي للنعمة، ووعد وضمانه للحماية الإلهية ودعوة على ممارسة العبادة الإلهية وخدمة الكنيسة. ومن ثم فهده الأسرار لا تكرر أبداً.

III. أسرار الإيمان

1122- لقد أرسل المسيح رسله "ليعلنوا باسمه التوبة وغفران الخطايا في جميع الأمم" (لو 24، 47) "أذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (متى 28، 19) رسالة التعميد، وبالتالي رسالة منح الأسرار، متضمنة في رسالة التبشير لأن الاستعداد يتم بكلمة الله والايمان الذي هو انقياد لهذه الكلمة:

> "يجتمع شعب الله أولاً بكلمة الله الحي (...) فلابد لخدمة الاسرار من اعلان الكلمة، وذلك بأننا في صدد اسرار الإيمان، والإيمان تعوزه الكلمة ليولد ويترعرع".

1123- "تهدف الأسرار إلى تقديس البشر وبنيان جسد المسيح وتأدية العبادة لله، وهي، بصفتها علامات، تهدف أيضا إلى التعليم. أنها لا تفترض الإيمان وحسب، ولكنها تغذية أيضا وتقوية وتعبر عنه بالألفاظ والأفعال، ولذا تدعى أسرار الإيمان".

1124- إيمان الكنيسة يسبق إيمان المؤمن المدعو إلى اعتناقه. وعندما تحتفل الكنيسة بالأسرار فهي تعترف بالإيمان الموروث من الرسل. من هنا القول المأثور: "قاعدة الصلاة هي هي قاعدة الإيمان" (أو "قاعدة الإيمان تقرر قاعدة الصلاة"، على حد قول بروسبير الاكيتاني من القرن الخامس). قاعدة الصلاة هي قاعدة الإيمان، ومفاد ذلك أن الكنيسة تؤمن على منوال ما تصلى. الليتورجيا هي إذًا من مقومات التقليد الحي المقدس.

1125- ولذا لا يجوز لأي خادم أو جماعة أن يغيرا أو يحورا على هواهما طريقة الاحتفال بالأسرار. وحتى السلطة العليا في الكنيسة لا يجوز أن تغير الليتورجيا وفق رغبتها بل في طاعة الإيمان وفى شعور من الورع والاحترام لسر الليتورجيا.

1126- وبما أن الأسرار، من جهة أخرى، تعبر عن شركة الإيمان في الكنيسة وتنميتها، فقاعدة الصلاة هي من المقاييس الجوهرية للحوار الهادف إلى إعادة الوحدة بين المسيحيين.

IV. اسرار الخلاص

1127- إن الأسرار، إذا احتفل بها في الإيمان احتفالاً لائقاً، فهي تولى النعمة التي تومي إليها. وهي اسرار فاعلة لأن المسيح نفسه يعمل من خلالها. فهو الذي يعمد، وهو الذي يفعل الأسرار ويمنح بها النعمة التي تدل عليها. ويستجيب الآب دائما لصلاة كنيسة ابنه التي تعرب عن إيمانها بقدرة الروح، في استدعاء الروح القدس الذي يرافق كلا من الاسرار. فكما تحول النار كل ما تمسه، يحول الروح القدس إلى حياة إلهية كل ما يسلس لقدرته.

1128- وهذا ما تؤكده الكنيسة بقولها: إن الأسرار تعمل تلقائياً (أى بمجرد القيام بها)، أعني بقوة عمل المسيح الخلاصي الذي حققه دفعة واحدة. ويتبع ذلك أن "السر لا يتحقق ببر من يمنحه أو يناله، بل بقدرة الله" فكل مرة يحتفل بالسر وفقاً لنية الكنيسة، فإن قدرة المسيح وروحه يعملان فيه بمعزل عن قداسة القائم به. بيد أن ثمار الأسرار رهن باستعدادت من ينالها.

1129- تؤكد الكنيسة أن اسرار العهد الجديد ضرورية لخلاص المؤمنين. "فنعمة السر" هي نعمة الروح القدس يمنحها المسيح خصيصاً لكل سر. فالروح يشفى ويغير الذين ينالونه ويصورهم على صورة ابن الله؛ وثمرة الحياة التي نستمدها من الأسرار هي ان روح التبني يؤله المؤمنين ويضمهم ضماً محيياً إلى الابن الوحيد المخلص.

٧. أسرار الحياة الأبدية

1130- تحتفل الكنيسة بسر ربها "إلى أن يأتي" وإلى أن يصير الله "كلاً في الكل" (1 كو 11، 26؛ 15، 28). منذ عهد الرسل نرى الليتورجيا مشدودة إلى غايتها بأنين الروح في الكنيسة: "ماراناتا"، (1 كو 16، 22) وتشاطر الليتورجيا هكذا رغبة يسوع: "اشتهيت شهوة شديدة ان آكل هذا الفصح معكم (...) إلى أن يتم في ملكوت الله" (لو 22، 15- 16) في اسرار المسيح، تخطى الكنيسة منذ الآن بعربون ميراثها، وتشترك منذ الآن في الحياة الأبدية، " منتظرة السعادة الموجودة وتجلى مجد إلهنا العظيم ومخلصنا يسوع المسيح" (تي 2، 13). "بقول الروح والعروس: "تعال!، أيها الرب يسوع" (رؤ 22، 17- 20).

يلخص القديس توما في ما يلي، مختلف ابعاد علامة السر: "السر هو العلامة التي تذكر بما سبق، أي بآلام المسيح، وتبين بوضوح ما يتم فينا بفعل آلام المسيح، أي النعمة، وتستشرف أي تؤذن بالمجد الآتي".

بإيجاز

1131- *الأسرار هي علامات تحقق النعمة، وضعها المسيح ووكلها إلى الكنيسة وبها تسبغ علينا الحياة الإلهية. الطقوس المرئية التي يتم بها الاحتفال بالأسرار، تبين وتحقق النعم التي يتميز بها كل سر، وهي تؤتي ثمراً في الذين ينالوها بالاستعدادت المفروضة.*

1132- *تحتفل الكنيسة بالأسرار بوصفها أسرة كهنوتية تستمد هيكلتها من الكهنوت العمادي وكهنوت الخدمة المرسومين.*

1133- *الروح القدس يعد (المؤمنين) لنقبل الأسرار بكلمة الله وبالإيمان الذي يستقبل الكلمة في قلوب مستعدة. إذ ذاك تصبح الأسرار أداة قوة وتعبير عن الإيمان.*

1134- *ثمرة الحياة المستمدة من الأسرار فردية وكنسية. هذه الثمرة تحول من جهة كل مؤمن أن يحيا لله في المسيح يسوع. وهي، من جهة أخرى، للكنيسة سبب نمو في المحبة وفي رسالتها الشاهدة.*

الفصل الثاني

الاحتفال أسراريا بالسر الفصحي

1135- التثقيف الليتورجي يفترض أولاً فهم الخطة الإلهية في استعمال الأسرار (الفصل الأول). في هذا الضوء تتكشف جدة الاحتفال بها، ويتناول هذا الفصل الاحتفال بأسرار الكنيسة واعتبار ما هو مشترك في طريقة الاحتفال بالأسرار السبعة، عبر التقاليد الليتورجية المتنوعة. وأما ما يختص به كل سر فيأتي عرضه لاحقاً. هذا التعليم الأساسي في شان الاحتفال بالأسرار، يجيب على الاسئلة الأولى التي يطرحها المؤمنين في هذا المجال:

. من يحتفل بالسر؟

. كيف نحتفل به؟

. متى نحتفل به؟

. أين نحتفل به؟

المقال الأول

الاحتفال بليتورجيا الكنيسة

I. من يحتفل بالسر؟

1136- الليتورجيا هي "عمل المسيح الكلي". الذين يحتفلون بها، منذ الآن، ويوغلون إلى ابعد من رموزها، هم منذ الآن في رحاب الليتورجيا السماوية، حيث الاحتفال كلبه شركة وعيد.

المحتفلون بالليتورجيا السماوية

1137- رؤيا القديس يوحنا، إذا قرأناه في ليتورجيا الكنيسة، تكشف لنا أولاً عن "عرش قد رفع في السماء وعلى العرش واحد..." هو "الرب الإله" (أش 6، 1) وهناك ايضا "الحمل القائم وكأنه ذبيح" (رؤ 5، 6): هو المسيح المصلوب والقائم من بين الاموات، الحبر العظيم الاوحد للمقدس الحقيقي، "هو نفسه المقدِّم والمقدَّم والقابل والموزع" هناك أخيراً "نَهرَ ماءِ الحَياةِ [...] يَنبَثِقُ مِن عَرشِ اللهِ والحَمَل" (رؤ 22، 1)، وهو من أروع رموز الروح القدس.

1138- ويشترك في خدمة التسبيح لله وإتمام قصده، "وقد تجددوا" في المسيح: القوات السماوية، مع كل الخليقة (الأحياء الأربعة)، وخدمة العهدين القديم والجديد (الشيوخ الأربعة والعشرون)،

وشعب الله الجديد (المئة والاربعة والأربعون الفاً)، ولا سيما الشهداء "الذين سفكت دماؤهم في سبيل كلام الله" (رؤ 6، 9). ووالدة الإله الفائقة القداسة (المرأة؛ عروس الحمل)، وأخيراً "حشد كثير لا يحصى من كل أمة وقبيلة وشعب ولسان" (رؤ 7، 9).

1139- هذه الليتورجيا الأبدية هي التي يشركنا فيها الروح والكنيسة عندما نحتفل بسر الخلاص في الأسرار.

المحتفلون بليتورجيا الأسرار

1140- المحتفلون هم الجماعة كلها، جسد المسيح المتحد برأسه. "الأعمال الليتورجية ليست اعمالاً فردية ولكنها احتفالات الكنيسة، التي هي "سر الوحدة"، أي الشعب المقدس مجتمعاً ومنتظماً تحت سلطة الأساقفة. فهي من ثم أعمال جسد الكنيسة كله تظهره وتؤثر فيه. إلا أنها تدرك كل واحد من أعضائه بطريقة تختلف باختلاف الدرجات والوظائف والاشتراك الفعلي"، ولذا "فكل مرة تتطلب الطقوس، كل وفقاً لطبيعته احتفالاً مشتركاً مع إقبال المؤمنين عليه واشتراكهم الفعل فيه، لابد من التنويه، قدر الإمكان، بأفضلية الاحتفال الجمهوري على الاحتفال الفردي وشبه الخاص".

1141- الجماعة المختلفة هي اسرة المعمدين الذين "تقدسوا بالولادة الجديدة ومسحة الروح القدس، ليصيروا بيتاً روحياً وكهنوتاً مقدساً ويقربوا بكل أعمال المسيحي ذبائح روحية". هذا "الكهنوت المسيح، الكاهن الأوحد، الذي يشترك فيه كل اعضائه:

> "إن الكنيسة الام ترغب أشد الرغبة في أن يشجع المؤمنين جميعهم على المشاركة الكاملة والواعية والفاعلة في احتفالات الليتورجيا هذه التي تقتضيها طبيعة الليتورجيا نفسها، والتي أصبحت من حق الشعب المسيحي وواجبه، بفعل المعمودية"، ولأنه "جيل مختار وكهنوت ملكي وأمة مقدسة وشعب مفتدى (1 بط 2، 9)".

1142- ولكن "ليس لجميع الأعضاء عمل واحد" (روم 12، 4) ثمة أعضاء يدعوهم الله، في الكنيسة وبواسطة الكنيسة، إلى أن يمارسوا خدمة خاصة في الجماعة هؤلاء الخدام يختارون ويكرسون بسر الكهنوت الذي به يجعلهم الروح القدس اهلاً لأن يسعوا، في شخص المسيح الرأس، إلى خدمة جميع اعضاء الكنيسة. الخادم المرسوم هو شبه "ايقونة" المسيح الكاهن. وبما ان سر الكنيسة يعتلن اعتلاناً كاملاً في الافخارستيا فخدمة الأسقف تظهر أولاً في ترؤس حفلة الافخارستيا، بالاشتراك مع الكهنة والشمامسة.

1143- للاضطلاع بوظائف كهنوت المؤمنين العام، هناك خدمة خاصة أخرى، غير مكرسة بسر الكهنوت، يحدد الأساقفة مهامها وفاقاً للتقاليد الليتورجية والحاجات الرعائية "حتى الخدام والقرّاء والشرّاح وأعضاء الجوق المرتّل، جميعهم يقومون بخدمة ليتورجية حقيقة".

1144- هكذا، في الاحتفال بالأسرار، الجماعة كلها "تقيم الليتورجيا"، كل بحسب وظيفته، ولكن في "وحدة الروح" الذي يعمل في الجميع. "في الاحتفالات الليتورجية يطلب من كل شخص، سواء اكان خادماً للسر أم علمانياً، أن يعمل، لدى قيامه بوظيفته، العمل كله الذي يقع عليه من جراء طبيعة الأمور ومن جراء الأنظمة الليتورجية، وأن لا يتعداه إلى سواه من الاعمال".

II. كيف نحتفل بالسر

علامات ورموز

1145- كل احتفال بالأسرار هو نسج من علامات ورموز. هذه العلامات والرموز تتجذر معانيها، وفاقاً لحظة الله الخلاصية وطريقته التربوية، في عمل الخلق والثقافة البشرية، وتتضح في احداث العهد القديم، وتتجلى كاملة في شخص المسيح وعمله.

1146- علامات من عالم البشر. في حياة البشر، تشكل العلامات والرموز حيزا لافتاً. فالإنسان، بوصفه كائناً جسدياً وروحياً، يعبر عن الحقائق الروحية ويدركها عبر علامات وموز مادية. وبوصفه كائناً اجتماعياً يحتاج إلى علامات ورموز تواصلية، عبر اللغة والحركات والأعمال. وهذا دأبه ايضا في علاقته بالله.

1147- إن الله يخاطب الإنسان بواسطة الخليقة المرئية. فالعالم المادي يتراءى للذهن البشرى ليقرأ فيه آثار خالقه. فالنور والظلمة، والريح والنار، والماء والتراب، والشجر وثمارها، تتحدث عن الله، وترمز، في آن واحد، إلى عظمته وقربه.

1148- هذه الأشياء الحسية المخلوقة، يمكن أن تصبح أداة للتعبير عن عمل الله الذي يقدس البشر وعمل البشر الذين يؤدون لله عبادتهم. على هذا المنوال أيضا نفهم علامات الحياة الاجتماعية ورموزها: فالغسل والمسح، وكسر الخبز وتقاسم الكأس، كلها تعبر عن حضور الله المقدس وشكر الإنسان لخالقه.

1149- الديانات البشرية الكبرى تشهد، بطريقة مؤثرة غالباً، على هذا الطابع الكوني والرمزي الكامن في الطقوس الدينية، واما ليتورجيا الكنائس فهي تفترض وتضم وتقدس عناصر الخليقة والثقافة البشرية، وتضفى عليها من الكرامة ما هو من آيات النعمة والخليقة الجديدة في المسيح يسوع.

1150– علامات العهد. لقد تلقى الشعب المصطفى من الله علامات ورموزاً فارقة تميز حياته الليتورجية: فلم يعد ثمة فقط احتفالات مرتبطة بالمدارات الكونية والأحوال الاجتماعية، بل علامات العهد، ورموز عظائم الله لشعبه. من هذه العلامات الليتورجية في العهد القديم، نذكر الختان والمسح، وتكريس الملوك والكهنة، ووضع الأيدي، والذبائح، وخصوصاً الفصح. وترى الكنيسة في هذه العلامات إيذاناً بأسرار العهد الجديد.

1151– علامات تبناها المسيح. لقد استعمل الرب يسوع غالبا، في كرازته، علامات مستوحاة من الخليقة ليعرف الناس بأسرار ملكوت الله؛ وحقق شفاءاته وايد كرازته بعلامات مادية وأفعال رمزية؛ وأضفى معنى جديداً على أحداث العهد القديم ورموزه، ولا سيما الخروج من مصر والفصح؛ ولا غرو فالمسيح هو نفسه لب جميع هذه الرموز ومغزاها.

1152– علامات أسرارية. منذ العنصرة يجرى الروح القدس نعمة القداسة عبر العلامات الأسرارية في الكنيسة. أسرار الكنيسة لا تلغى بل تظهر وتجبى كل ثروة الآيات والرموز الكامنة في الكون وفى الحياة الاجتماعية. وهي إلى ذلك تتمم رموز العهد القديم ورسومه وتفسر معنى الخلاص الذي صنعه المسيح وتحققه، وتؤذن بمجد السماء وتستبقه.

أقوال وأعمال

1153– الاحتفال بالأسرار هو لقاء بين أبناء الله وأبيهم، في المسيح والروح القدس ويترجم هذا اللقاء حوارا عبر اعمال واقوال لا شك ان الاعمال الرمزية هي بحد ذاتها لغة ولكن لابد ان يواكب هذه الاعمال وينعشها كلام الله وجواب الايمان لكي يؤتي زرع الملكوت ثمرة في الارض الطيبة الاعمال الليتورجية ترمز الى ما يعبر عنه كلام الله أي ما يصدر عن الله من ابتدار مجاني وعن شعبه من جواب إيماني، في آن واحد.

1154– ليتورجيا الكلمة جزء لا يتجزأ من الحفلات الأسرارية فلابد، لتغذية إيمان المؤمنين، من التنويه بالعلامات التي ترافق كلام الله: كتاب الكلمة (كتاب الرسائل أو الانجيل)، تعابير الإجلال الموجه إليه (التطواف، البخور، الشموع)، مكان إعلانه (المنبر)، تلاوته بطريقة مسموعة ومفهومة، العظة التي يلقيها المحتفل بعد التلاوة، اجوبة الجماعة (الهتافات والمزامير التأملية، والطلبات واعلان الإيمان).

1155– القول والعمل في الليتورجيا لا يفترقان من حيث هما علامات وتعليم، كما أنهما لا يفترقان لكونهما يحققان ما يرمزان إليه، فالروح القدس لا يكتفى بان يفهمنا كلام الله، باعثا فينا

نفخة الإيمان، بل يحقق ايضا بالأسرار "عظائم الله المعلنة في الكلمة: إنه يجعل عمل الآب الذي أنجزه الابن الحبيب آنيا وموزعاً على الجميع.

الترنيم والموسيقى

1156- "التراث الموسيقى في الكنيسة الجامعة كنز لا تقدر له قيمة، ولا يسمو إليه تعبير فني آخر، وذلك خصوصاً بأن الترنيم المقدس مقترن بالكلام وأنه، من ثم، قسم ضروري من الليتورجيا الاحتفالية ومتمم لها". تلحين المزامير الملهمة وترتليها، وما يرافقهما غالباً من آلات موسيقية مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالاحتفالات الليتورجية في العهد القديم. فالكنيسة تواصل هذا التراث وتنميه "رتلوا فيما بينكم مزامير وتسابيح واناشيد روحانية رتلوا وسبحوا للرب من صميم القلب" (أف 5، 19): "من يرنم يصل مرتين".

1157- الترنيم والموسيقى "مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالعمل الليتورجي"، وهذا ما يجعلهما من العلامات المميزة، انطلاقاً من مقاييس رئيسية ثلاثة: روعة الصلاة التعبيرية، اشتراك الجماعة بالإجماع في الأوقات الملحوظة، والطابع الاحتفالي للصلاة: وهكذا يساهمان في تحقيق الغية المتوخاة من الاقوال والأفعال الليتورجية: وهي تمجيد الله وتقديس المؤمنين.

> "لكم بكيت لدى سماعي أناشيدكم وتسابيحكم والأصوات الرخيمة التي ملأ صداها كنيستكم ولكم تأثرت لذلك! لقد كانت تنساب في أذني وتقطرا الحقيقة في قلبي لقد شعرت بتيار عظيم من التقوى يشجعني؛ وبالدموع تسيل على وجنتي، وتصلح أمري".

1158- تتناغم العلامات (الترانيم والموسيقى، والأقوال، والأعمال) يشتد هنا تعبيراً ويزداد خصباً بمقدار ما يعتمد الثروة الثقافية التي يختص بها شعب الله المحتفل، اداة للتعبير ولذا "لابد من ان يعزز الترنيم الديني الشعبي تعبيراً بصيراً، بحيث يتاح لأصوات المؤمنين" طبقاً لقوانين الكنيسة "من أن تسمع في الممارسات التقوية المقدسة وفى الاعمال الليتورجية نفسها" ولكن "النصوص المعدة للترنيم الكنسي، يجب ان تكون مطابقة للعقيدة الكاثوليكية، ومستقاة بالاحرى من الكتاب المقدس ومن الينابيع الليتورجية".

الرسوم المقدسة

1159- الصورة المقدسة، والايقونة الليتورجية تمثل المسيح خصوصاً، ولا يجوز أن تمثل الله الذي لا يرى. عن ابن الله هو الذي افتتح بتجسده "نهجا" جدياً في استعمال الصور:

"لم يكن ممكناً على الاطلاق قديماً ان يمثل بالصورة الله المنزه عن الجسد والشكل. ولكن وقد ظهر لنا اليوم في الجسد وعاش مع الناس، يجوز لي ان ارسم صورة ما رأيت من الله (...) فنحن نعاين مجد الرب بوجهه المكشوف".

1160- الايقونوغرافية المسيحية تنقل، بالصورة، الرسالة الإنجيلية التي ينقلها الكتاب المقدس بالكلمة. الصورة والكلمة تستنير أحداهما بالأخرى.

"لكي نلعن إيماننا ملخصاً بكل تقاليد الكنيسة المدونة وغير المدونة التي سلمت إلينا بلا تحوير. منها تمثيل الصور بالرسم وهو يتماشى مع كرازة التاريخ الإنجيلي. ونعتقد أن الله الكلمة قد تأنس حقاً، لا في الظاهر، وهذا يعود علينا بذات النفع وذات الفائدة، لأن الاشياء التي يستنير بعضها ببعض لها، بلا مراء، مغزى متبادل".

1161- جميع علامات الاحتفال الليتورجي لها صلة بالمسيح: كذلك الصور المقدسة لوالدة الإله القديسة وصور القديسين لها ايضا علاقة به، وترمز إلى المسيح الممجد فيهم. بها تتجلى "سحابة الشهود" (عب 12، 1) الذين لا يزالون يشتركون في خلاص العالم، ونحن متحدون بها ولا سيما في الاحتفال بالأسرار هو الإنسان يتجلى لإيماننا من خلال الأيقونة، الإنسان المخلوق "على صورة الله" والمتحول "على مثاله"، بل هم الملائكة أيضا وقد تجددوا هم أيضا في المسيح:

"بموجب العقيدة الموحاة إلهيا لدى آبائنا القديسين وتقليد الكنيسة الكاثوليكية الذي نعرف أنه تقليد الروح القدس الساكن فيها، لقد حددنا بكل يقين وحق، أن الصور المقدسة وكذلك رسوم الصليب الكريم المحيي، أيا كانت طريقة رسمها، بالفسيفساء أو بأي مادة أخرى يجب أن توضع في كنائس الله المقدسة، وعلى الاواني والحلل المقدسة، وعلى الجدران واللوحات، في البيوت وفي الطريق، سواء صورة ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح، أم صورة سيدتنا الفائقة الطهارة والقداسة والدة الإله وصور جميع الأبرار والقديسين".

1162- "جمال الصور وألوانها تحفز صلاتي. أنها عيد لعيني، كما ان مشهد الريف يدفع قلبي إلى تسبيح الله" مشاهدة الأيقونات المقدسة، المقرونة بتأمل كلمة الله وترنيم الأناشيد الليتورجية، تنسجم مع رموز الاحتفال فينطبع السر المحتفل به في ذاكرة القلب وينعكس بعدئذ في حياة المؤمنين الجديدة.

III. متى نحتفل بالسر؟

الزمن الليتورجي

1163- "إن أمنا الكنيسة المقدسة تحسب من صلاحيتها الاحتفال بالعمل الخلاصي الذي اجراه عروسها الإلهي، وذلك في ذكرى مقدسة تحييها في أيام معينة على مدّ السنة وطولها فكل اسبوع، في اليوم الذي دعته "يوم الرب"، تحي ذكرى قيامة الرب التي تحتفل به أيضا مرة في السنة، كما تحتفل بذكرى آلامه المحيية في الاحتفال الفصحي الاعظم. وهي تبسط سر المسيح كله على مدار السنة (...) وفيما تحتفل هكذا بأسرار الفداء، تفتتح للمؤمنين كنوز فضائل ربها واستحقاقاته، فكأن تلك الأسرار قد أصبحت أبداً حاضرة لديهم يحتكون بها ويمتلئون من نعمة الخلاص".

1164- لقد عرف شعب الله، منذ عهد الشريعة الموسوية، أعياداً ثابتة تبدأ من الفصح لإحياء ذكرى عجائب الله المخلص، وتأدية الشكر عليها، وتخليد ذكرها، وتدريب الأجيال الصاعدة على أن يسلكوا بموجبها. في زمن الكنيسة. الممتد بين فصح المسيح الذي تم مرة واحدة وانقضائه في ملكوت الله، تحمل الليتورجيا التي يحتفل بها في أيام معينة طابع الجدة النابعة من سر المسيح.

1165- عندما تحتفل الكنيسة بسر المسيح تستعمل لفظة تتردد دوماً في صلاتها "اليوم!"، "وما ذلك سوى صدى" للصلاة التي تعلمتها من سيدها، ولنداء الروح القدس. هذا "اليوم"، يوم الإله الحي الذي يُدعى الإنسان إلى ولوجه، هي "ساعة" فصح يسوع التي تخترق التاريخ كله وتحمله.

> "الحياة شملت جميع الكائنات وقد امتلأت كلها نوراً عميماً، مشرق المشارق يجتاح البسيطة، ومن هو "قبل كوكب الصبح" وقبل النيرات، الخالد الذي لا حد له، المسيح الأكبر يشرق على جميع الكائنات أكثر من الشمس. ولذا فنحن المؤمنين به يبزغ علينا نهار من النور، طويل وأبدي لا يغرب أبداً: إنه الفصح السري".

يوم الرب

1166- "تمشياً مع تقليد رسولي يرتقي بجذوره الى اليوم نفسة الذي قام فيه المسيح تحتفل الكنيسة بالسر الفصحي في كل يوم ثامن وهو يسمي بحق يوم الرب او اليوم الرباني (يوم الاحد) يوم قيامة المسيح هو في ان واحد اول يوم من الاسبوع وهو تذكار اليوم الاول من الخليقة واليوم الثامن الذي فيه بدا المسيح من بعد ان استراح راحة السبت العظيم. اليوم الذي صنعة الرب والنهار الذي لا مساء له. مائدة الرب هي محور هذا النهار فيه تلتقي جماعة المؤمنين كلها الرب القائم من بين الاموات الذي يدعوهم الى وليمته:

"يوم الرب او يوم القيامة او يوم المسيحيين هو يومنا ولذا دعي يوم الرب لان السيد في ذلك اليوم صعد ظافرا الى ابية فاذا كان الوثنيون يدعونه يوم الشمس فنحن ايضا نعترف بذلك بملء الرضي لأنه اليوم بزغ نور العالم اليوم طلعت شمس البر حاملة لنا الخلاص بأشعتها".

1167- يوم الاحد هو اليوم المشهود للاجتماع الليتورجي فيه يلتئم المؤمنون ليسمعوا كلمة الله ويشتركوا في الافخارستيا ويستعيدوا ذكرى الام الرب يسوع وقيامته ومجدة ويؤدوا الشكر لله الذي على حسب رحمته الكثيرة ولدهم ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من بين الاموات (1 بط 1، 3).

"ايها المسيح عندما نتأمل العجائب التي صنعتها في يوم الاحد هذا يوم قيامتك المقدسة نقول تبارك يوم الاحد، ففيه كان بدء الخليقة وخلاص العالم وتجديد الجنس البشري، فيه جذلت السماء والارض معا والخليقة امتلأت نورا. تبارك يوم الاحد، ففيه انفتحت ابواب الفردوس ليدخله ادم بلا خوف وجميع المنفيين معه".

السنة الليتورجية

1168- انطلاقا من الثلاثية الفصحية كما من نبع نوراني يملا الزمن القيامي الجديد كل السنة الليتورجية بأضوائه وتتجلي السنة شيئا فشيئا انطلاقا من هذا الينبوع أنها حقا سنة نعمة عند الرب لا شك أن تدبير الخلاص يعمل في إطار الزمن ولكن منذ أن تحقق الخلاص بفصح يسوع وحلول الروح القدس بلغنا لانقضاء الدهر قبل أوانه واستبقنا مذاقه وولج ملكوت الله في زماننا.

1169- ليس الفصح من ثم عيدا بين أعياد انه عيد الأعياد وموسم المواسم كما إن الافخارستيا هي سر الأسرار (السر الأعظم) ويدعوه القديس اثناسيوس الأحد الكبير كما إن الأسبوع المقدس يدعي في الشرق الأسبوع العظيم إن سر القيامة الذي به داس المسيح الموت يدخل في مطاوي زمننا العتيق قوته المقتدرة إلى إن يخضع له كل شيء.

1170- في مجمع نيقية (سنة 325) أجمعت الكنائس كلها على إن يحتفل بالفصح المسيحي نهار الأحد بعد البدر (14 نيسان) الذي يلي الاعتدال الربيعي بسبب الطرق المختلفة المستعملة لحساب يوم 14 نيسان لا يقع تاريخ الفصح في الكنائس الغربية والشرقية دوما في اليوم عينه لذلك تسعي هذه الكنائس اليوم إلى اتفاق للتوصل ثانية إلى الاحتفال بعيد قيامة الرب في تاريخ موحد.

1171- السنة الليتورجية هي امتداد السر الفصحي في مختلف وجوهه ويصح هذا على الاخص في دورة الأعياد التي تكتف سر التجسد (البشارة، الميلاد، الظهور) والتي تحيي ذكرى بدء خلاصنا وتزودنا ببواكير سر الفصح.

سنكسار السنة الليتورجية

1172- اذ تحتفل الكنيسة المقدسة بأسرار المسيح في هذا المدار السنوي تكرم بمحبة خاصة لطوباوية مريم والدة الاله المتحدة بابنها في عمل الخلاص اتحادا وثيقا ففيها تري الكنيسة بإعجاب وتعظيم ثمرة الفداء السامية وتتأمل بغبطة كما في صورة نقية جدا ما تشتهي وتأمل إن تحققه في كامل ذاتها.

1173- عندما تحيي الكنيسة في المدار السنوي ذكري الشهداء وسائر القديسين فهي "تعلن السر الفصحي في الذين واللواتي تألموا مع المسيح ونالوا المجد معه وتقدمهم للمؤمنين مثلا تجذبهم جميعا إلى الآب بالمسيح وتنال باستحقاقاتهم مواهب الله".

ليتورجيا الساعات

1174- ان سر المسيح سر تجسده وفصحه الذي نحتفل به في الافخارستيا ولا سيما في محفل الاحد يداخل الزمن اليومي ويحوله بإقامة ليتورجيا الساعات أي الفرض اللاهي هذا الاحتفال الذي نقيمه امتثالا لتوصيات الرسل بان نصلي بلا ملل قد وضع وضعا يتكرس معه مجري النهار والليل كله لمديح الله الفرض الالهي هو صلاة الكنيسة العامة فيها يمارس المؤمنون (اكليروسا ورهبانا وعلمانيين) الكهنوت الملكي انابع من معموديتهم ليتورجيا الساعات اذ تم الاحتفال بها في الصفة التي وافقت عليها الكنيسة هي حقيقة صوت العروس نفسها تخاطب عريسها بل هي إلى ذلك صلاة المسيح مع جسده إلى الآب.

1175- ليتورجيا الساعات تهدف إلى أن تصير صلاة شعب الله برمته بها يواصل المسيح نفسه ممارسة وظيفته الكهنوتية بواسطة كنيسته كل واحد يشارك فيها بحسب مكانته الخاصة في الكنيسة وظروف حياته الكهنة على أنهم متفرغون للخدمة الراعوية ومدعوون إلى إن يظلوا مثابرين على الصلاة وخدمة الكلمة والرهبان والراهبات من منطلق موهبة حياتهم المكرسة والمؤمنون كلهم بحسب إمكاناتهم ليحرص الرعاة الروحيون على إن يحتفل في الكنيسة بالساعات الرئيسة ولا سيما صلاة المساء بطريقة مشتركة وذلك في أيام الآحاد والأعياد الاحتفالية ويحرض العلمانيون أنفسهم على تلاوة الفرض الإلهي مع الكهنة أو في اجتماعاتهم الخاصة أو كلا على انفراد

1176- الاحتفال بليتورجيا الساعات يقتضي لا تناغم الصوت والقلب المصلي وحسب، بل "تحصيل معرفة أوسع لليتورجيا وللكتاب المقدس، ولا سيما المزامير".

1177- تسابيح صلاة الساعات وطلباتها تدخل صلاة المزامير في زمن الكنيسة، معبرة عن رمزية لحظة النهار، والزمن الليتورجي أو العيد المحتفل به، أضف إلى ذلك إن تلاوة كلمة الله في كل ساعة (مع الردات والطروباريات التي تليها) وتلاوة نصوص من الآباء والمعلمين الروحيين، في بعض الساعات، تجلوان، بطريقة أعمق، معنى السر المحتفل به، وتساعدان في فهم المزامير، وتمهدان للتأمل الصامت. التلاوة الإلهية، حيث نقرأ كلمة الله ونتمعن فيها لتصبح صلاة، تتأصل هكذا في الاحتفال الليتورجي.

1178- ليتورجيا الساعات التي هي شبه امتداد للاحتفال الافخارستي، لا تنفي بل تستدعي، على سبيل التكامل، ما يقوم به شعب الله من أعمال تقوية متنوعة ولا سيما السجود والتعبد للقربان المقدس.

IV. أين يتم الاحتفال بالسر؟

1179- العبادة "بالروح والحق" (يو 4، 24) في العهد الجديد، لا تتقيد بمكان دون آخر فالأرض كلها مقدسة وموكولة إلى أبناء البشر. فما هو أول، عندما يجتمع المؤمنين في مكان واحد، غنما هو "الحجارة الحية "الملتئمة" لبناء بيت روحاني" (1 بط 2، 5). جسد المسيح الناهض هو الهيكل الروحي، منه ينجس ينبوع الماء الحي. وبما أننا مندمجون في المسيح بالروح القدس فإنما نحن "هيكل الله الحي" (2 كو 6، 16).

1180- حيث ممارسة الحرية الدينية لا قيود لها، يشيد المسيحيون أبنية معدة للعبادة الإلهية هذه الكنائس المرئية ليست فقط مجرد أمكنة للتجمع بل هي رمز الكنيسة القاطنة في هذا المكان، وتظهرها مسكنا لله مع الناس المصالحين والموحدين في المسيح.

1181- "إن بيت الصلاة الذي يحتفل فيه بالافخارستيا وفيه تحفظ، ويجتمع المؤمنون فيه، ويكرم فيه ابن الله مخلصنا، المقرب لأجلنا على المذبح، الحاضر سندا للمسيحيين ومشجعاً، يجب أن يكون جميلاً وأهلاً للصلاة والاحتفالات الافخارستية" في "بيت الله" هذا، يجب ان يظهر المسيح الحاضر والعامل فيه، من خلال العلامات الحسية في حقيقتها وتناغمها.

1182- مذبح العهد الجديد هو صليب الرب الذي منه تنبع أسرار السر الفصحي على المذبح وهو النقطة المركزية في الكنيسة، يحقق حضور ذبيحة الصليب تحت العلامات السرية وهو أيضا مائدة الرب التي يدعى اليها شعب الله. وفي بعض الليتورجيات الشرقية يعتبر المذبح رمزاً للقبر (المسيح الذي مات حقاً ونهض حقاً من بين الأموات).

1183- **بيت القربان** يجب ان يوضع في "اليق مكان في الكنائس، محاطاً بأعظم الإكرام" كرامة بيت القربان ووضعه وأمانة يجب أن تشجع المؤمنين على عبادة الرب الحاضر حقاً في سر المذبح المقدس.

زيت التثبيت (أو الميرون) الذي ترمز المسحة به إلى ختم موهبة الروح القدس، يحفظ تقليداً مع شعائر الاجلال في موضع امين في المقدس، ويمكن أن يضم إليه زيت الموعوظين وزيت المرضى.

1184- **كرسي الأسقف** (الكاتدرا) أو الكاهن "يجب أن يبيّن الوظيفة التي يقوم بها كرئيس للاجتماع وقائد للصلاة".

المنبر: "كرامة كلمة الله تقضي بأن يقام في الكنيسة موضع يساعد في إعلان هذه الكلمة. وإليه يتجه عفوياً انتباه المؤمنين، أثناء ليتورجيا الكلمة".

1185- تجمع شعب الله يبدأ بالمعمودية. يجب أن يقام إذًا في الكنيسة مقام للاحتفال بالمعمودية (جرن المعمودية) ويشجع المؤمنين على أن يتذكروا وعود المعمودية (الماء المقدس).

تجديد الحياة بالمعمودية يتطلب التوبة فعلى الكنيسة ان تشجع المؤمنين على التعبير عن توبتهم وتقبل الغفران وهذا يستلزم مكانا لاستقبال التائبين.

ويجب أن تكون الكنيسة حيزاً يستدعي التخشع والصلاة الصامتة التي هي امتداد للصلاة الافخارستية وعودة بها إلى الباطن.

1186- وتنطوي الكنيسة أخيرً على معنى أخروي فدخول بيت الله يفترض اجتياز عتبة هي رمز العبور من العالم المثخن بالخطيئة الى عالم الحياة الأبدية التي دعي إليها الناس أجمعون فالكنيسة المرئية ترمز الى البيت الابوي الذي يشخص إليه شعب الله، وحيث "يمسح الأب كل دمعة من عيونهم" (رؤ 21، 4). من هنا أن الكنيسة هي أيضا بيت أبناء الله كلهم، تفتح لهم على مصراعيها وترحب بههم.

بإيجاز

1187- الليتورجيا هي عمل المسيح كله برأسه وجسده حبرنا الاعظم لا يكف عن الاحتفال بها في الليتورجيا السماوية بمعية والدة الاله القديسة والرسل وجميع القديسين وحشد الناس الذين دخلوا الملكوت.

1188- في كل احتفال ليترجي، الجماعة كلها "تقييم الليتورجيا"، كل بحسب وظيفته الكهنوت العمادي يشمل جسد المسيح بأجمعه، ولكن بعض المؤمنين يمنحون سر الكهنوت ليمثلوا المسيح بصفته رأس الجسد.

1189- يتضمن الاحتفال الليتورجي علامات ورموزاً تمت إلى الخليقة (النور، الماء، النار) 9، والى الحياة البشرية (الغسل، المسح بالزيت، كسر الخبز) والى تاريخ الخلاص (شعائر الفصح) هذه العناصر الكونية، وهذه الطقوس البشرية، وهذه المآثر التي تذكرنا بالله، إذا اندمجت في عالم الإيمان، وتبنتها قوة الروح القدس، أصبحت آنية تحمل عمل المسيح المخلص والمقدس.

1190- ليتورجيا الكلمة جزء لا يتجزأ من الاحتفال. معنى الاحتفال يعبر عنه إعلان كلمة الله من جهة والتزام المؤمنين لها من جهة اخرى.

1191- الترنيم والموسيقى مرتبطان ارتباطا وثيقاً بالعمل الليتورجي: مقاييس حسن استعمالها هي: جمال الصلاة التعبيري، واشتراك الجماعة بأجمعها، وقدسية الطابع الاحتفالي.

1192- الصور المقدسة في كنائسنا وبيوتنا تهدف الى إيقاظ إيماننا بسر المسيح وتغذيته، فنحن إنما نعبد المسيح من خلال أيقونته وأعماله الخلاصية ومن خلال الصور المقدسة التي تمثل والدة الإله القديسة والملائكة والقديسين نجل الأشخاص الذين تمثلهم.

1193- يوم الاحد "يوم الرب، هو اليوم الاهم للاحتفال بالافخارستيا لأنه يوم القيامة هو يوم المحفل الليتورجي المميز، يوم الأسرة المسيحية، يوم الفرح والاستراحة من العمل إنه ركيزة السنة الليتورجية كلها ونواتها".

1194- الكنيسة "تبسط سر المسيح كله على مدار السنة، من التجسد والميلاد الى الصعود إلى يوم العنصرة وإلى انتظار الرجاء الصالح ومجيء الرب".

1195- إن الكنيسة الأرضية، إذ تحي ذكرى القديسين وفي طليعتهم والدة الاله القديسة ثم الرسل والشهداء وسائر القديسين، في ايام معينة من السنة الليتورجية، تعلن أنها متحدة بالليتورجيا السماوية: إنها تمجد المسيح الذي أجرى خلاصه في اعضائه الممجدة وهم يحثونها بمثالهم، في طرقها إلى الله.

1196- المؤمنون الذين يحتفلون بليتورجيا الساعات يتحدون بالمسيح حبرنا الأعظم بصلاة المزامير وتأمل كلمة الله، والأناشيد والتسابيح، لكي يشتركوا في صلاة الدائمة الشاملة التي ترفع المجد إلى الاب وتستنزل موهبة الروح القدس على العالم باسره.

1197- المسيح هو هيكل الله الحقيقي، "والموضع الذي يستقر فيه مجده"؛ بنعمة الله يصير المسيحيون، هم أيضا، هياكل الروح القدس والحجارة الحية التي تبني بها الكنيسة.

1198- الكنيسة، في حالتها الأرضية، بحاجة الى أمكنة تلتئم فيها الجماعة وهي كنائسنا المرئية: أماكن مقدسة، رموزا المدينة المقدسة، اورشليم السماوية التي نشخص إليها حجاجاً.

1199 *- في هذه الكنائس تقيم الكنيسة شعائر العبادة العامة، لمجد الثالوث القدوس، وفيها تسمع كلمة الله وتترنم بتسابيحه وترفع صلاتها وتقرب ذبيحة المسيح الحاضر سريا وسط الجماعة. هذه الكنائس هي أيضا أمكنة للخشوع والصلاة الشخصية.*

المقال الثاني
تنوع ليتورجي ووحدة في السر

التقاليد الليتورجية وشمولية الكنيسة

1200- منذ عهد جماعة اورشليم الاولي وإلى ان يأتي المسيح تحتفل كنائس الله الوفية للإيمان بذات السر الفصحي في كل مكان فالسر الذي تحتفل به الليتورجيا واحد ولكن طرق الاحتفال به متنوعة.

1201- ان ثروة سر المسيح لا يسبر غورها ولا يستطيع أي تقليد ليتورجي ان يستنفد مؤداها تاريخ هذه الطقوس في نشأتها تطورها دليل تكامل مدهش عندما مارست الكنائس هذه التقاليد الليتورجية في شركة الايمان واسرار الايمان اغنت بعضها بعضا ونمت في الامانة لما هو مشترك للكنيسة جمعاء من تراث ورسالة.

1202- التقاليد الليتورجية على انواعها نشأت بدافع من الرسالة الكنسية نفسها فالكنائس القائمة على نفس الرقعة الجغرافية والثقافية توصلت إلى الاحتفال بسر المسيح من خلال تعابير خاصة لها طابعها الثقافي في تراث وديعة الايمان في الرمزية الليتورجية في تنظيم الشركة الاخوية في الاطلاع اللاهوتي على الاسرار وفي نماذج قداسة هكذا يتجلى المسيح وهو نور الشعوب طراً وخلاصها، عبر الحياة الليتورجية في كنيسة ما، للشعب وللثقافة اللذين ارسلت إليهما وفيهما تجذرت فالكنيسة كنيسة جامعة، بإمكانها أن تستوعب، ضمن وحدتها، كل الثروات الثقافية الحقيقة وتطهرها.

1203- التقاليد الليتورجية أو الطقوس المستعملة اليوم في الكنيسة هي الطقس اللاتيني (خصوصاً الروماني، يضاف غليه طقوس بعض الكنائس المحلية، كالطقس الامبروسي أو بعض المؤسسات الرهبانية)، والطقس البيزنطي والاسكندري، والقبطي، والسرياني، والارمني، والماروني والكلداني "إن المجمع المقدس، في مراعاته للتقليد بأمانة، يعلن أن الكنيسة الأم المقدسة تعبر جميع الطقوس المعترف بها شرعاً متساوية في الحقوق والكرامة، وتريد للمقبل من الأيام أن تحافظ عليها وتعزز شانها بجميع الطرائق".

الليتورجيا والثقافات

1204- الاحتفال بالليتورجيا يجب إذًا ان يتماشى مع عبقرية مختلف الشعوب وثقافتها "فلكي يبلغ سر المسيح إلى جميع الشعوب... فتدين له بالإيمان" (روم 16، 26)، لابد من أن يعلن هذا السر ويحتفل به ويعاش في جميع الثقافات، بحيث لا تلغى بل تفتدى وتتحقق به. هذه الثقافة البشرية الخاصة، إذا تبناها المسيح وطهرها هي التي تتدخل جماهير ابناء الله الى عند الآب، لتمجده بروح واحد.

1205- "في الليتورجيا، ولا سيما ليتورجيا الأسرار، قسم لا يقبل التغير، لأنه من وضع إلهي، تسهر الكنيسة عليه، وأقسام تقبل التغيير، يحق للكنيسة بل يجب عليها احياناً أن تكيفها، بحكم ثقافات الشعوب الداخلة حديثاً في طاعة الإنجيل".

1206- "التنوع الليتورجي قد يكون مصدر غني روحي، كما يمكن أن يمسي سبب مشادات وسوء تفاهم وشقاقات أيضا. في هذا المجال، من الواضح ان التنوع يجب ألا يسيء إلى الوحدة ولا يستطيع، من ثم، إلا أن يعبر عن التمسك بالإيمان المشترك وبالعلامات الأسرارية التي ورثتها الكنيسة من المسيح، والشركة الإيررخية. التكيف مع الثقافات يتطلب توبة القلب، وإذا اقتضى الامر، التخلي عن عادات عريقة لا تنسجم مع الإيمان الكاثوليكي".

بإيجاز

1207*- يستحسن السعي، في الاحتفال الليتورجي، إلى استعمال ثقافة الشعب الذي تقيم فيه الكنيسة، وسيلة للتعبير بدون التقيد بهذه الثقافة. والليتورجيا، من جهة أخرى هي نفسها مولدة ثقافات ومهذبتها.*

1208*- التقاليد الليتورجية أو الطقوس، على اختلافها، إذا حظيت باعتراف شرعي، تظهر شمولية الكنيسة من حيث أنها تعبر عن سر المسيح الواحد وتبلغه.*

1209*- القاعدة التي تكفل للتقاليد الليتورجية وحدتها ضمن التنوعية هي الأمانة للتقليد الرسولي أي الشركة في الإيمان والأسرار الموروثة من الرسل، تلك الشركة التي تعبر عنها الخلافة الرسولية وتضمنها.*

القسم الثاني

أسرار الكنيسة السبعة

1210- أسرار العهد الجديد سبعة وهي من وضع المسيح: المعمودية والتثبيت والافخارستيا والتوبة ومسحة المرضى والكهنوت والزواج، وتتصل هذه الأسرار السبعة بكل المراحل وكل الظروف الهامة في حياة المسيحي: فهي تهب الولادة والنمو والشفاء والاستعداد لرسالة المسيحيين في حياتهم الإيمانية ففي هذا المجال نلحظ بعض الشبه بين مراحل الحياة الطبيعية ومراحل الحياة الروحية.

1211- بموجب هذه المقارنة سنعرض أولاً اسرار التنشئة المسيحية الثلاثة (الفصل الأول) ثم أسرار الشفاء (الفصل الثاني) وأخيراً الأسرار الموضوعة لخدمة شركة المؤمنين ورسالتهم (الفصل الثالث) لا شك أن هذا التسلسل ليس هو التسلسل الممكن الوحيد، ولكنه يرينا ان الأسرار تكون جهازاً يشغل فيه كل سر مكانته الحيوية في هذا الجهاز تحتل الافخارستيا مكاناً فريداً من حيث هي "سر الأسرار ": " فكل الأسرار الأخرى تتشخص إليها كما على غايتها ".

الفصل الأول

اسرار التنشئة المسيحية

1212- أسرار التنشئة المسيحية: المعمودية والتثبيت والافخارستيا ترسي ركائز كل حياة مسيحية "الاشتراك في الطبيعة الإلهية الذي هو عطية من عطايا نعمة المسيح على البشر، فيه بعض الشبه مع مصدر الحياة الطبيعية ونموها ودعمها فالمؤمنون يولدون بالمعمودية ولادة ثانية، ويتقوون بسر التثبيت، ويتناولون، في الافخارستيا، خبز الحياة الأبدية وهكذا بواسطة هذه الأسرار التي تدخل إلى الحياة المسيحية يحظى المؤمنون، أكثر فأكثر بثروات الحياة الإلهية ويتقدمون نحو كمال المحبة".

المقال الأول

سر المعمودية

1213- المعمودية المقدسة هي ركيزة الحياة المسيحية كلها ومدخل الحياة في الروح والباب الذي يوصل إلى الاسرار الأخرى. فبالمعمودية نعتنق من الخطيئة ونولد ثانية ميلاد أبناء الله، ونصير أعضاء للمسيح، ونندمج في الكنيسة ونصبح شركاء في رسالتها "المعمودية هي سر الولادة الجديدة بالماء وفى الكلمة".

I. ما اسم هذا السر؟

1214- يسمى "معمودية" نظرا إلى الطقس الأساسي الذي يتحقق به: فالتعميد هو "التغطيس" أو "التغويص في الماء" فالتغطيس في الماء يرمز إلى دفن الموعوظ في موت المسيح وخروجه، بالقيامة معه، "خليقة جديدة" (2 كو 5، 17؛ غل 6، 15).

1215- ويدعى هذا السر أيضا "غسل الميلاد الثاني والتجديد بالروح القدس" (تي 3، 5) لأنه يلهم ويحقق هذا الميلاد من الماء والروح الذي بدونه "لا يستطيع أحد ان يدخل ملكوت الله" (يو 3، 5).

1216- هذا الغسل يسمى ايضا استنارة، لأن الذين يتلقون هذا التعليم (في الكرازة) يستنير به ذهنهم. فعندما يتلقى المتعمد الكلمة، "النور الحقيقي المنير كل إنسان" (يو 1، 9) يصبح، "بعدما أنير"، "ابنا للنور"، بل يصبح هو نفسه "نوراً" (أف 5، 8).

المعمودية هي "أجمل وأبهى من عطايا الله (...) نسميها عطية ونعمة ومسحة واستنارة وثوب عدم الفساد وغسل الميلاد الثاني وختما وكل ما هو أنفس النفائس فهي عطية لأنها تمنح للذين لا يأتون بشيء؛ وهي نعمة لأنها تعطى حتى للمذنبين؛ وتغطيس لأن الخطيئة تدفن في الماء؛ ومسحة لأنها مقدسة وملكية (على غرار المسحاء)؛ واستنارة لنها ضياء سني؛ وثوب، لأنها تستر خزينا؛ وغسل لأنها تطهر؛ وختم لأنها تحمينا ولأنها علامة سيادة الله".

II. المعمودية في تدبير الخلاص

رموز المعمودية في العهد القديم

1217- في ليتورجيا ليلة الفصح، عندما تبارك الكنيسة ماء المعمودية تذكر بأبهة الاحداث العظام التي باتت، في تاريخ الخلاص، إيذانا بسر المعمودية.

"بقدرتك، أيها الرب، حققت العجائب في اسرارك، وعبر تاريخ الخلاص، استعملت الماء الذي خلقته لتوقنا على نعمة المعمودية".

1218- منذ فجر العالم والماء- تلك الخليقة المتواضعة العجيبة- هو نبع الحياة والخصب. ويرى الكتاب المقدس روح الله " يرفرف" علي.

"منذ بدء العالم كله روحك يرفرف على المياه لتحظى ببذار القوة المقدسة".

1219- وقد توسمت الكنيسة في فلك نوح رمزا مسبقاً للخلاص بواسطة المعمودية فبالفلك "نجا بالماء عدد قليل، أي ثمانية اشخاص" (1 بط 3، 20).

"لقد انبأت بأمطار الطوفان، عن المعمودية المحيية، إذ كان الماء يرمز ايضاً إلى موت الخطيئة وولادة كل بر".

1220- إذا كان ماء الينبوع يرمز إلى الحياة، فماء البحر يرمز إلى الموت. ولذا فهو رمز سر الصليب. من خلال هذه الصورة الرمزية تعبر المعمودية عن الاشتراك في موت المسيح.

1221- بيد ان عبور البحر الاحمر الذي به تحرر إسرائيل حقاً من عبودية مصر، هو الذي يبشر بالعتق الذي تحققه المعمودية:

"لقد أتحت لأبناء ابراهيم ان يعبروا البحر الأحمر على اقدامهم لكي يكون الشعب المعتق من العبودية رمزا لشعب المعمدين".

1222- ونجد اخيراً للمعمودية صورة مسبقة في عبور الأردن الذي نال به شعب الله عطية الأرض الموعودة لنسل إبراهيم، وهو صورة الحياة الأبدية. ويتحقق الوعد بهذا الميراث السعيد في العهد الجديد.

معمودية المسيح

1223- جميع رموز العهد القديم تنتهي في المسيح يسوع. فقد بدأ حياته العلنية من بعد ان تعمد على يد يوحنا المعمدان في الأردن. ومن بعد قيامته وكل على تلاميذه هذه الرسالة: "اذهبوا وتلمذوا جميع الامم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا كل ما اوصيتكم به" (متى 28، 19- 20).

1224- لقد خضع ربنا بملء رضاه المعمودية القديس يوحنا المعدة للخطأة، وذلك لكي يتم كل بر فجاء صنيع يسوع هذا دليلاً على " تلاشيه " وإذا بالروح الذي كان يرف على وجه المياه، في بدء الخليقة الاولى، يهبط على المسيح، إيذانا بالخليقة الجديدة، وإذا بالآب يعلن يسوع ابنه الحبيب.

1225- بفصحه، فجر المسيح لجميع الناس ينابيع المعمودية. والواقع أنه عندما تحدث عن آلامه التي كان مزعما أن يكابدها في اورشليم، إنما تحدث عن "معمودية" كان عليه أن يقبلها وما الدم والماء اللذان خرجا من جنب يسوع المطعون، وهو على الصليب، سوى رمزين للمعمودية والافخارستيا، سرى الحياة الجديدة. فأصبح، من ثم، ممكنا أن " يولد الإنسان من الماء والروح " ليدخل ملكوت الله (يو 3، 5).

"أنظر أين تتعمد، ومن اين المعمودية، إن هي ألا من صليب المسيح، ومن موت المسيح هنا يكمن السر كله: إنه تعذب من اجلك، وفيه نلت الفداء، وحظيت بالخلاص".

المعمودية في الكنيسة

1226- منذ يوم العنصرة، احتفلت الكنيسة بالمعمودية المقدسة ومنحتها. فقد أعلن القديس بطرس للجمع المتأثر بكلامه: "توبوا، وليعتمد كل منكم باسم يسوع المسيح لغفران خطاياكم، فتنالوا موهبة الروح القدس" (رسل 2، 38) وقد تقدم الرسل ومعاونوهم بالمعمودية إلى كل من آمن بيسوع: اليهود والتقاة والوثنيين. ونلاحظ أن المعمودية قد ارتبطت دائما بالإيمان شرطاً: "آمن بالرب يسوع تنل الخلاص أنت وأهل بيتك": هذا ما قاله القديس بولس للسجان في مدينة فليبي وجاء في سياق الرواية: "واعتمد السجان من وقته، واعتمد ذووه جميعاً" (رسل 6، 31- 33).

1227- المؤمن، على حد قول القديس بولس، يشترك بالمعمودية في موت المسيح، ويدفن وينهض معه.

"إنا، إذ اعتمدنا في يسوع المسيح، إنما اعتمدنا في موته فلقد دفنا معه بالمعمودية للموت، حتى إنا، كما اقيم المسيح من بين الاموات بمجد الاب، كذلك نسلك نحن أيضا في حياة جديدة" (روم 6، 3- 4)".

المعمدون "قد لبسوا المسيح"، وبالروح القدس تصير المعمودية غسلاً ينقى ويقدس ويبرر.

1228- المعمودية هي إذًا غسل بالماء، فيه "زرع كلمة الله غير الفاسد" ينتج ثمره المحيي، ويقول القديس أوغسطينوس في المعمودية: "تنضم الكلمة إلى العنصر المادي ويصير ذلك سراً".

III. كيف نحتفل بسر المعمودية

التنشئة المسيحية

1229- كان الإنسان، منذ عهد الرسل، يصبح مسيحياً، عبرة مسيرة وتنشئة تستغرق عدة مراحل. هذه الطريق يمكن اجتيازها بسرعة أو ببطء، ويجب ان تتضمن بعض العناصر الجوهرية: إعلان الكلمة، قبول الإنجيل وما يستتبعه من توبة، الاعتراف بالإيمان، المعمودية، فيض الروح القدس، الإقبال على الشركة الإفخارستية.

1230- هذه التنشئة قد تبدلت كثيراً عبر الأجيال وتبعاً للظروف. في القرون الأولى من تاريخ الكنيسة عرفت هذه المرحلة التفقيهية امتدادا واسعا مع فترة طويلة من الموعوظية وسلسلة من الطقوس الإعدادية التي كانت تواكب ليتورجيا طريق الموعوظية، وتنتهي في الاحتفال بأسرار التنشئة المسيحية.

1231- حيث معمودية الاطفال أصبحت هي الطريقة الشائعة والمألوفة للاحتفال بهذا السر، انحصر هذا الاحتفال في عمل فرد يدمج، بطريقة مختصرة جداً، المراحل التي تسبق التنشئة المسيحية فمعمودية الاطفال تفرض، بذات طبيعتها، تفقيهيا في الدين يعقب المعمودية. ولسنا هنا فقط في صدد الحاجة الى تثقيف ديني يعقب المعمودية، ولسنا هنا فقط في صدد الحاجة الى تثقيف ديني يعقب المعمودية، بل الى التفتح الضروري لنعمة المعمودية في نمو الانسان وهذا هو الحيز المميز الذي يتم فيه التعليم المسيحي.

1232- لقد أمر المجمع الفاتيكاني الثاني بإحياء "الموعوظية للبالغين موزعة على عدة مراحل" وذلك في إطار الكنيسة اللاتينية ونجد طقوس هذه الموعوظية في "كتاب التفقيه المسيحي للبالغين" (1972) وقد أذن المجمع ايضا، بأن تعتمد، في بلاد "الإرساليات"، إلى جانب العناصر التفقيهية

"التي ينطوي عليها التقليد المسيحي، المواد التعليمية الأخرى التي يلحظ استعمالها عند كل شعب من الشعوب، على ان يكون من الممكن تكييفها مع الطقس المسيحي".

1233- تفقيه البالغين في الإيمان المسيحي يبدأ اليوم إذًا، في جميع الطقوس اللاتينية والشرقية، منذ دخولهم الموعوظية، ويبلغ ذروته في احتفال واحد بالأسرار الثلاثة: المعمودية والتثبيت والإفخارستيا، وأما في الطقس الروماني فيتواصل تفقيه الأولاد في الدين خلال سنوات وينتهي لاحقا بالتثبيت والافخارستيا وهي ذروة التفقيه في الدين المسيحي.

مدخل الى فهم الاحتفال

1234- معنى سر المعمودية ونعمته يظهران ظهوراً جلياً في طقوس الاحتفال ويستطيع المؤمنون، إذا تتبعوا بانتباه ما يجرى في الحفلة من أقوال وأفعال، وشاركوا فيها، أن يدركوا الكنوز التي يعينها هذا السر ويحققها في كل معتمد جديد.

1235- إشارة الصليب، في مطلع الاحتفال، تشير الى وسم المسيح على المزمع ان ينتسب إليه ويرمز إلى نعمة الفداء التي استحقها لنا المسيح بصليبه.

1236- إعلان كلمة الله يشرق بنور الحقيقة الموحاة على المرشحين للمعمودية وعلى الجماعة، ويوقظ جواب الإيمان الذي لا ينفصل عن المعمودية، ولا غرو، فالمعمودية هي بطريقة خاصة، "سر الإيمان" لأنها بمثابة المدخل الأسراري إلى حياة الإيمان.

1237- نظراً إلى أن المعمودية تؤدي معنى الانعتاق من الخطيئة ومن المحرض عليها أي الشيطان، تتلى بعض التقاسيم على المرشح للمعمودية، ويمسح بزيت الموعوظين، او يضع المحتفل يده عليه، ويكفر صراحة بالشيطان، فمع هذا الاستعداد، يمكنه أن يعترف بإيمان الكنيسة التي "يؤكل إليها بالمعمودية".

1238- ماء المعمودية يقدس عندئذ بصلاة استدعاء للروح القدس (في لحظة ذاتها أو في ليلة الفصح)، تطلب فيها الكنيسة الى الله أن تحل على هذا الماء، بواسطة ابنه، قوة الروح القدس، فيولد المعمدون فيها "من الماء والروح" (يو 3، 5).

1239- ثم يلي ذلك الطقس الأساسي في المعمودية، أي التعميد نفسه الذي يعني ويحقق موت الانسان دون الخطيئة وولوجه في حياة الثالوث الاقدس، متصورا بصورة المسيح في سره الفصحي وتتم المعمودية بأعمق معانيها بالتغطيس ثلاثاً في ماء المعمودية ولكن المعمودية يمكن ان تمنح، تبعا لتقليد عريق، يصب الماء ثلاثاً على راس المعتمد.

1240- في الكنيسة اللاتينية، يقول المعمد، وهو يصب الماء ثلاثاً على المعتمد: "يا فلان اعمدك باسم الاب والابن والروح القدس" في الليتورجيات الشرقية يوجه المعتمد جهة الشرق، ويتلو عليه الكاهن عبارة التعميد: "يعمد عبد الله (فلان) باسم الاب والابن والروح القدس"، وعند ذكر كل من الأقانيم الثلاثة، يغطسه في الماء وينتشله.

1241- المسحة بالزيت المقدس، وهو زيت معطر يقدسه الأسقف، ويرمز الى موهبة الروح القدس للمعمد الجديد. لقد أصبح مسيحياً أي "ممسوحاً" بمسحة الروح القدس ومتحداً بالمسيح الممسوح كاهنا ونبياً وملكاً.

1242- في ليتورجيا الكنائس الشرقية، المسحة التي تلي المعمودية هي سر الميرون (التثبيت) في الليتورجيا الرومانية تؤذن بمسحة أخرى بالزيت المقدس سوف يمنحها الأسقف وهي سر التثبيت الذي "يثبت"، نوعاً ما، مسحة المعمودية ويكملها.

1243- الثوب الأبيض يرمز إلى أن المعمد قد لبس المسيح، ونهض مع المسيح والشمعة المسرجة من شمعة الفصح، ترمز إلى أن المسيح قد أنار المعتمد جديداً. فالمعمدون في المسيح هم "نور العالم" (متى 5، 14).

المعمد جديداً قد أصبح الآن ابن الله في الابن الوحيد وبإمكانه أن يتلو صلاة أبناء الله: *الأبانا* .

1244- المناولة الإفخارستية. يقبل المعمد وقد صار ابنا لله وارتدى حلة العرس "في وليمة عرس الحمل"، ويتناول قوت الحياة الأبدية، أي جسد المسيح ودمه إن الكنائس الشرقية لا تزال على وعى رهيف لوحدة الأسرار المولجة إلى الحياة المسيحية، فتمنح المناولة المقدسة لكل المعمدين والمثبتين جديداً، وحتى للأولاد الصغار، متذكرة قول الرب: "دعوا الأطفال يأتون على، لا تنعوهم" (مر 10، 14) وأما الكنيسة اللاتينية فهي تقصر التقرب من المناولة المقدسة على الذين بلغوا سن الرشد، وتعبر عن التواصل القائم بين المعمودية والافخارستيا، بتقريب الطفل المعمد جديداً من المذبح، للتلاوة صلاة "الأبانا".

1245- البركة الاحتفالية تختتم حفلة المعمودية. وفي حال تعميد المولودين جديداً تحظى الأم ببركة خاصة.

IV. من هو المؤهل لقبول سر المعمودية

1246- "كل بشر لم يعتمد بعد، يستطيع وحده أن يقبل المعمودية".

معمودية البالغين

1247- معمودية البالغين، منذ مطالع الكنيسة، هي الحالة الشائعة في الاماكن الحديثة العهد ببشارة الإنجيل. فالموعوظية (وهي فترة الاستعداد للمعمودية) تشغل والحالة هذه، مكانا ملحوظاً: فهي المدخل الى الإيمان والحياة المسيحية، ويجب أن تعد الناس لتلقى عطية الله في المعمودية والتثبيت والافخارستيا.

1248- الموعوظية أي تثقيف الموعوظين، هدفها أن تتيح لهؤلاء تلبية البادرة الإلهية، ضمن جماعة كنسية، والعمل عللي إنضاج توبتهم وإيمانهم. فالموعوظية "هي تنشئة في الحياة المسيحية من كل جوانبها (...) يتحد فيها التلاميذ بالمسيح معلمهم وعلى الموعوظين ان يفقهوا في معرفة اسرار الخلاص وممارسة الحياة الإنجيلية، وأن يدخلوا، عبر طقوس مقدسة يحتفل بها في فترات متتالية، حياة الإيمان والليتورجيا والمحبة القائمة في شعب الله".

1249- الموعوظين "أصبحوا متحدين بالكنيسة، وأصبحوا من بيت المسيح وليس من النادر ان يحيوا حياة إيمان ورجاء ومحبة". "والكنيسة الام تحوطهم بالمحبة والعناية كما تحوط أبناءها".

معمودية الأطفال

1250- يولد الاطفال بطبيعة بشرية ساقطة وملطخة بالخطيئة الاصلية، ويحتاجون من، إلى أن يولدوا، هو أيضا، ولادة جديدة في المعمودية، ويعتقوا من سلطان الظلام، وينقلوا إلى رحاب حرية أبناء الله، التي دعي اليها الناس بأجمعهم. مجانية نعمة الخلاص تظهر في كل نصاعتها، في معمودية الاطفال. ومن ثم، فالكنيسة والاهل يحرمون ولدهم نعمة لا تقدر، وهي أن يصير ابنا الله، إذا لم يمنحوه المعمودية وقتا قصيراً بعد مولوده.

1251- وعلى الوالدين المسيحيين ان يقروا بان هذه الطريقة في التصرف تتجاوب أيضا مع المهمة التي وكلها الله إليهم، بأن يوفروا لأبنائهم غذاء الحياة.

1252- تعميد الاطفال تقليد عريق في الكنيسة، نجد له، منذ القرن الثاني، إثباتات صريحة بيد أنه من الممكن ايضا ان تكون المعمودية قد منحت للأطفال، منذ مطلع الكرازة الرسولية، عندما كانت "بيوت" بجميع أفرادها تقبل المعمودية.

الإيمان والمعمودية

1253- المعمودية سر الإيمان ولكن الإيمان بحاجة الى جماعة المؤمنين ولا يستطيع أحد من المؤمنين ان يؤمن إلا في إطار الكنيسة الايمان الذي تقتضيه المعمودية ليس إيمانا كاملات

وناضجاً بل هو بداية إيمان بحاجة على أن يتطور والدليل على ذلك هو السؤال المطروح على الموعوظ او على عرابه: "ماذا تطلب من كنيسة الله؟" ويجيب "الإيمان!".

1254- لابد للإيمان من أن ينمو بعد المعمودية، لدى جميع المعمدين، اطفالا كانوا ام بالغين ولذا تحتفل الكنيسة، كل عام، في ليلة الفصح، بتجديد وعود المعمودية التأهب للمعمودية لا يقود إلا الى عتبة الحياة الجديدة، المعمودية هي نبع الحياة الجديدة في المسيح ومنها تنجس الحياة المسيحية كلها.

1255- من الاهمية بمكان أن يساعد الاهل في تفتح نعمة المعمودية. وهذه هي ايضا مهمة العراب- العرابة، اللذين يجب أن يكونوا من المؤمنين الراسخين، المؤهلين والمستعدين لمعاضدة المعتمد جديداً، طفلاً كان أم بالغاً، في طريقه الى الحياة المسيحية مهمتها وظيفة كنسية حقيقية، على ان تتحمل الجماعة الكنيسة كلها نصيباً من المسؤولية في تنمية نعمة المعمودية وصونها.

V. من يعمد؟

1256- الأسقف والكاهن، وفى الكنيسة اللاتينية، الشماس الإنجيلي أيضا هم الذين يمنحون عادة سر المعمودية، وفى حالة الضرورة يجوز لكل إنسان، وأن غير معمد، ان يمنح سر المعمودية، بشرط أن تكون له النية المطلوبة ويستعمل صيغة العماد الثالوثية والنية المطلوبة هي ان يقوم الانسان بما تقوم به الكنيسة عندما تمنح سر المعمودية وان يستعمل الصيغة الثالوثية المرعية في المعمودية، وترى الكنيسة سبباً لهذا الاحتمال إرادة الله ان يخلص جميع الناس، وضرورة المعمودية للخلاص.

VI. ضرورة المعمودية

1257- يؤكد السيد نفسه ضرورة المعمودية للخلاص. ولذا أمر تلاميذه ان يعلنوا البشارة ويعمدوا جميع الامم. المعمودية ضرورية لخلاص الذين يبشروا وتمكنوا من طلب هذا السر. ولا تعرف الكنيسة غير المعمودية وسيلة أخرى تكفل للإنسان أن يدخل السعادة. ولذا تحترز الكنيسة من اهمال الرسالة التي تلقتها من السيد: وهي أن تعمل على أن "يولد جديدا من الماء والروح" كل الذين يمكنهم أن يتعمدوا إن الله قد ربط الخلاص بسر المعمودية، ولكنه هو نفسه غير مرتبط بالأسرار التي وضعها.

1258- لقد اعتقدت الكنيسة منذ القدم اعتقاداً ثابتاً، بأن الذين يموتون في سبيل الله، ولم ينالوا المعمودية، إنما يعتمدون بموتهم لأجل المسيح ومع المسيح. هذه المعمودية، كالمعمودية بالشوق، تحمل ثمار المعمودية من غير أن تكون سراً.

1259- وأما الموعوظين الذين يموتون قبل ان يعتمدوا، فرغبتهم الصريحة في قبول المعمودية، مقرونة بالتوبة عن خطاياهم وبالمحبة، تكفل لهم الخلاص الذي لم ينالوه بسر المعمودية.

1260- "بما ان المسيح مات من اجل الجميع، وبما أن دعوة الإنسان الأخيرة هي في الحقيقة واحدة، وهي دعوة إلهية، فمن الواجب علينا أن نكون على يقين من ان الروح القدس يمكننا، بطريقة يعرفها الله، منن الاشتراك بالسر الفصحي"، فكل انسان يجهل انجيل المسيح وكنيسته ويسعى إلى الحقيقة ويمثل إرادة الله، كما يعرفها، يستطيع أن يخلص ويمكن أن نفترض أن مثل هؤلاء الناس، لو عرفوا ضرورة المعمودية، لكانوا تشوقها صراحة.

1261- وأما الأطفال الذين يموتون بلا معمودية، فالكنيسة لا تقدر إلا أن تكل أمرهم إلى الرحمة الإلهية كما هو دأبها في الجنازة لأجلهم ولا شك أن واسع رحمة الله الذي يريد أن يخلص جميع الناس (1 طيم 2، 4) وان محبة يسوع للأطفال وهو القائل دعوا الأطفال يأتون الى لا تمنعوهم (مر 10، 4) يتيحان لنا الأمل بان يجد الأطفال الذين يموتون بلا معمودية طريقا إلى الخلاص ولهذا تنادي الكنيسة بإلحاح ألا يمنع الأطفال من أن يأتوا إلى المسيح بواسطة موهبة المعمودية المقدسة

VII. 7- نعمة المعمودية

1262- إن ما تؤتيه المعمودية من ثمار متنوعة ترمز إليه العناصر الحسية المستعملة في شعائر هذا السر فالتغطيس في الماء يستلهم رموز الموت والتنقية كما يستلهم أيضا الولادة الثانية والتجدد المفعولان الأساسيان هما إذًا التنقية من الخطايا والولادة الجديدة في الروح القدس.

لمغفرة الخطايا

1263- بالمعمودية تغفر الخطايا كلها الخطيئة الأصلية وجميع الخطايا الفردية وجميع عواقب الخطيئة فالذين ولدوا ثانية لا يبقي فيهم ما يحجبهم عن دخول ملكوت الله لا خطيئة آدم ولا الخطيئة الفردية ولا ذيول الخطيئة وأخطرها الانفصال عن الله.

1264- بيد أن المعمد يلبث عرضة لبعض مفاعيل الخطيئة الزمنية كالآلام والمرض والموت والشوائب الداخلة في صميم الحياة كالأوهان المزاجية الخ... والميل إلى الخطيئة أو الشهوة كما

يسميها التقليد أو بؤرة الخطيئة على سبيل المجاز لقد تركت لنا الشهوة لصراعاتنا ولكنها أعجز من أن تلحق الأذى بالذين لا ينقادون لها بل يتصدون لها بشجاعة بنعمة المسيح أضف إلى ذلك أن الذي يصارع شرعيا ينال الإكليل (2 طيم 2، 5).

الخليقة الجديدة

1265- المعمودية لا تطهر من كل الخطايا وحسب بل تصير المعتمد الجديد خلقا جديدا (2 كو 5، 17) وابنا لله بالتبني وشريكا في الطبيعة الالية (2 بط 1، 4)، وعضواً في جسد المسيح ووارثا معه، وهيكلاً للروح القدس.

1266- إن الثالوث المقدس يهب المعتمد النعمة المقدسة، النعمة المبررة، وهي:

- تمكن المعتمد من أن يتوجه إلى الله بالإيمان والرجاء والمحبة وذلك عن طريق الفضائل الإلهية.
- وتقوية ليحيا ويعمل بحفز من الروح القدس، عن طريق مواهب الروح القدس.
- وتتيح له أن ينمو في الخير بواسطة الفضائل الأدبية.

وهكذا نرى أن كل بنية الحياة الفائقة الطبيعة لدى المسيحي لها جذورها في المعمودية المقدسة.

مندمجون في الكنيسة، جسد المسيح

1267- عن المعمودية تصيرنا أعضاء جسد المسيح "أولسنا، من ثم، أعضاء بعضنا لبعض؟" (أف 4، 25) المعمودية تضمنا إلى الكنيسة. ومن أجران المعمودية يولد شعب الله الأوحد، شعب العهد الجديد الذي يتخطى كل الحدود الطبيعية والبشرية القائمة بين الامم والثقافات والأعراق والأجناس: "إنا قبلنا المعمودية جميعاً في روح واحد لنكون جسداً واحداً" (1 كو 12، 13).

1268- لقد أصبح "المعمدون "حجارة حية" لبناء بيت روحاني، وكهنوت مقدس" (1 بط 2، 5) فهم، بالمعمودية، يشتركون في كهنوت المسيح ورسالته النبوية والملكية؛ إنهم "ذرية مختارة وكهنوت ملكي، وأمة مقدسة وشعب اصطفاه الله للإشادة بآيات من دعاهم من الظلمات إلى نوره العجيب" (1 بط 2، 9). المعمودية تخولنا نصيبا في كهنوت المؤمنين العام.

1269- المعمد الذي صار عضواً في الكنيسة لم يعد ملك ذاته، بل ملك من مات وقام لأجلنا وبالتالي فهو مدعو إلى أن يخضع للآخرين، ويخدمهم في شركة الكنيسة، وان "يطيع" رؤساء الكنيسة "ويخضع" لهم، وأن يمحضهم الاحترام والمحبة وكما أن المعمودية هي مصدر مسؤوليات

وواجبات، فالمعمد يتمتع أيضا بحقوق في حضن الكنيسة: أن ينال الأسرار ويتغذى بكلمة الله ويجد دعماً في ما تقدمه الكنيسة من رفود روحية أخرى.

1270- "على (المعمدين) الذين أصحوا أبناء الله بالولادة الجديدة (أي المعمودية) أن يتعرفوا أمام الناس بالإيمان الذي تلقوه من الله بواسطة الكنيسة"، ويشتركوا في النشاط الرسولي والرسالي الذي يضطلع به شعب الله.

المعمودية رباط الوحدة الأسراري بين المسيحيين

1271- المعمودية هي الأساس الذي تقوم عليه الشركة بين جميع المسيحيين وأيضا مع الذين ليسوا بعد في شركة كاملة مع الكنيسة الكاثوليكية: "إن الذين يؤمنون بالمسيح وقبلوا المعمودية قبولاً صحيحاً، هم على الشركة، وأن غير كاملة، مع الكنيسة الكاثوليكية (..) وبما أنهم برروا بالإيمان الذين نالوه في المعمودية، وصاروا به أعضاء في جسد المسيح، فإنهم بحق يحملون الاسم المسيحي وبحق يرى فيهم أبناء الكنيسة الكاثوليكية إخوة في الرب". المعمودية هي إذًا الرباط الأسراري للوحدة القائمة بين الذين ولدوا بها ثانية.

سمة روحية لا تمحى...

1272- المعمد الذي اندمج بالمعمودية، في جسد المسيح، قد صار على مثال صورة المسيح فالمعمودية تختم المسيحي روحي لا يمحى (الوسم)، يكرس انتماءه إلى المسيح. هذا الختم لا تمحوه خطيئة أيا كانت، حتى وان حجبت الخطيئة ثمار الخلاص التي تؤتيها المعمودية. ومن ثم، فالمعمودية تمنح مرة واحدة ولا تتكرر

1273- إن المؤمنين، باندماجهم بالمعمودية في جسد المسيح، قد نالوا، بواسطة هذا السر، ثمة التكريس للقيام بالعبادة الدينية المسيحية هذه السمة تمكن المسيحيين من التجند لخدمة الله في مشاركة حية في ليتورجيا الكنيسة المقدسة ومن ممارسة كهنوتهم العمادي بشهادة سيرة مقدسة ومحبة فاعلة.

1274- "ختم الرب" هو السمة التي وسمنا بها الروح القدس "ليوم الفداء" (أف 4، 30). "فالمعمودية هي ختم الحياة الأبدية"، والمؤمن الذي "يحفظ الختم" سالما حتى النهاية، أي الذي يظل وفيا لمقتضيات معموديته، بوسعه أن يحيا، "موسوماً بوسم الإيمان"، أي بإيمان معموديته، بانتظار رؤية الله السعيدة- وهي خاتمة الإيمان- وفى رجاء القيامة.

بايجاز

1275 *- المدخل إلى الحياة المسيحية يتم بمجموع الأسرار الثلاثة: المعمودية وهي بدء الحياة الجديدة، والتثبيت وهو دعامتها، والافخارستيا التي تغذى التلميذ من جسد المسيح ودمه لكي يتحول إليه.*

1276 *- "أذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا كل ما أوصيتكم به" (متى 28، 19- 20).*

1277 *- المعمودية هي الولادة للحياة الجديدة في المسيح وهي، بمقتضى إرادة الرب، ضرورية للخلاص، كالكنيسة نفسها التي مدخلها المعمودية.*

1278 *- الطقس الأساسي في المعمودية هو تغطيس المعتمد في الماء أوصب الماء على رأسه، مع استدعاء الثالوث الأقدس، الأب والابن والروح القدس.*

1279 *- ثمرة المعمودية أو نعمة المعمودية هي حقيقة غنية، من مفاعليها: نحو الخطيئة الأصلية وكل الخطايا الفردية؛ الولادة للحياة الجديدة التي تصير الإنسان ابنا لله بالتبني، وعضوا في جسد المسيح، وهيكلا للروح القدس، وبالفعل نفسه يصبح المعمد عضوا في الكنيسة، جسد المسيح، وشريكاً في كهنوت المسيح.*

1280 *- المعمودية تختم النفس بختم روحي لا يبلى، ووسم يكرس المعمد للقيام بشعائر العبادة المسيحية، وبسبب هذا الوسم، لا يجوز تكرار المعمودية.*

1281 *- الذين يموتون في سبيل الإيمان، والموعوظون وكل الذين بدافع النعمة يلتمسون الله بإخلاص ويجدون في تحقيقه إرادته، من غير أن يعرفوا الكنيسة، يمكن أن يخلصوا وأن لم يخطوا بالمعمودية.*

1282 *- منذ أقدم العهود، تمنح المعمودية للأطفال، لن المعمودية نعمة وعطية من الله لا تفترضان استحقاقات بشرية، الأطفال يعمدون في إيمان الكنيسة. ودخول الحياة المسيحية يجعل الحرية الحقيقة في متناول الإنسان.*

1283 *- وأما في شأن الأولاد الذين يموتون بلا معمودية، فليتورجيا الكنيسة تدعونا على الثقة بالرحمة الإلهية، والى الصلاة لأجل خلاصهم.*

1284 *- في حال الضرورة يجوز لكل إنسان أن يمنح المعمودية، بشرط أن ينوى القيام بما تقوم به الكنيسة، ويصب الماء على رأس المعتمد، قائلاً: "أعمدك باسم الآب والابن والروح القدس".*

المقال الثاني

سر التثبيت

1285- مع المعمودية والافخارستيا يؤلف سر التثبيت مجموع الأسرار المدخلة إلى الحياة المسيحية التي لابد من المحافظة على وحدتها لابد إذًا من أن يفسر للمؤمنين أن قبول هذا السر ضروري لإنجاز نعمة المعمودية فبسر التثبيت يتوثق ارتباط المعمدين بالكنيسة على وجه أكمل ويؤتيهم الروح القدس قوة خاصة تلزمهم التزاما اشد بنشر الإيمان والذود عنه بالقول والعمل فعل شهود للمسيح حقيقيين

I. التثبيت في تدبير الخلاص

1286- لقد أنبا أنبياء العهد القديم أن روح الرب يحل على المسيح المرتقب لتحقيق رسالته الخلاصية وهبوط الروح القدس على يسوع عندما عن يد يوحنا كان الدليل على انه هو المزمع أن يأتي وانه هو: المسيح ابن الله وبما انه حبل به بالروح القدس فحياته كلها ورسالته كلها قد تحققتا في ملء الشركة مع الروح القدس الذي أفاضه الآب علية بغير حساب (يو 3، 34)

1287- ملء الروح هذا لم يكن ليظل مقصورا على المسيح بل كان لابد أن يعم الشعب الماسيوي بأسره وقد وعد المسيح غير مرة بان يفيض الروح وقد تم ذلك أولا يوم الفصح ثم بطريقة أسطع يوم العنصرة فامتلاء الرسل من الروح القدس وابتدأوا يعلنون عجائب الله (رسل 2، 11) وصرح بطرس أن إفاضة الروح إنما هي علامة الأزمنة الماسيوية فالذين امنوا بكرازة الرسل وقبلوا المعمودية نالوا هم أيضا الروح القدس.

1288- منذ ذلك الحين اخذ الرسل يضعون الأيدي على المعتمدين حديثا امتثالا لإرادة المسيح ويمنحوهم موهبة الروح القدس مكملة نعمة المعمودية ولذا نجد في الرسالة إلى العبرانيين بين مقومات مبادئ التعليم المسيحي العقيدة في شان المعموديات وفي شان وضع الأيدي أيضا ويري التقليد الكاثوليكي بحق في وضع الأيدي جذور سر التثبيت الذي يواصل نوعا ما في الكنيسة موهبة العنصرة

1289- وقد انضاف قديما جدا إلى وضع الأيدي مسحة بالزيت المعطر (الميرون) ترمز إلى موهبة الروح القدس هذه المسحة تفسر اسم المسيحي أي الممسوح والمستوحى من اسم المسيح نفسه الذي مسحة الله بالروح القدس (رسل 10، 38) هذه المسحة لا تزال مستعملة إلى أيامنا هذه

في الشرق كما في الغرب ولذا يسمى هذا السر في الشرق سر المسحة أي المسحة بالزيت المقدس أو الميرون تسمية هذا السر بسر التثبيت في الغرب توحي بان هذا السر يثبت المعمودية وفي الوقت عينه يوطد النعمة العمادية.

تقليدان: في الشرق وفي الغرب

1290- في القرون الأولى كان التثبيت يمنح عادة، مع المعمودية، في حفلة واحدة، مكوناً معها، على حد تعبير القديس كبريانوس، "سراً مزدوجاً". من جملة الأسباب التي منعت حضور الأسقف في كل حفلات المعمودية، تكاثر عدد معموديات الأطفال، في كل أوقات السنة، وتكاثر عدد الرعايا (الريفية)، ومن ثم تضخم الابرشيات. في الغرب، بسبب الرغبة في أن تحصر في الأسقف حفلة تتويج المعمودية بالتثبيت، بدأت عادة الفصل بين السرين بمسافة زمنية وأما الشرق فقد ظل على إقامة السرين متحدين، بحيث بات الكاهن المعمد هو الذي يمنح سر التثبيت، ولكن لا يجوز لهذا الكاهن أن يمسح إلا "بالميرون" الذي يقدسه الأسقف.

1291- لقد سهلت كنيسة روما، جرياً على عادة لديها، تطور الممارسة الغريبة باعتماد مسحة مزدوجة بالزيت المقدس بعد المعمودية، يمنحها الكاهن للمتعمد جديداً بعد غسل المعمودية، ويكملها الأسقف بمسحة ثانية على جبهة كل من المعتمدين الجدد فالمسحة الأولى بالزيت المقدس التي يمنحها الكاهن ظلت مرتبطة بالطقس العمادي، وترمز إلى اشتراك المعتمد في وظائف المسيح الثلاث النبوية والكهنوتية والملكية أما أذا منحت المعمودية لبالغ فليس ثمة سوى مسحة واحدة بعد المعمودية، هي مسحة التثبيت.

1292- الطريقة المتبعة في الكنائس الشرقية تنوه بوحدة الأسرار المدخلة إلى الحياة المسيحية وأما الطريقة اللاتينية فتعبر بوضوح أكثر عن الشركة القائمة بين المعتمد حديثاً وأسقفه، ككفيل وخادم وحدة كنيسته وشموليتها، ومن ثم فهي تعبر عن الرباط الذي يصلها بكنيسة المسيح وجذورها الرسولية.

II. علامات سر التثبيت ورتبته

1293- رتبة سر التثبيت تتضمن المسحة علامة حسية، وما ترمز اليه المسحة وتطبعه في النفس، وهو الختم الروحي. المسحة، في الرموزية الكتابية والغابرة، مشحونة بالمعاني: فالزيت هو رمز الوفرة والبهجة، ووسيلة تنقية (المسحة قبل الغسل وبعده) ومرونة (مسحة الرياضيين والمصارعين)، وهو علامة شفاء، بدليل أنه يخفف الكدمات والجروح، ويضفى على الجسد جمالاً وصحة وقوة.

1294- كل هذه المعاني المرتبطة بمسحة الزيت نجدها في الحياة الأسرارية فالمسحة قبل المعمودية بزيت الموعوظين ترمز إلى التنقية والتقوية؛ مسحة المرضى تشعر بالبرء والابلال من المرض. والمسحة بالزيت المقدس بعد المعمودية في سر التثبيت، والرسامة الكهنوتية هي علامة التكريس بالتثبيت يشترك المسيحيون، أي المسحاء، اشتراكا أفعل في رسالة يسوع المسيح وامتلائه من الروح القدس الفائض فيه، فيفوح من حياتهم " أريج طيب المسيح ".

1295- بهذه المسحة ينال طالب التثبيت " سمة " الروح القدس " وختمه " فالختم هو رمز الشخص وعلامة سلطته وامتلاكه لمتاع ما- فهكذا كانوا يسمون قديماً الجنود بوسم زعيمهم، والعبيد بوسم سيدهم-؛ وهو مصداق فعل قانوني، أو وثيقة يضفي عليهما طابع السرية.

1296- المسيح نفسه يعلن ذاته مثبتا بختم أبيه. والمسيحي هو أيضا ممهور بختم "إن الذي يثبتنا وإياكم للمسيح والذي مسحنا هو الله، وهو الذي ختمنا بخاتمة وجعل في قلوبنا عربون روحه" (2 كو 1، 21- 22). ختم الروح القدس هذا هو علامة الانتماء الكامل إلى المسيح والتطوع لخدمته على الدوام، ولكنه وعد لنا أيضا برعايته تعالى في محنة الأزمنة الأخيرة.

الاحتفال بسر التثبيت

1297- هناك لحظة هامة تسبق الاحتفال بسر التثبيت، وإن كانت نوعا ما، جزءا منه لا يتجزأ: وهي لحظة تكريس الزيت المقدس. الأسقف هو الذي يكرس الزيت المقدس لكل أبرشيته، يوم الخميس المقدس، أثناء القداس الميروني. في كنائس الشرق هذا التكريس محفوظ للبطريرك:

الليتورجيا الانطاكية تعبر على النحو التالي عن استدعاء الروح القدس لتكريس الزيت المقدس (الميرون): "(أيها الآب (...) أرسل روحك القدوس) علينا وعلى هذا الزيت الذي بين أيدينا وقدسه ليكون لجميع الذين يمسحون ويختمون به، ميروناً مقدسا، ميروناً كهنوتياً، ميروناً ملكياً، مسحة بهجة، وثوب النور، وحلة الخلاص، والعطية الروحية، وتقديسا للنفوس والاجساد، والسعادة التي لا تبلى، والختم لا يمحى، ودرع الإيمان والخوذة الرهيبة لصد كل غزوات العدو".

1298- عندما يحتفل بسر التثبيت مفصولاً عن المعمودية، كما هي الحال في الطقس اللاتيني تبدأ ليتورجيا التثبيت بتجديد وعود المعمودية وإعلان إيمان المزمعين أن ينالوا السر، ويتضح هكذا أن التثبيت يظل في خط المعمودية وأما إذا تعمد أحد البالغين فينال حالاً سر التثبيت ويشترك في الافخارستيا.

1299- في الطقس الروماني، يبسط الأسقف يديه على مجموع المستعدين للتثبيت، وذلك، من عهد الرسل، علامة موهبة الروح، ويلتمس الأسقف إفاضة الروح بهذا الدعاء.

"أيها الآب الفائق الصلاح، أبو ربنا يسوع المسيح انظر إلى هؤلاء المعمدين الذي نضع أيدينا عليهم لقد أعتقتهم من الخطيئة بالمعمودية ووهبتهم أن يولدوا ثانية من الماء والروح أفض الآن عليهم روحك القدوس، حسب وعدك أعطهم ملء الروح الذي نزل على ابنك يسوع: روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة والمحبة البنوية، املأهم من روح مخافة الله يسوع ربنا".

1300- ويلي الجزء الجوهري في رتبة سر التثبيت في الطقس اللاتيني "يمنح سر التثبيت بمسح الجبهة بالزيت المقدس ووضع اليد مع هذه الكلمات: "فلتختم بختم الروح القدس، موهبة الله" في الكنائس الشرقية، تتم المسحة بالميرون، بعد صلاة الاستدعاء، على الأجزاء المميزة في الجسم: الجبهة والعينين والأنف والأذنين والشفتين والصدر والظهر واليدين والرجلين، وترافق كل مسحة العبارة التالية: "ختم موهبة الروح القدس".

1301- قبلة السلام التي تأتي في ختام الحفلة ترمز إلى الشركة الكنيسة بين الأسقف وجميع المؤمنين وتظهرها.

III. مفاعيل التثبيت

1302- نستنتج من حفلة التثبيت أن مفعول السر هو افاضة الروح القدس الخاصة، كما أفيض قديماً على الرسل يوم العنصرة.

1303- من هذا الملحظ، يعمل سر التثبيت على إنماء نعمة المعمودية وترسيخها:

- يرسخنا ترسيخا أعمق في البنوة الإلهية التي تتيح لنا القول: " أبا، يا ابتاه (روم 8، 15)؛
- يزيدنا ثباتا في اتحادنا بالمسيح؛
- يزيد مواهب الروح القدس فينا؛
- يجعل ارتباطنا بالكنيسة أكمل؛
- يمنحنا قوة خاصة من الروح القدس لننتشر الإيمان ونذود عنه بالكلام والعمل، فعل شهود للمسيح حقيقيين، ونعترف باسم المسيح بشجاعة ولا نستحي أبدا بصليبه:

"تذكر أذن نلت الختم الروحي، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة والتقوى، روح مخافة المقدسة، وحافظ على ما نلته لقد ختمك الله الأب بختمه وثبتك المسيح الرب ووضع في قلبك عربون الروح".

1304- سر التثبيت، كالمعمودية التي يكملها، لا يمنح غلا مرة واحدة فالتثبيت يسم النفس بسمة روحية لا تبلى، أي "الختم"، وهو الدليل على أن يسوع المسيح قد ختم المسيح بختم روحه، وألبسه قوة من العلاء ليكون له شاهداً.

1305- "إن "الختم" يكمل كهنوت المؤمنين العام الذي نالوه في المعمودية" ويتلقى المثبت قوة الاعتراف بإيمان المسيح جهاراً: "تلك مهمة ألقيت على عاتقه".

IV. من الذي يقبل هذا السر

1306- كل معمد لم يثبت بعد يجوز له بل يجب عليه أن يقبل سر التثبيت وبما أن المعمودية والتثبيت والافخارستيا تؤلف وحدة، "فعلى المؤمنين"، من باب اللزوم، أن يقبلوا هذا السر في الوقت المناسب "لأن سر المعمودية، بدون التثبيت والافخارستيا، يبقى ولا شك صحيحا وفعالاً ولكن المدخل إلى الحياة المسيحية يظل ناقصاً".

1307- التقليد اللاتيني، منذ قرون، يعتبر "سن التمييز" نقطة ارتكاز لنيل سر التثبيت ولكن في خطر الموت، يجب تثبيت الأولاد حتى قبل بلوغهم سن التميز.

1308- إذا اعتبر التثبيت أحيانا "سر وألا يفوتنا أن نعمة المعمودية هي عطية اختيار مجانية لا نستحقها وليست بحاجة إلى أن "يصادق عليها" لتصبح فاعلة وهذا ما يذكر به القديس توما:

> "سن الجسد لا يجحف بالنفس وهكذا يستطيع الإنسان، حتى في عهد الطفولة، أن ينال كمال السن الروحي الذي يتحدث عنه سفر الحكمة: "إن الشيخوخة المكرمة ليست هي القديمة الأيام ولا هي تقدر بعدد السنين" (4، 8) وهكذا استطاع أولاد كثيرون، بقوة الروح القدس التي كانوا قد حظوا بها، أن يكافحوا بشجاعة وحتى الدم لجل المسيح".

1309- هدف الإعداد لسر التثبيت أن يتيح للمسيحي اتحادا أوثق بالمسيح، وألفة أعمق مع الروح القدس وعمله ومواهبه ونداءاته، ليتمكن من الاضطلاع بالمسؤوليات الرسولية التي توجيها الحياة المسيحية ولذا يجب السعي، في التعليم الإعدادي للتثبيت، إلى إيقاظ حسن الانتماء الى كنيسة يسوع المسيح، سواء الكنيسة الجامعة أم الجامعة الرعوية وتتحمل هذه الجماعة الاخيرة مسؤولية خاصة في تهيئة المعدين للتثبيت.

1310- لقبول التثبيت لابد للمرء من أن يكون في حالة البرارة. ويستحسن اللجوء إلى سر التوبة لتنقية الضمير، استعداداً لموهبة الروح القدس. ولابد من صلاة حارة تعد المؤمن لقبول قوة الروح القدس ونعمة قبولا سلساً وطيعاً.

1311- في التثبيت كما في المعمودية يستحسن اللجوء إلى *عراب* أو *عرابة* يقدمان للمرشحين للتثبيت دعماً روحيا. ويستحسن أيضا أن يكون هو نفس *العراب* المستدعى للمعمودية، تنويها بوحدة السرين.

7. خادم سر التثبيت

1312- الأسقف هو الخادم الأصيل لسر التثبيت، في الشرق، الكاهن المعمد هو الذي يمنح عادة وفورا سر التثبيت في حفلة واحدة ولكنه يستعمل، في التثبيت، الزيت الذي قدسه البطريك أو الأسقف، تأكيدا لوحدة الكنيسة الرسولية التي تجد، في سر التثبيت، وسيلة لتمتين عراها في الكنيسة اللاتينية يطبق هذا النظام نفسه في معموديات البالغين، وكل مرة يقبل، في ملء الشركة مع الكنيسة، معمد من طائفة مسيحية أخرى لم ينل سر التثبيت بوجه صحيح.

1313- في الطقس اللاتيني، الخادم الاعتيادي لسر التثبيت هو الأسقف. حتى وإن جاز للأسقف، في حال الضرورة، أن يفوض إلى كهنة سلطة القيام بمنح التثبيت، إلا أنه من اللائق أن يمنحه نفسه، ولا يفوته أن الاحتفال بسر التثبيت قد فصل وقتيا عن المعمودية لهذا السبب عينه، فالأساقفة هم خلفاء الرسل، وقد نالوا ملء سر الكهنوت، فإن يقوموا هم أنفسهم بمنح هذا السر يشير بوضوح إلى أن مفاعليه أن يوجد المثبتين، بطريقة أوثق، بالكنيسة وجذورها الرسولية ورسالتها القاضية بأن تكون شاهدة للمسيح.

1314- إذا وجد مسيحي في خطر الموت، يستطيع كل كاهن أن يمنحه سر التثبيت. فالكنيسة تريد ألا يخرج من هذا العالم أحد من أبنائها وان طفلاً، بدون أن يكتمل بالروح القدس وموهبة ملء المسيح.

بإيجاز

1315- *"وسمع الرسل في أورشليم أن السامرة قبلت كلمة الله، فأرسلوا إليها بطرس ويوحنا، فنزلا إليهما وصليا من اجلهم لينالوا الروح القدس، لأنه لم يكن قد نزل بعد على أحد منهم، إنما كانوا قد اعتمدوا فقط باسم الرب يسوع، فوضعا أيدهما عليهم، فنالوا الروح القدس " (رسل 8، 14- 17).*

1316- *التثبيت يكمل نعمة المعمودية إنه السر الذي يهب الروح القدس ليرسخنا ترسيخا أعمق في البنوة الإلهية، ويدمجنا، بوجه أثبت، في جسد المسيح، ويمتن ارتباطا بالكنيسة، ويشركنا أكثر في رسالتها، ويساعدنا في أداء شهادة الإيمان المسيحي قولا وعملاً.*

1317- التثبيت كالمعمودية يطبع النفس المسيحية بطابع روحي- أي بختم لا يبلى ولا يجوز، من ثم، قبول هذا السر إلا مرة واحدة في الحياة.

1318- في الشرق، يمنح هذا السر فوراً بعد المعمودية، ويليه الاشتراك في الافخارستيا، وهو تقليد بنوة بوحدة الأسرار الثلاثة المدخلة إلى الحياة المسيحية في الكنيسة اللاتينية يمنح هذا السر عندما يبلغ الولد سن الرشد، ويحضر الاحتفال به عادة في الأسقف للإشارة الى أن هذا السر يمتن الرباط الكنسي.

1319- طالب التثبيت الذي بلغ سن الرشد يجب أن يعلن الإيمان، ويكون في حال البرارة وينوي قبول السر ويكون مستعداً للاضطلاع بدوره تلميذاً وشاهداً للمسيح، ضمن الجماعة الكنسية وفي الشؤون الزمنية.

1320- الطقس الأساسي في التثبيت هو مسحة جبهة المعتمد بالزيت المقدس (وفى الشرق تسمح أعضاء أخرى من الحواس)، مع وضع يد خادم السر، مصحوباً بالكلمات التالية: "خذ ختم موهبة الروح القدس"، في الطقس الروماني، و "ختم موهبة الروح القدس" في الطقس البيزنطي.

1321- عندما يحتفل بسر التثبيت مفصولا عن المعمودية، فارتباطه بالمعمودية يتبين في امور عدة، ولا سيما في تجديد وعود المعمودية. الاحتفال بسر التثبيت خلال الافخارستيا يساعد في التنويه بوحدة الأسرار المدخلة الى الحياة المسيحية.

المقال الثالث

سر الإفخارستيا

1322- الافخارستيا المقدسة تختتم مرحلة التنشئة المسيحية فالذين أكرموا بالكهنوت الملكي بالمعمودية وتصوروا بالتثبيت بصورة المسيح بوجه أعمق يشتركون مع كل الجماعة في ذبيحة السيد نفسه بواسطة الافخارستيا.

1323- إن مخلصنا وضع في العشاء الأخير ليلة أسلم ذبيحة جسده ودمه الافخارستيا لكي تستمر بها ذبيحة الصليب على مر الأجيال إلى أن يجئ ولكي يودع الكنيسة عروسة الحبيب ذكري موته وقيامته انه سر تقوي وعلامة وحدة ورباط محبة ووليمة فصحية فيها نتناول المسيح غذاء وتمتلئ النفس بالنعمة ونعطي عربون المجد الآتي.

I. الافخارستيا منبع الحياة المسيحية وقمتها

1324- الافخارستيا هي منبع الحياة المسيحية كلها وقمتها فالأسرار وجميع الخدم الكنسية والمهام الرسولية مرتبطة كلها بالافخارستيا ومترتبة عليها ذلك بان الافخارستيا تحتوي على كنز الكنيسة الروحي بأجمعه أي على المسيح بالذات فصحنا.

1325- شركة الحياة مع الله ووحدة شعب الله هما قوام الكنيسة واليهما ترمز الافخارستيا وبها تتحققان و الافخارستيا هي قمة العمل الذي يقدس الله العالم في المسيح كما أنها ذروة العبادات التي يرفعها الناس إلى المسيح وبه إلى الآب في الروح القدس.

1326- بالاحتفال الليتورجي نتحد أخيرا ومنذ الآن بليتورجيا السماء ونستبق الحياة الأبدية حيث يكون الله كلا في الكل (1 كو 15، 18).

1327- وقصارى القول إن الافخارستيا هي موجز إيماننا وخلاصته فطريقة تفكيرنا تنطبق على الافخارستيا في المقابل تثبت طريقة تفكيرنا.

II. تسميات هذا السر

1328- يملك هذا السر من غزارة المعاني ما يحمل على تسميته بتعابير متنوعة يوحي كل منها ببعض من وجوهه فهو يسمى:

الإفخارستيا: لأنه أداء شكر لله فلفظتا (لو 22، 19؛ 1 كو 11، 24) و (متى 26، 26، مر 14، 12) تذكران بالبركات اليهودية التي كانت تشيد بأعمال الله ولا سيما في أوقات الطعام: الخلق والفداء والتقديس.

1329- **مائدة الرب:** فالافخارستيا تذكر بالعشاء الذي تناوله الرب بصحبة تلاميذه عشية آلامه وهي أيضاً استباق لمائدة عرس الحمل في أورشليم السماوية.

كسر الخبز: هذه العادة المرعية في الموائد اليهودية كان يسوع يعمد إليها عند بركة الخبز وتوزيعه بصفته المتقدم في المائدة وقد عمد إليها خصوصا في العشاء الأخير وبكسر الخبز عرفه التلاميذ بعد القيامة وهي العبارة التي استعملها المسيحيون الأولون للدلالة على اجتماعاتهم الافخارستية وهم يعبرون بذلك عن أن جميع الذين يتناولون من هذا الخبز الواحد المكسور أي المسيح يدخلون في الشركة معه ولا يعودون يؤلفون سوى جسدا واحدا معه.

المحفل الافخارستي: وذلك بان الافخارستيا يحتفل بها في جماعة المؤمنين وهي التعبير المرئي للكنيسة.

1330- تذكار آلام الرب وقيامته.

الذبيحة المقدسة: لأن الافخارستيا تجسد في الحاضر الذبيحة الوحيدة، ذبيحة المسيح المخلص، وتتضمن تقدمة الكنيسة: وتسمى أيضاً ذبيحة القداس المقدسة، "ذبيحة التسبيح" (عب 13، 15) الذبيحة الروحية، الذبيحة الطاهرة المقدسة، لأنها تكمل وتفوق ذبائح العهد القديم كلها.

الليتورجيا الإلهية المقدسة، لأن ليتورجيا الكنيسة كلها تجد محورها وعبارتها الأبلغ في الاحتفال بهذا السر. وبهذا المعنى أيضاً نسميها الاحتفال بالأسرار المقدسة. وثمة أيضاً عبارة السر الأقدس، لأن الافخارستيا هي سر الأسرار وتسمى بهذا الاسم الأعراض الافخارستية المحفوظة في بيت القربان.

1331- الشركة: لأننا، بهذا السر، نتحد بالمسيح الذي يصيرنا شركاء في جسده وفى دمه لنكون جسدا واحدا ونسميها أيضاً الأقداس- وهذا ما تشير إليه أولا عبارة " شركة القديسين " الواردة في قانون الرسل- وخبز الملائكة، وخبز السماء، ودواء الخلود، والزاد الأخير...

1332- القداس (missa باللغة اللاتينية) لأن الليتورجيا التي يتم فيها سر الخلاص تنتهي (في الطقس اللاتيني) بإرسال المؤمنين (missio)، ليحققوا إرادته تعالى في حياتهم اليومية.

III. الإفخارستيا في تدبير الخلاص

علامتا الخبز والخمر

1333- في صلب الاحتفال بالافخارستيا، نجد الخبز والخمر اللذين يتحولان بكلمات المسيح واستدعاء الروح القدس، إلى جسد المسيح ودمه. وتستمر الكنيسة، في طاعتها لأمر الرب، في تجديد ما صنعته آلامه، تذكاراً له، إلى أن يعود في مجده "أخذ خبزا..." أخذ الكأس المملوء خمراً... عندما يصير الخبز والخمر سرياً جسد المسيح ودمه، فهما لا ينفكان يرمزان في الوقت نفسه، إلى جودة الخليقة وهكذا في صلاة التقدمة، نشكر للخالق عطية الخبز والخمر، ثمرة "جهد الإنسان"، ولكننا نشكر له أولا "ثمرة الأرض وثمرة الكرمة"، وهما من عطايا الخالق وترى الكنيسة في قربان ملكيصادق، الملك والكاهن، الذي "قدم خبزاً وخمراً" (تك 14، 18) صورة مسبقة لقربانها.

1334- في العهد القديم كان الخبز والخمر يقدمان من بواكير الأرض، علامة اعتراف بالخالق ولكنهما اكتسبا في قرائن سفر الخروج، مغزى جديداً: فالخبز الفطير الذي يتناوله بنو إسرائيل كل سنة في عيد الفصح يذكرهم بخروجهم، على عجل، من عبودية أرض مصر. وأما ذكرى المن في البرية فهي تعيد إلى أذهان بني إسرائيل دائما أنهم يحيون من خبز كلام الله هناك أخيرا الخبز اليومي وهو ثمرة ارض الميعاد وعربون صدق الله في مواعيده "كأس البركة" (1 كو 10، 16) التي

يختتم بها اليهود الوليمة الفصحية تضفى على فرح العيد ونشوة الخمر، معنى أخروياً نابعاً من ذاك الترقب الماسيوي لأورشليم الجديدة. لقد أضفى يسوع، بإقامته الافخارستيا، معنى جديداً وحاسماً على بركة الخبز والكأس.

1335- معجزات تكثير الخبز، يوم باركهما الرب وكسرها ووزعها بواسطة تلاميذه لإطعام الجمع، تنبئ بتوافر هذا الخبز الافخارستي الوحيد والماء المحول خمراً في قانا يرمز إلى الساعة التي يتمجد ففيها يسوع، ويعلن اكتمال وليمة العرس في ملكوت الآب، حيث يشرب المؤمنون الخمر الجديد صائراً دم المسيح.

1336- أول إنباء بالافخارستيا قسم التلاميذ بعضهم على بعض، كما أن الإنباء بالآلام شككهم "هذا كلام عسير من يطبق سماعه؟" (يو 6، 60) الافخارستيا والصليب كلاهما حجر عثار ولا يزال هذا السر نفسه سبب شقاق أفلا تريدون أن تذهبوا، أنتم أيضاً؟" (يو 6، 67): سؤال الرب هذا يدوي عبر الأجيال نداء حب إلى التثبت من انه هو وحده يملك "كلمات الحياة الأبدية" (يو 6، 68) وأن من يقبل في الإيمان عطية الإفخارستيا إنما يقبله هو نفسه.

تأسيس الافخارستيا

1337- إن الرب، إذ أحب خاصته غاية الحب. وإذا عرف أن ساعته قد حانت ليمضي من هذا العالم ويعود إلى أبيه، قام عن الطعام وغسل أقدام تلاميذه وأعطاهم وصية الحب. ولكي يورثهم عربون هذا الحب، ويظل أبدا معهم، ويشركهم في فصحه، وضع الافخارستيا تذكاراً لموته وقيامته، وأمر رسله بأن يقيموها إلى يوم رجعته "جاعلاً إياهم كهنة العهد الجديد".

1338- الأناجيل الازائية الثلاثة والقديس بولس نقلوا إلينا خبر إقامة الافخارستيا والقديس يوحنا يسرد لنا، من جهته، أقوال يسوع في مجمع كفرناحوم، وهي أقوال تؤذن بإقامة الافخارستيا، وفيها يعلن المسيح نفسه خبز الحياة النازل من السماء.

1339- لقد اختار يسوع زمن الفصح ليحقق ما أنبا به في كفرناحوم: أن يعطى تلاميذه جسده ودمه.

"وجاء يوم الفطير وفيه يحب ذبح حمل الفصح فأرسل (يسوع) بطرس ويوحنا وقال لهما: اذهبا فأعدا لنا الفصح لنأكله" (...) فذهبا (...) فأعدا الفصح. فلما أتت الساعة جلس هو والرسل للطعام، فقال لهم: "اشتهيت شوه شديدة أن أكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم". فإني أقول لكم: "لا آكله بعد اليوم حتى يتم في ملكوت الله" (...) ثم أخذ خبزا وشكر وكسره وناولهم إياه

وقال: "هذا هو جسدي يبذل من أجلكم اصنعوا هذا لذكري" وصنع مثل ذلك على الكأس بعد العشاء فقال: "هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يراق من أجلكم" (لو 22، 7- 20).

1340- عندما احتفل يسوع بالعشاء الأخير مع رسله أثناء الطعام الفصحي، أضفى على الفصح اليهودي معناه النهائي فانتقال يسوع إلى أبيه، بموته وقيامته، وهو الفصح الجديد، قد تم قبل أوانه في العشاء، ونحتفل به في الافخارستيا التي تكمل الفصح اليهودي وتستبق فصح الكنيسة الأخير، في مجد الملكوت.

"اصنعوا هذا لذكرى"

1341- وصية يسوع بأن نكرر أفعاله وأقواله "إلى أن يجيء" (1 كو 11، 26)، لا تقتصر على أن نتذكره ونتذكر ما قام به، بل تهدف إلى أن يتولى الرسل وخلفاؤهم الاحتفال الليتورجي بتذكار المسيح: حياته وموته وقيامته وتشفعه إلى الآب.

1342- لقد ظلت الكنيسة، منذ البدء، وفيه لوصية الرب. فقد قيل في كنيسة أورشليم.

"كانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة الأخوية وكسر الخبز والصلوات (..) وكانوا يلازمون الهيكل كل يوم بقلب واحد ويكسرون الخبز في البيوت ويتناولون الطعام بابتهاج وسلامة قلب" (رسل 2، 42. 46).

1343- وكان المسيحيون يجتمعون خصوصاً "وفى أول الأسبوع"، أي يوحد الأحد اليوم الذي قام فيه يسوع، "ليسكروا الخبز" (رسل 20، 7) ومن ذلك الوقت حتى أيامنا، نواصل الاحتفال بالليتورجيا، بحيث نلقاها اليوم، في كل أنحاء الكنيسة، بنفس الهيكلية الأساسية، وتظل هي محور حياة الكنيسة.

1344- وهكذا من احتفال إلى احتفال، يتقدم شعب الله في طريق حجه، مبشراً بسر يسوع الفصحي إلى أن يجيء (1 كو 11، 26)، "وداخلا من باب الصليب الضيق" إلى الوليمة السماوية حيث يجلس المختارين إلى مائدة الملكوت.

IV. الاحتفال الليتورجي بالافخارستيا

قداس جميع الأجيال

1345- منذ القرن الثاني، نملك شهادة القديسين يوستينوس الشهيد في وصف الخطوط الكبرى للاحتفال الافخارستي وقد ظلت هي هي حتى أيامنا هذه في جميع العائلات الليتورجية وهذا ما

كتبه القديس يوستينوس، حوالي سنة 155، ليشرح للامبراطور الوثني انطونيوس الورع (138-161) ما يقوم به المسيحيون.

"في اليوم المسمى يوم الشمس، يجتمع كل الساكنين في المدينة أو في الريف، في مكان واحد (في هذا الاجتماع) تتلى مذكرات الرسل وكتابات الأنبياء، بقدر ما يتسع الوقت لذلك، عندما ينتهي القارئ م قراءته يتناول المتقدم الكلام ليحث الناس ويشجعهم على التنبيه بهذه الحسنات. ثم ننهض كلنا معاً، ونرفع صلوات لأجلنا (...) ولأجل جميع الآخرين، أينما كانوا، لنكون في نظر الله أبرارا بسيرتنا وأعمالنا، وأوفياء للوصايا، فننال بذلك الخلاص الابدي. في نهاية الصلوات، نقبل بعضنا بعضا. ثم نقدم لرئيس الاخوة خبزا وكأسا من مزيج الخمر والماء. فيأخذهما ويرفع الحمد والتمجيد إلى الآب خالق المسكونة، باسم ابنه والروح القدس، ويرفع الشكر (باليونانية: إفخارستيا) طويلاً لأننا حسبنا أهلا لهذه المواهب. في نهاية هذه الصلوات وعبارات الشكر، يهتف الشعب الحاضر كله قائلاً: آمين. في نهاية صلاة الشكر، وبعد هتاف الشعب، يتقدم الذين نسميهم شمامسة ويوزعون على جميع الحاضرين خبزا وخمرا وماء إفخارستيا ويجعلون منها للغائبين".

1346- الليتورجيا الافخارستيا تجرى طبقاً لهيكلة أساسية تثبت عبر القرون حتى أيامنا وتنقسم إلى قسمين كبيرين يؤلفان وحدة صميمه:

. التجمع، وليتورجيا الكلمة مع القراءات والعظة والصلاة الجامعة.

. الليتورجيا الافخارستيا، مع تقدمة الخبز والخمر، وصلاة الشكر والتقديس والمناولة

ليتورجيا الكلمة والليتورجيا الافخارستيا تؤلفان معاً "عمل عبادة وحداً" ولا غرو، فالمائدة المهيأة لنا في الافخارستيا هي، في آن واحد، مائدة كلمة الله ومائدة جسد الرب.

1347- أو ليست هذه هي العلاقة نفسها بين الوليمة الفصحية، وليمة يسوع الناهض من بين الأموات، وتلميذي عماوس؟ فإذ كان معهما في الطريق كان يفسر لهما الكتب، ثم جلس معهما للطعام، "فأخذ الخبز، وبارك، ثم كسره وناولهما" (لو 24، 30).

سياق الاحتفال

1348- يجتمعون كلهم. فالمسيحيون يتواردون إلى مكان واحد للاجتماع الافخارستي، وعلى رأسهم وهو يؤدى الدور الأول في الافخارستيا. إنه الحبر الأعظم للعهد الجديد، وهو نفسه يرش، بطريقة خفية، كل احتفال افخارستي وعندما يرش الأسقف أو الكاهن الجماعة (باسم المسيح-الرأس)، ويتكلم بعد القراءات ويتقبل التقادم، ويتلو الصلاة الافخارستية، فهو إنما يمثل المسيح

نفسه. كبلهم يشتركون فعلياً في الاحتفال، وعلى طريقته: القراء، ومقدمو التقادم، وموزعو الافخارستيا، والشعب كله الذي يعرب عن اشتراكه بهتاف: آمين.

1349– ليتورجيا الكلمة تتضمن "نصوص الأنبياء" أي العهد القديم، ومذاكرات الرسل، أي الرسائل والأناجيل بعد العظة التي تحض الشعب على أن يقبو هذه الكلمة على ما هي حقاً، أي كلمة الله، ويضعوها موضع التنفيذ، تأتي الطلبات لأجل جميع الناس، على حد قول الرسول: "اسأل قبل كل شيء أن تقام ادعية وصلوات وابتهالات وأفعال شكر من اجل جميع الناس ومن اجل الملوك وسائر ذوي السلطة" (1 طيم 2، 1– 2).

1350– تقديم القرابين (التقدمة): ويؤتي إلى المذبح حينئذ، في موكب احيانا، بالخبز والخمر الذي سيقربهما الكاهن باسم المسيح، في الذبيحة الافخارستيا، فيتحولان إلى جسد المسيح ودمه وهذا بالذات ما صنعه المسيح في العشاء الأخير "أخذ الخبز والكأس" هذه التقدمة تقربها الكنيسة وحدها إلى الخالق، طاهرة وترفع له شاكرة انتاج الخليقة تقديم القرابين إلى المذبح يحقق ما صنعه ملكيصادق، ويضع بين يدي المسيح عطايا الخالق، فهو الذي، في ذبيحته، يكلل كل الذبائح التي يسعى البشر إلى تقريبها.

1351– لقد اعتاد المسيحيون، منذ البدء، أن يقدموا مع الخبز والخمر المعدين للافخارستيا، تقادمهم الاخرى، ويوزعهما على ذوي الفاقة. هذه العادة في جمع التبرعات لا تزال قائمة حتى اليوم، وتستوحى مثال المسيح الذي افتقر ليجعلنا اغنياء.

> "الاغنياء الذين يرغبون يعطون كل بمقدار ما فرضه على ذاته، وكل ما يجمع يسلم إلى المتقدم ليغيث اليتامى والايامى والذين جردهم المرضى او على أخرى من الموارد، والسجناء والمهاجرين، وينجد، باختصار، كل ذي حاجة".

1352– **الأنافورة:** مع الصلاة الافخارستيا وصلاة الشكر والتكريس نصل إلى قلب الاحتفال وقمته: في المقدمة تشكر الكنيسة للآب، بالمسيح وفى الروح القدس، كل صنائعه: الخلق والفداء والتقديس وتنضم الجماعة كلها إلى الكنيسة السماوية، الملائكة وجميع القديسين، الذين يرفعون إلى الله المثلث القداسة نشيد حمد متواصل.

1353– في **صلاة الاستدعاء** تطلب الكنيسة إلى الرب ان يرسل روحه القدوس (أو قوة بركته على الخبز ولخمر ليتحولا، بقدرته إلى جسد يسوع المسيح ودمه، وليصبر المشتركون في الافخارستيا جسدا وروحًا واحدًا (وهناك تقاليد ليتورجية تضع صلاة استدعاء الروح القدس بعد صلاة الاستذكار)

في رواية الحديث التأسيسي للافخارستيا، تتحد قوة كلمات المسيح وعمله وقدرة الروح القدس لتجعلا من جسد المسيح ودمه، ومن الذبيحة التي قرب فيها المسيح ذاته على الصليب دفعة واحدة، حقيقة سرية مماثلة في أشكال الخبز والخمر.

1354- في **صلاة الاستذكار** التالية تتذكر الكنيسة آلام يسوع المسيح وقيامته ودعوته المجيدة، وتقرب إلى الآب تقدمة ابنه التي بها نتصالح مع الله.

وفى **صلوات الاستشفاع**، تبين الكنيسة اننا نحتفل بالافخارستيا بالاشتراك مع الكنيسة كلها، كنيسة السماء وكنيسة الارض، كنيسة الاحياء والاموات، وفى الشركة مع الرعاة: البابا وأسقف الابرشية ومصف الكهنة والشمامسة وكل أساقفة العالم وكنائسهم.

1355- في **المناولة** التي تسبقها صلاة الرب وكسرر الخبز، يتناول المؤمنون "خبز السماء" و"كاس الخلاص"، جسد ودم المسيح الذي أسلم ذاته "لأجل حياة العالم" (يو 6، 51): نظراً إلى أن هذا الخبز وهذا الخمر قد تحولا إلى افخارستيا، على حد التعبير القديم، "فنحن نسمى هذا الطعام افخارستيا ولا يجوز أن يشترك فيه ما لم يؤمن بحقيقة ما يعلم عندنا، وما لم يحظ بالغسل لمغفرة الخطايا والحياة الجديدة، وما لم يتقيد، في حياته بوصايا المسيح".

٧. الذبيحة السرية: الشكر والذكر والحضور

1356- إذا كان المسيحيون يحتفلون بالافخارستيا منذ العصور الاولى وفي صيغة لم تتبدل جوهريا عبر الاجيال والليتورجيات فذلك لأننا نعلم اننا متقيدون بأمر الرب الذي زودنا به عشية الامه اصنعوا هذا لذكري (1 كو 11، 24- 25).

1357- امر الرب هذا ننفذه باحتفالنا بتذكار ذبيحته وبعملنا هذا نقرب إلى الاب ما من به علينا هو نفسه من عطايا الخلق أي الخبز والخمر المحولين بقدرة الروح القدس وبكلمات المسيح إلى جسد المسيح ودمه بهذه الطريقة يضحي المسيح حاضرا حضورا حقيقيا وسريا.

1358- لابد إذًا من ان نعتبر الافخارستيا:

- صلاة شكر وحمد لله الاب،
- تذكار ذبيحة المسيح وجسده،
- حضور المسيح بقوة كلمته وروحه.

شكر الاب وحمده

1359- الافخارستيا هي سر خلاصنا الذي حققه المسيح على الصليب وهي أيضاً ذبيحة حمد نشكر فيها عمل الخلق في الذبيحة الافخارستيا كل الخليقة التي يحبها الله تقرب إلى الاب عبر موت المسيح وقيامته بالمسيح تستطيع الكنيسة ان تقرب ذبيحة الحمد وتشكر لله كل ما صنعة من خير وجمال وبر في الخليقة وفي البشرية.

1360- الافخارستيا هي ذبيحة شكر للاب وبركة بها تعرب الكنيسة عن امتنانها لكل افضاله وكل ما حققه لنا بالخلق والفداء والتقديس الافخارستيا في مفهومها الاول هي شكر.

1361- والافخارستيا هي أيضاً ذبيحة حمد بها تشيد الكنيسة بمجد الله باسم الخليقة كلها ذبيحة الحمد هذه لا تسوغ الا من خلال المسيح فهو الذي يضم المؤمنين إلى ذاته ويشركهم في حمده وشفاعته فلا تقرب ذبيحة الحمد للاب الا بالمسيح ومع المسيح ولا تقبل الا فيه.

تذكار ذبيحة المسيح وجسده أي الكنيسة

1362- الافخارستيا هي تذكار فصح المسيح بها تصبح ذبيحته الوحيدة فعلا حاضرا وتقدمة في ليتورجيا الكنيسة التي هي جسده وأننا نجد في كل الصلوات الافخارستية بعد كلمات التقديس ما يسمى بصلاة الاستذكار او التذكار.

1363- في مفهوم الكتاب المقدس ليس التذكار مجرد استعادة لأحداث الماضي بل هو اشادة بالعجائب التي صنعها الله للأنام ففي الاحتفال الليتورجي بهذه الاحداث تكتسي هذه الاحداث نوعا ما طابع الحالية والواقعية بهذه الطريقة يدرك الشعب الاسرائيلي انعتاقه من ارض مصر فكل مرة يحتفل بالفصح تمثل احداث خروجه من تلك الارض في ذاكرة المؤمنين ليطبقوا حياتهم عليها.

1364- واما في العهد الجديد فالتذكار يكتسب معنى جديدا فعندما تحتفل الكنيسة بالافخارستيا تتذكر فصح المسيح ويصبح الفصح حقيقة ماثلة في الحاضر ولا غرو، فالذبيحة التي قربها المسيح مرة واحدة على الصليب تظل ابدا ماثلة في الواقع كل مرة تقام على المذبح ذبيحة الصليب التي ذبح بها المسيح فصحنا (1 كو 5، 7) يتم عمل افتدائنا.

1365- ولأن الافخارستيا هي تذكار فصح المسيح فهي ذبيحة أيضاً. هذا الطابع القرباني في الافخارستيا يظهر في كلمات التأسيس نفسها "هذا هو جسدي يبذل لأجلكم" وهذه "الكاس هي العهد الجديد بدمي الذي يراق لأجلكم" (لو 22، 19- 20) في الافخارستيا يعطينا المسيح هذا الجسد عينة الذي بذله لأجلنا على الصليب وهذا الدم عينه الذي اراقه من اجل جماعة الناس لغفران الخطايا (متى 26، 28).

1366- الافخارستيا هي إذًا ذبيحة لأنها تمثل ذبيحة الصليب أي تجعلها ماثلة لدينا ولأنها تذكارها وتؤتينا ثمرها:

"ان المسيح الهنا قرب ذاته لله الاب مرة واحدة ومات شفيعا لنا على مذبح الصليب ليحقق للناس فداء ابديا ولكن ما دام موته لم يضع حدا لكهنوته (عب 7، 24. 27) فقد اراد في العشاء الأخير في الليلة التي اسلم فيها (1 كو 11، 23) ان يورث كنيسته عروسة الحبيب ذبيحة مرئية كما تتطلبها الطبيعة البشرية حيث تتمثل الدموية التي كان لابد ان تتم مرة واحدة على الصليب والتي سوف تظل ذكراها مستمرة حتي نهاية الدهور (1 كو 11، 23) ومفعولها الخلاصي جاريا لفداء الخطايا التي نقترفها كل يوم".

1367- ذبيحة المسيح وذبيحة الافخارستيا هما ذبيحة واحدة انها نفس الضحية والذي يقرب الان ذاته بواسطة الكهنة هو نفسه الذي قرب ذاته يوما على الصليب طريقة التقريب وحدها تختلف وبما انه في هذه الذبيحة الالهية التي تتم في القداس هذا المسيح نفسه الذي قدم ذاته مرة بطريقة دموية على مذبح الذبيحة هي حقا ذبيحة تكفير عن الخطايا.

1368- الافخارستيا هي أيضاً ذبيحة الكنيسة فالكنيسة جسد المسيح تشترك في تقدمة هامتها وتقرب ذاتها معه كاملة وتنضم إلى المسيح شفيعا إلى الاب لأجل جميع الناس في الافخارستيا تصبح ذبيحة المسيح ذبيحة اعضاء جسده حياة المؤمنين وحمدهم وعذابهم وصلاتهم وشغلهم هذا كله ينضم إلى المسيح وإلى تقدمته الكاملة و يكتسب هكذا قيمة جديدة ذبيحة المسيح الماثلة على الهيكل تمكن جميع الاجيال المسيحية من ان تنضم إلى تقدمته.

"في الداميس تمثل الكنيسة بشكل امرأة تصلي وذراعاها منبسطتان عريضة وضارعة فكما بسط المسيح ذراعيه على الصليب تقرب الكنيسة ذاتها به ومعه وفيه شافعة في جميع الناس".

1369- الكنيسة كلها تنضم إلى تقدمة المسيح وشفاعته ويشترك البابا الذي وكلت اليه مهمة بطرس في الكنيسة في كل احتفال بالليتورجيا حيث يذكر بصفته خادم وحدة الكنيسة الجامعة الاسقف المحلي هو الذي يرعي دائما الافخارستيا حتى وان تراسها كاهن ويذكر فيها اسمه اشارة إلى ترؤسه الكنيسة الخاصة وسط المصف الكهنوتي وبمعاونه الشمامسة وتصلي الجماعة أيضاً من اجل جميع الخدمة الذين يقربون الذبيحة الافخارستيا لأجلها ومعها:

"إن ذبيحة المسيحيين الروحية تتم بعمل الكهنة التي يرأسها الاسقف أو من وكل إليه ذلك".

"وتقرب، سرياً لا دموياً، في الافخارستيا، على يد الكهنة، باسم الكنيسة كلها جمعاء، إلى يوم مجيء الرب".

1370- ولا ينضم إلى تقدمة المسيح الاعضاء الذين لا يزالون في هذه الدنيا وحسب، بل الذين دخلوا أيضاً مجد السماء: فالكنيسة تقرب الذبيحة الافخارستية متحدة بالعذراء مريم الفائقة القداسة ومنوهة بذكرها، ومنضمة إلى جميع القديسين والقديسات في الافخارستيا، كما عند قدم الصليب، تتحد الكنيسة مع مريم، في تقدمة المسيح وشفاعته.

1371- وتقرب الذبيحة الافخارستية أيضاً من أجل الموتى المؤمنين "الذين رقدوا في المسيح ولم يحظوا بعد بملء الطهارة" ليستطيعوا الولوج في نور المسيح وسلامه.

"ادفنوا هذا الجثمان أينما شئتم! ولا يعكرنكم، في شانه، أي هم! وكل ما اسألكم أن تذكروني عند مذبح الرب، أينما كنتم".

"ثم إننا نصلى (في الأنافورة) من اجل الآباء والأساقفة القديسين الراقدين، وبعامة من اجل جميع الذين رقدوا قبلنا، معتقدين أن ذلك يعود بجزيل الفائدة على النفوس التي نرفع الابتهال لأجلها، بينما تمثل أمامنا الضحية المقدسة والرهيبة (...) عندما نرفع إلى الله ابتهالاتنا من اجل الذين رقدوا، وإن خطأة، إنما (...) نقرب المسيح المذبوح بسبب خطايانا، ونستعطف الله المحب البشر، لأجلهم ولأجلنا".

1372- لقد لخص القديس أوغسطينوس، بطريقة رائعة، هذه العقيدة التي تحثنا على ان نشترك اشتراكاً أكمل في ذبيحة فادينا التي نحتفل بها في الافخارستيا.

"هذه المدينة المفتداة برمتها، أي جماعة القديسين ومجتمعهم، يقربها إلى الله ذبيحة شاملة الكاهن الاعظم الذي اتخذ صورة عبد وذهب إلى حد تقدمة ذاته في الامه لأجلنا، ليجعلنا جسدا لأعظم رأس (..) تلك هي ذبيحة المسيحين: "أن يكونوا، في كثرتهم، جسداً واحدا في المسيح" (روم 12، 5) وهذه الذبيحة لا تني الكنيسة تجددها في سر المذبح الذي يعرفه المؤمنون حق المعرفة وحيث يتبين لها انها هي نفسها مقربة في شخص الذي تقربه".

حضور المسيح بقوة كلمته وبقوة الروح القدس

1373- "المسيح يسوع الذي مات، ثم قام، وهو إلى يمين الله يشفع لنا" (روم 8، 34) لا ينفك حاضراً في كنيسته بوجوه كثيرة: في كلامه، وفى صلاة كنيسته "لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة بإسمي، فأنا أكون هناك في وسطهم" (متى 18، 20)، وفى الفقراء والمرضى والمساجين وفى اسراره التي وضعها، وفى ذبيحة القداس، وفى شخص خادم السر، "وبأعلى درجة، في الاشكال الافخارستية".

1374- طريقة حضور المسيح في الأشكال الافخارستية طريقة فريدة، ترفع الافخارستيا فوق جميع الأسرار، وتجعل منها "كمال الحياة الروحية والغاية التي تهدف إليها جميع الأسرار" فسر الافخارستيا الأقدس يحتوي حقا وحقيقيا وجوهرياً جسد ربنا يسوع المسيح ودمه مع نفسه وألوهيته، ومن ثم، فهو يحتوي المسيح كله كاملاً "هذا الحضور يسمى حقيقيا"، لا بمعنى المنافاة، كما لو كانت سائر أشكال حضوره غير "حقيقة"، بل بمعنى التفوق، لأن حضور المسيح في الافخارستيا حضور جوهري، وبه يكون المسيح الإله والانسان حاضراً كله كاملاً".

1375- ويكون المسيح حاضراً في هذا السر، يتحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه، وقد أكد آباء الكنيسة تأكيدا حازماً إيمان الكنيسة بفعل كلام المسيح وعمل الروح القدس، في عملية التحويل هذه. وقد صرح القديس يوحنا الذهبي الفم بقوله:

"ليس الإنسان هو الذي يحول القرابين إلى جسد المسيح ودمه، بل المسيح نفسه الذي صلب لأجلنا. الكاهن، صورة المسيح، ينطق بهذه الكلمات ولكن الفعل والنعمة هما من الله، يقول: "هذا هو جسدي". وهذه الكلمة تحول القرابين.

ويقول القديس أمبروسيوس في شأن هذا التحول:

"لنقتنع من أن "هذا ليس من فعل الطبيعة بل من فعل التقديس بالبركة، وأن قوة البركة تتفوق على الطبيعة، لأن الطبيعة نفسها تتحول بالبركة " كلمة المسيح التي خلقت الاشياء من لا شيء ألا تقدر أن تحول الموجودات إلى ما لم تكنه من قبل؟ ولا شك أن منح الاشياء طبيعتها الاولى ليس بأقل من تحويلها".

1376- يلخص المجمع التريدنتيني الايمان الكاثوليكي بقوله: "بما ان المسيح فادينا قال لنا إن ما يقربه تحت شكل الخبز هو حقاً جسده، قد أيقنت الكنيسة دوماً هذه العقيدة التي يعلنها المجمع ثانية: بتكريس الخبز والخمر يتحول كل جوهر الخبز إلى جوهر جسد المسيح ربنا، وكل جوهر الخمر إلى جوهر دمه، هذا التغير، قد أصابت الكنيسة بتسميته التحول الجوهري".

1377- حضور المسيح الافخارستي يبدأ في لحظة التكريس ويستمر مادامت الاشكال الافخارستيا صامدة. المسيح حاضر كله في كل من الاشكال وفي كل جزء منها بحيث لا يتجزأ المسيح بتجزئة الخبز.

1378- العبادة الافخارستية: في ليتورجيا القداس نعبر عن ايماننا بحضور المسيح الحقيقي تحت أشكال الخبز والخمر بطرق مختلفة، منها إحناء الركب أو الانحناء العميق إعراباً عن تعبدنا للرب "إن الكنيسة كانت ولاتزال تؤدى عبادة السجود هذه التي يجب ان تؤديها لسر الافخارستيا، ليس

فقط وقت القداس، بل خارج الاحتفال به أيضا: وذلك بحفظ الاجزاء المكرسة بأعظم العناية وعرضها على المؤمنين ليجعلوها باحتفاء ويطوفوا بها"

1379- الذخيرة المقدسة (بيت القربان) كانت معدة قبلاً لحفظ الافخارستيا حفظاً لائقاً لتحمل إلى المرضى والمتعبين عن القداس ومع تعمق الإيمان في حضور المسيح الحقيقي في الافخارستيا، أدركت الكنيسة معنى التعبد الصامت للرب الحاضر تحت الاشكال الافخارستية لابد من ثم، من أن يوضع بيت القربان في مكان من الكنيسة على جانب من اللياقة ويجب أن يصنع بحيث يظهر بوضوح حقيقة حضور المسيح الراهن في السر المقدس.

1380- من المفيد جداً أن المسيح اراد البقاء إلى جانب كنيسته بهذا الشكل الفريد فإذا كان لابد للمسيح من ان يغادر ذويه في شكله الظاهر أراد أن يهب لنا حضوره السري وإذا كان مزمعا أن يقدم ذاته على الصليب لخلاصنا، أراد ان يترك لنا تذكار الحب الذي به أحبنا "إلى أقصى الحدود" (يو 13، 1) يبذل حياته فهو، بحضوره الافخارستي، يبقى سرياً بيننا، بقاء من أحبنا وبذل ذاته لأجلنا، وذلك تحت الأشكال التي تعبر عن هذا الحب وثبته.

"إن الكنيسة والعالم بحاجة شديدة إلى العبادة الافخارستية يسوع ينتظرنا في سر المحبة، فلا نبخل عليه بأوقات نذهب فيها للقائه، في جو من السجود والتأمل المفعم بالإيمان والأهبة للتفكير عن معاصي العالم وجرائمه. ولا نكفن أبداً عن عبادته".

1381- "وجود جسد المسيح الحقيقي ودم المسيح الحقيقي في هذا السر لا ندركه البتة بالحواس يقول القديس توما بل بالإيمان وحده المرتكز على سلطة الله". من هنا أن القديس كيرلس، عندما يفسر نص القديس لوقا (22، 19) "هذا هو جسدي الذي يبذل لأجلكم"، يصرح قائلاً: "لا تتساءل هل هذا صحيح بل تقبل بإيمان كلمات الرب، لأنه هو، الحق، لا يكذب".

"إني أعبدك عبادة عميقة أيتها الالوهة المستترة
والماثلة حقاً تحت هذه الظواهر،
لك يذعن قلبي كله لأنه يذعن كله في تأملك
لا البصر يدركك ولا الذوق ولا اللمس وإنما نثق فقط بما يقال لنا.
أؤمن بما قاله ابن الله ولا شيء أصح من كلام الحقيقة هذا".

VI. الوليمة الفصحية

1382- القداس هو، في آن واحد وبغير انفصال، التذكار القرباني الذي تستمر به ذبيحة الصليب، والوليمة المقدسة التي فيها نشترك في جسد الرب ودمه يبدأ أن الاحتفال بالذبيحة الافخارستية

يهدف كله إلى اتحاد المؤمنين بالمسيح اتحادا حميما بواسطة المناولة فالمناولة إنما هي قبول المسيح نفسه الذي قدم ذاته لأجلنا.

1383- المذبح الذي تلتئم الكنيسة حوله في الاحتفال بالافخارستيا يمثل سراً واحدا بوجهيه: مذبح الذبيحة ومائدة الرب. ويصح هذا بمقدار ما يرمز المذبح المسيحي إلى المسيح نفسه، الحاضر وسط جماعة المؤمنين بصفته، في ان واحد، الضحية المقربة لمصالحتنا مع الله، وخبزاً سماويا يقدم لنا: "ما هو مذبح المسيح إلا صورة جسد المسيح؟"، يقول القديس امبروسيوس. وفي موضع آخر: "المذبح يمثل جسد المسيح، وجسد المسيح موضوع على المذبح" وتعبر الليتورجيا عن هذه الوحدة القائمة بين الذبيحة والمناولة في صلوات كثيرة هكذا، تصلى كنيسة روما في الانافورة.

> "إننا نضرع إليك أيها الاله القدير، فليحمل ملاكك (هذه التقدمة)، في ظل مجدك، إلى مذبحك السماوي، حتى إذا ما تقبلنا ههنا، بتناولنا من المذبح، جسد ابنك ودمه، نمتلئ من نعمتك وبركاتك".

"خذوا فكلوا منه كلكم": المناولة

1384- إن الرب يوجه إلينا دعوة ملحة لتناوله في سر الافخارستيا: "الحق الحق أقول لكم: إذا لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه، فلن تكون فيكم الحياة" (يو 6، 53).

1385- لكي نلبي هذه الدعوة، علينا ان نتهيأ لهذه اللحظة العظيمة المقدسة ويحثنا القديس بولس على محاسبة ضمير: "من أكل خبز الرب أو شرب كأسه، ولم يكن أهلاً لهما، فقد جنى على جسد الرب ودمه فليحاسب الانسان نفسه، قبل أن يأكل من هذا الخبز ويشرب من هذه الكأس. فمن أكل وشرب، وهو لا يرى فيه جسد الرب، اكل وشرب الحكم على نفسه" (1 كو 11، 27- 29). فمن عرف نفسه في خطيئة ثقيلة، عليه أن ينال سر المصالحة قبل ان يقدم على المناولة.

1386- امام عظمة هذا السر، لا يسع المؤمن الا أن يستعيد، بتواضع وإيمان لاهب، كلام قائد المئة: "يا رب، لست أهلا لأن تدخل تحت سقفي ولكن يكفي أن تقول كلمة فتبرأ نفسي" وفي الليتورجيا الإلهية، للقديس يوحنا الذهبي الفم، يصلى المؤمنون في نفس هذه النفحة:

> "إقبلني اليوم شريكاً في عشائك السري يا ابن الله، فإني لا أقول سرك لأعدائك، ولا اقبلك مثل يهوذا بل كاللص أعترف لك: أذكرني يا رب في ملكوتك".

1387- على المؤمنين أن يراعوا الصوم المفروض في كنيستهم ليحسنوا الاستعداد لقبول هذا السر ويجب ان يعبر الجسم (بلباقة هندامه وتصرفاته) عما تكنه هذه اللحظة التي يصبح فيها المسيح ضيفنا، من معاني الاحترام والحفاوة والبهجة.

1388- وينطبق على معنى الافخارستيا بالذات أن يتناولوا المؤمنون عندما يشتركون فيها في القداس، بشرط أن يتحلوا بالاستعدادات المطلوبة: "يحرص المؤمنون بشدة على ان يشتركوا في القداس بوجه أكمل، فيتناولوا، بعد تناول الكاهن، من نفس ذبيحة جسد الرب".

1389- ونلزم الكنيسة المؤمنون بأن يشتركوا في الليتورجيا الإلهية أيام الآحاد والاعياد "وأن يتناولوا الافخارستيا أقله مرة في السنة، في الزمن الفصحي إذا أمكن ذلك، ويستعدوا لها بسر المصالحة بيد أن الكنيسة تحث المؤمنين بشدة على أن يتناولوا الافخارستيا المقدسة أيام الآحاد والاعياد، بل أكثر من ذلك ايضا، وحتى كل يوم".

1390- نظراً إلى حضور المسيح السري في كلا الشكلين، فالتناول تحت شكل الخبز فقط يتيح الإفادة من كل ثمار نعمة الافخارستيا هذه الطريقة في المناولة قد رسخت شرعياً في الطقس اللاتيني، فأضحت، لأسباب رعائية، هي الطريقة الأكثر شيوعاً: "المناولة المقدسة تحقق، بطريقة أكمل، وجهها الرمزي عندما تتم تحت الشكلين فبهذا الوجه يظهر، بطريقة أكمل، رمز المائدة الافخارستية، وهذه الطريقة المتبعة عادة للمناولة في الطقوس الشرقية".

ثمار المناولة

1391- المناولة تنمي اتحادنا بالمسيح. قبول الافخارستيا في المناولة، ثمرته الاولى الاتحاد الحميم بيسوع المسيح فالرب يقول لنا: "من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه" (يو 6، 56) والحياة في المسيح ركيزتها الوليمة الافخارستية: "كما ان الآب الحي أرسلني وأني أحيا بالآب، فكذلك الذي يأكلني سيحيا بي" (يو 6، 57).

"عندما يتناول المؤمنون جسد الابن، في اعياد الرب، يبشر بعضهم بعضاً بأن عربون الحياة قد أعطى، كما جرى ذلك عندما قال الملاك لمريم المجدلية: "قام المسيح". هكذا الآن أيضاً يعطى كل من يتناول المسيح الحياة والقيامة".

1392- مفعول الطعام في حياتنا الجسدية، تحققه المناولة بطريقة عجيبة في حياتنا الروحية. الاشتراك في جسد المسيح القائم "الذي يحييه الروح القدس ويفيض فينا الحياة"، يصون حياة النعمة التي تلقيناها في المعمودية، وينميها ويجددها. هذا النمو في الحياة المسيحية يحتاج إلى غذاء المناولة الافخارستية، خبز حجنا (في هذه الحياة) إلى ان تحين ساعة الموت فنعطاه زادا (للحياة الأبدية).

1393- المناولة تفصلنا عن الخطيئة جسد المسيح الذي نأخذه قد " بذل لأجلنا، والدم الذي نشربه قد "سفك عن الكثيرين لمغفرة الخطايا " وبالتالي فالافخارستيا لا تستطيع أن تضمنا إلى المسيح، من دون ان تطهرنا من الخطايا السالفة وتحفظنا من الخطايا الآتية:

"كل مرة نتناوله، نخبر بموت الرب. فعندما نبشر بموت الرب، نبشر بمغفرة الخطايا وإذا كان كل مرة يراق دمه إنما يراق لمغفرة الخطايا، فعلى أن اتناوله دائما لكي يصفح دائما عن خطاياي فأنا الذي يرتكب الخطيئة دائما، احتاج دائما إلى علاج".

1394- كما ان الطعام الجسدي يعيد القوى المفقودة، كذلك الافخارستيا تقوى المحبة التي تنزع إلى التناقص في الحياة اليومية. هذه المحبة، إذا انتعشت، تمحو الخطايا العرضية، عندما يبذل لنا المسيح ذاته، ينعش محبتنا ويمكننا من أن نصرم ما يقيّدنا بالخلائق من علائق مشوشة، ونتأصل فيه.

"لقد مات المسيح حبا بنا، فعندما نتذكر موته وقت الذبيحة، نسأله أن توهب لنا المحبة بحلول الروح القدس إننا ندعوه بتواضع أن نتلقى، نحن أيضا، نعمة الروح القدس، بفعل هذه المحبة التي دفعت المسيح إلى ان يموت لأجلنا، ويصبح العالم مصلوباً عندنا ونصبح نحن مصلوبين عند العالم، (...) لقد تلقينا موهبة المحبة فلنمت عن الخطيئة ولنحيا لله".

1395- المحبة التي توقدها الافخارستيا فينا تحررنا من الخطايا المميتة الآتية. فبمقدار ما نشترك في حياة المسيح ونتقدم في صداقته، يمسي أصعب علينا أن ننفصل عنه بالخطيئة المميتة الافخارستيا لا تهدف إلى محو الخطايا المميتة، فذلك من خصائص سر المصالحة واما الإفخارستيا فتتميز بأنها سر الذين ينعمون بملء الشركة مع الكنيسة.

1396- وحدة الجسد السري: الإفخارستيا تصنع الكنيسة فالذين ينالون الافخارستيا يتحدون بالمسيح اتحادا أوثق. ومن ثم، فالمسيح يجعلهم متحدين بجميع المؤمنين في جسد واحد: أي الكنيسة. المناولة تجدد وتقوى وتعمق هذا الاندماج في الكنيسة الذي تحقق لنا بالمعمودية. بالمعمودية دعينا إلى أن نكون جسداً واحداً وبالافخارستيا تتحقق هذه الدعوة: "كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة في دم المسيح؟ والخبز الذي نكسره اليس هو شركة في جسد المسيح؟ فيما أن الخبز واحد، فنحن الكثيرين جسد واحدا، لأنا جميعا نشترك في الخبز الواحد" (1 كو 10، 16- 17):

"إذا كنتم جسد المسيح وأعضاءه، فسركم هو الموضوع على مائدة الرب، وتتناولون سركم تحييون آمين" (نعم، هذا حق) على ما تتناولون، وتصادقون عليه بجوابكم إنك تسمع هذه الكلمة "جسد المسيح" وتجيب "آمين" كن عضوا في المسيح لتكون "الآمين" عندك صحيحة".

1397- الافخارستيا تجندنا في خدمة الفقراء: لكي نقبل، في الحق، جسد المسيح ودمه المبذولين لجلنا، علينا أن نتوسم المسيح في أخوته الأشد فقراً:

"لقد ذقت دم الرب ونت لا تعترف حتى بأخيك إنك تدنس هذه المائدة ذاتها، عندما تحسب غير أهل لمقاسمة طعامك ذاك الذي حسب أهلا ليشترك في هذه المائدة لقد حررك الله من كل ذنوبك ودعاك إلى هذه المائدة، وأنت، حتى في هذه المناسبة، لم تزدد فيك الشفقة".

1398- الافخارستيا ووحدة المسيحين أمام عظمة هذا السر، يهتف القديس أوغسطينوس: "يا لسر التقوى! يا لعلامة الوحدة! يا لرباط المحبة!" كلما تفاقم شعورنا بألم الانقسامات التي تفسح الكنيسة وتصدع اشتراكنا في مائدة الرب، ازدادت أدعيتنا إلى الله لجاجة لتعود أيام الوحدة الكاملة بين جميع المؤمنين به".

1399- الكنائس الشرقية التي ليست على ملء الشركة مع الكنيسة الكاثوليكية تحتفل بالافخارستيا احتفالا مفعماً بالحب: "هذه الكنائس، على انفصالها، تملك اسراراً حقيقية، ولا سيما بفعل الخلافة الرسولية: الكهنوت والافخارستيا اللذين يضمانها إلينا ضماً وثيقاً " لذلك " ان بعض الاشتراك في الاقداس، وبالتالي في الافخارستيا، في الاحوال المواتية، وبموافقة السلطة الكنسية، ليس هو فقط في حكم الممكن، بل في حكم المحبذ أيضاً".

1400- إن الجماعات الكنسية المنبثقة عن حركة الاصلاح والمنفصلة عن الكنيسة الكاثوليكية "لم تحتفظ بجوهر السر الافخارستي كاملا، خصوصاً بسبب فقدان سر الكهنوت عندها ومن ثم، لا يجوز، في نظر الكنيسة الكاثوليكية إقامة الشركة الافخارستية مع هذه الجماعات ولكن هذه الجماعات الكنسية " عندما تحتفل بذكرى موت الرب وقيامته في العشاء المقدس، تشهد بأن الحياة قوامها الاتحاد بالمسيح وتنتظر مجيئه المجيد".

1401- يستطيع الخدمة الكاثوليك، في حال الضرورة الخطيرة والملحة، وامتثالاً لحكم الرئيس المحلى، ان يمنحوا الأسرار (الافخارستيا والتوبة ومسحة المرضى) للمسيحين الآخرين الذين ليسوا على ملء الشركة مع الكنيسة الكاثوليكية، بشرط أن يطلبوها بملء إرادتهم وعليهم، عندئذ، أن يعلنوا الإيمان الكاثوليكي في شأن هذه الأسرار، ويتحلّوا بالاستعدادات المطلوبة.

VII. الافخارستيا- "عربون المجد الآتي"

1402- في صلاة قديمة، تهتف الكنيسة مهللة لسر الافخارستيا: " يا أيها الوليمة المقدسة التي تصير المسيح طعامنا، وتحيي ذكرى آلامه، وتفعم بالنعمة نفسنا وتعطينا عربون الحياة الآتية.

فالافخارستيا هي، ولا شك، تذكار فصح الرب، وباشتراكنا في المذبح نمتلئ "من كل بركة سماوية ونعمة" ولكن الافخارستيا هي أيضاً استباق للمجد السماوي.

1403- في العشاء الأخير، لقت الرب نفسه تلاميذ إلى اكتمال الفصح في ملكوت الله: "اقول لكم: لن أشرب بعد الآن من عصير الكرمة هذا حتى ذلك اليوم الذي فيه أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي" (متى 26، 29). كل مرة تحتفل الكنيسة بالافخارستيا، تتذكر هذا الوعد، وترنو بنظرها إلى "من سيأتي" (رؤ 1، 4). وفى صلاتها تلتمس مجيئه: "ماراناتا" (1 كو 16، 22)، "تعال ايها الرب يسوع" (رؤ 22، 20)، "لتأت نعمتك وليعبر هذا العالم!".

1404- وتعلم الكنيسة أن الرب، منذ الآن، يأتي في الافخارستيا، وأنه ههنا فيما بيننا. ولكنّ هذا الحضور محجوب عن الأنظار. ولهاذ نحتفل بالافخارستيا "منتظرين الرجاء السعيد، ومجيء مخلصنا يسوع المسيح"، وطالبين "أن نمتلئ من مجدك في ملكوتك، كلنا معاً وإلى الأبد، يوم تُمسح كل دمعة من عيوننا. يوم نراك، أنت إلهنا، كما أنت، سوف نصير شبيهين بك إلى الأبد. ونسّبحك بالا انقطاع، بالمسيح رّبنا".

1405- هذا الرجاء العظيم، رجاء سماوات جديدة وأرض جديدة يقيم فيها البر، ليس لدينا عليه عربون أوثق وآية أوضح من الافخارستيا. ولا غرو، فكل مرّة نحتفل بهذا السر، "يتمّ عمل فدائنا"، "ونكسر خبزا واحدا هو الدواء الذي يكفل لنا الخلود والترياق الذي يحول دون موتنا، بل "يتيح لنا أن نحيا في يسوع المسيح دائماً".

بإيجاز

***1406**- قال يسوع: " أنا الخبز الحي الذي نزل من السماء من يأكل من هذا الخبز يجي ء إلى الابد (....) من يأكل جسدي ويشرب دمي فله الحياة الأبدية (...) يثبت في وأنا فيه " (يو 6، 51. 54. 56).*

***1407**- الافخارستيا هي قلب حياة الكنيسة وقمتها، بها يشرك المسيح كنيسته وكل اعضائها في ذبيحة الحمد والشكر التي قربت لأبيه مرة واحدة على الصليب. بهذه الذبيحة يفيض المسيح نعم الخلاص على جسده، أي الكنيسة.*

***1408**- الاحتفال الافخارستي يتضمن دائمًا: إعلان كلمة الله، شكر الله الآب لكل أفضاله ولا سيما عطّية ابنه، ثمّ تقديس الخبز والخمر والاشتراك في الوليمة الليتورجية، بتناول جسد الرب ودمه. هذه العناصر تؤلف عمل عبادة واحدا.*

***1409**- الافخارستيا هي تذكار فصح المسيح: أي تذكار عمل الخلاص الذي حققه المسيح بحياته وموته وقيامته والذي يغدو ماثلاً في واقع العمل الليتورجي.*

1410- ان المسيح الكاهن الابدي الاعظم للعهد الجديد هو الذي يقرب الذبيح الافخارستي بواسطة الكهنة والمسيح هو نفسه أيضاً المقرب في الذبيحة الليتورجية حاضرا حضورا حقيقيا تحت اشكال الخبز والخمر.

1411- الكهنة الذين نالوا سر الكهنوت بطريقة صحيحة هم وحدهم مخولون ان يرأسوا الافخارستيا ويقدسوا الخبز والخمر ليصيروا جسد الرب ودمه.

1412- خبز الحنطة وخمر الكرمة هما الشكلان الجوهريان في سر الافخارستيا عليهما تستدعي بركة الروح القدس ويلفظ الكاهن كلمات التقديس التي نطق بهما يسوع في العشاء الأخير هذا هو جسدي الذي يكسر لأجلكم هذه هي كاس دمي.

1413- بالتقديس يتم تحول الخبز والخمر جوهريا إلى جسد المسيح ودمه وتحت اشكال الخبز والخمر التي جري عليها التقديس يحضر المسيح نفسه حيا وممجدا حضورا حقيقيا وواقعيا وجوهريا بجسده ودمه ونفسه والوهيته.

1414- ان الافخارستيا بوصفها ذبيحة تقرب أيضاً تكفيرا عن خطايا الاحياء والاموات والتماسا لأفضال الله الروحية والزمنية.

1415- من اراد ان يقبل المسيح في المناولة الافخارستيا علية ان يكون في حالة النعمة فاذا تنبه أحد إلى انه ارتكب خطا مميتا فعلية الا يتناول الافخارستيا قبل ان ينال الحل من ذنوبه في سر التوبة.

1416- الاشتراك المقدس في جسد المسيح ودمه ينمي اتحاد المؤمن مع الرب ويغفر له ذنوبه العرضية ويحفظه من الخطايا المميتة وبما ان عري المحبة بين المشترك في الافخارستيا والمسيح تزداد متانة فتقبل هذا السر يقوي وحدة الكنيسة جسد المسيح السري.

1417- ان الكنيسة تشجع المؤمنين بشدة على تقبل المناولة المقدسة عندما يشتركون في الاحتفال بالافخارستيا وتلزمهم بذلك اقله مرة في السنة.

1418- بما ان المسيح حاضر في سر المذبح فعلينا ان نحوطه بالإكرام والعبادة زيارة القربان الاقدس هي دليل معرفة جميل وعلامة حب وواجب عبادة تجاه المسيح ربنا.

1419- عندما انتقل المسيح من هذا العالم إلى ابيه ترك لنا الافخارستيا عربون المجد لديه فالاشتراك في الذبيحة المقدسة يجعلنا في شبه قلبه ويسند قوانا في دروب هذه الحياة ويشوقنا إلى الحياة الابدية ويضمنا منذ الان إلى كنيسة السماء والقديسة العذراء مريم وجميع القديسين.

الفصل الثاني

أسرار الشفاء

1420- اسرار التنشئة المسيحية تمنح الانسان حياة المسيح الجديدة ولكن هذه الحياة انما نحملها في انية من خزف (2 كو 4، 7) انها لا تزال الان مستترة مع المسيح في الله (كول 3، 3) ولا تزال في مسكننا الارضي المعرض للعذاب والمرض والموت هذه الحياة الجديدة التي تجعلنا ابناء الله يمكن ان تضعف بل ان تتلف بالخطيئة.

1421- ان الرب يسوع المسيح طبيب نفوسنا وأجسادنا الذي غفر للمقعد خطاياه واعاد الية صحة البدن اراد لكنيسته ان تواصل في قوة الروح القدس عمل الشفاء والخلاص حتى لأعضائها أنفسهم وهذا ما يهدف الية سرا الشفاء سر التوبة وسر مسحة المرضى.

المقال الرابع

سر التوبة والمصالحة

1422- ان الذين يقبلون إلى سر التوبة يصيبون من رحمة الله مغفرة الاهانة التي الحقوها به ويتصالحون في الوقت نفسه مع الكنيسة التي جرحوها بخطيئتهم والتي تسعى بمحبتها ومثالها وصلاتها في سبيل توبتهم.

ا. الاسماء التي تطلق على هذا السر

1423- انه يسمى سر الهداية لأنه يحقق سريا دعوة يسوع إلى الارتداد أي العودة إلى الاب الذي ابتعدنا عنه بالخطيئة ويسمى سر التوبة لأنه يكرس مسعي اهتداء وتوبة وتكفير يقوم به المسيحي الخاطئ.

1424- ويسمى سر الاعتراف لان الاقرار والاعتراف بالخطايا امام الكاهن هو عنصر جوهري من عناصر هذا السر وهذا السر بمفهومه العميق هو أيضاً اعتراف أي تسبيح حمد لقداسة الله وشفقته على الانسان الخاطئ ويسمى سر الغفران لان الله يمن على الخاطئ بالغفران والسلام بواسطة الحل السري الذي يمنحه الكاهن ويسمى سر المصالحة لأنه يمنح حب الله الة المصالحة تصالحوا مع الله (2 كو 5، 20) وكل من يحيا بحب الله الرحيم بوسعه ان يلبي نداء الرب اذهب اولا وصالح اخاك (متى 5، 24).

II. لماذا سر المصالحة بعد المعمودية

1425- لقد غسلتم بل قدستم بل برزتم باسم ربنا يسوع المسيح وبروح الهنا (1 كو 6، 11) لابد من ان ندرك عظمة عطية الله التي انعم بها علينا عبر اسرار التنشئة المسيحية لكي ندرك إلى أي مدي يجب على المسيحي الذي لبس المسيح ان ينفض الخطيئة عنه ولكن الرسول القديس يوحنا يقول أيضاً إذا زعمنا اننا بلا خطيئة خدعنا أنفسنا ولم نكن على الحق (1 يو 1، 8) والرب علمنا ان نصلي اغفر لنا ذنوبنا (لو 11، 4) وقد جعل صفح الله عن خطايانا رهنا بتبادل الصفح بيننا وبين الاخرين.

1426- الارتداد إلى المسيح والولادة الجديدة بالمعمودية وموهبة الروح القدس وجسد المسيح ودمه اللذان نتناولهما طعاما كل هذا قد جعلنا قديسين وبلا عيب عنده (اف 1، 4) على غرار الكنيسة نفسها عروس المسيح المقدسة والبريئة من العيب (اف 5، 27) بيد ان الحياة الجديدة التي تلقيناها في فترة التنشئة المسيحية لم تلغ هشاشة الطبيعة البشرية وضعفها ولا النزوع إلى الخطيئة الذي يسميه التقليد شهوة والذي يلبث في المعمدين ليؤدوا الدليل بمعونة نعمة المسيح على امانتهم في الجهاد الذي تتطلبه الحياة المسيحية هذا الجهاد هو جهاد الارتداد إلى الله بغية القداسة والحياة الابدية التي لا يني الرب يدعونا إليها.

III. ارتداد المعمدين

1427- يسوع يدعونا إلى الارتداد الية هذا النداء هو جزء جوهري في بشري الملكوت لقد تم الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وامنوا بالإنجيل (مر 1، 15) في كرازة الكنيسة يتوجه هذا النداء اولا إلى الذين لم يعرفوا بعد المسيح وإنجيله ولذا فالمعمودية هي الموقع الرئيسي للارتداد الاول والاساسي فبالإيمان بالبشري السعيدة وبالمعمودية يعرض الانسان عن الشر وينال الخلاص أي مغفرة كل الخطايا وموهبة الحياة الجديدة.

1428- والواقع ان نداء المسيح إلى الارتداد لا يزال يدوي في حياة المسيحيين هذا الارتداد الثاني مهمة مستمرة لا تنقطع في الكنيسة كلها التي تضم خطأة في حضنها وهي في ان واحد مقدسة ومفتقرة دائما إلى التطهير ولا تني عاكفة على التوبة والتجدد هذا السعي إلى الارتداد ليس عملا بشريا وحسب بل هو من وحي القلب المنسحق تجذبه النعمة وتحركه ليستجيب لحب الله الشفوق الذي احبنا هو اولا.

1429- ودليل ذلك ارتداد القديس بطرس، بعد أن أنكر معلمه ثلاثاً. لقد نظر إليه يسوع بعين ملؤها الرأفة، ففاضت دموعه توبة، وبعد قيامة الرب، أكد له حبه ثلاثاً. هذا الارتداد يكتسي طابعاً جماعيا، يظهر في نداء الرب إلى كنيسته بأجمعها: "توبوا!" (رؤ 2، 5. 16).

في شأن هذين الارتدادين، يؤكد القديس أمبروسيوس أن في الكنيسة "الماء والدموع: ماء المعمودية ودموع التوبة".

IV. 4- التوبة الباطنة

1430- دعوة يسوع إلى الارتداد والتوبة، على غرار دعوة الأنبياء، لا تتوخى أولاً الاعمال الظاهرة: "المسح والرماد"، والأصوام والتقشفات، بل ارتداد القلب والتوبة الباطنة، بدون هذه التوبة الباطنة، تبقى أعمال التوبة الظاهرة عقيمة زائفة، بينما الارتداد الباطن يهيب بالإنسان إلى ان يعبر توبته بأدلة حسية وأفعال توبة أعمال.

1431- التوبة الباطنة هي إعادة توجيه جذرية للحياة كلها، انها عودة وارتداد إلى الله من صميم قلبنا، وإمساك عن الخطيئة وبغض للشر، وكره لما اقترفناه من أعمال ذميمة وهي تنطوي، في الوقت نفسه على الرغبة والقصد في أن نجدد حياتنا معتصمين برجاء رحمة الله، والثقة بمعونة نعمته ارتداد القلب هذا يرافقه توجع وحزن خلاصيان سماهما الآباء غم الروح، وانسحاق القلب.

1432- قلب الإنسان باهظ ومتصلب، ولابد للإنسان من قلب جديد ينفحه به الله. والارتداد إنما هو اولاً عمل نعمة الله الذي يرد قلوبنا إليه: " أعدنا يا رب اليك فنعود " (مر 5، 21). ويؤتينا الله قوة لنبدأ جديداً. وعندما نكتشف عظمة محبة الله، يتفطر قلبنا من هول الخطيئة وثقلها، ويدرب فيه الحوف من أن يهين الله وينفصل عنه، القلب البشرى يرتد إلى الله عندما يشخص إلى ذاك الذي طعنته معاصينا:

"لنجعل عيوننا شاخصه إلى دم المسيح ولنفهم كم هو نفيس في نظر أبيه، لأنه اريق لأجل خلاصنا، فأسبغ على العالم كله نعمة التوبة".

1433- منذ الفصح، والروح القدس يفحم العالم بشأن الخطيئة وذلك بان العالم لم يؤمن بمن أرسله الآب، ولكن هذا الروح عينه الذي يفضح الخطيئة هو المعزي الذي يلقي في قلب الإنسان نعمة التوبة والارتداد.

7. 5- مختلف أنواع التوبة في الحياة المسيحية

1434- توبة الإنسان الباطنة قد تتخذ تعابير غاية في التنوع. ويلح الكتاب المقدس والآباء على ثلاثة أشكال لها: الصوم والصلاة، والصدقة، وهي تعبر عن الارتداد في علاقته مع الذات، ومع الله ومع الآخرين فإلى جانب التنقية الجذرية التي تتم بالمعمودية أو بالاستشهاد، يذكرون من بين الوسائل المعتمدة لتنيل مغفرة الخطايا: الجهود المبذولة للتصالح مع القريب، ودموع التوبة، والاهتمام بخلاص القريب، وشفاعة القديسين وممارسة المحبة التي " تستر جماً من الخطايا " (1 بط 4، 8).

1435- في الحياة اليومية يتم الارتداد عبر أفعال مصالحة، والاهتمام بالمعوزين وممارسة العدالة والحق والدفاع عنهما، والاقرار بالذنوب أمام الآخرين، والتأديب الأخوي ومراجعة الحياة، ومحاسبة الضمير، والارشاد الروحي، واحتمال الاوجاع والصبر على الاضطهاد من اجل البر، ان نحمل الصليب كل يوم ونتبع يسوع هو الطريق الآمن إلى التوبة.

1436- الافخارستيا والتوبة: الارتداد والتوبة، كل يوم، منبعهما وغذاؤهما الافخارستيا، ففيها تتجدد ذبيحة المسيح الذي صالحنا مع الله بالافخارستيا يتغذى ويتقوى الذين يحبون حياة المسيح "وهي الترياق الذي يعتقنا من اخطائنا اليومية ويصوننا من الخطايا المميتة".

1437- قراءة الكتاب المقدس وليتورجيا الساعات وصلاة الأبانا وكل عمل خالص من أعمال العبادة والتقوى ينشط فينا روح الهداية والتوبة ويساهم في غفران خطايانا.

1438- اوقات التوبة وأيامها على مدار السنة الليتورجية (زمن الصوم وكل جمعه تذكارا لموت المسيح)، كلها أوقات مكثفة لممارسة التوبة في الكنيسة. هذه الاوقات تناسب، بطريقة خاصة الرياضات الروحية وليتورجيات التوبة، والحج في سبيل التوبة والتضحيات الطوعية كالصوم والصدقة والمشاركة الاخوية (الاعمال الخيرية والرسولية).

1439- حركة الارتداد والتوبة وصفها يسوع وصفا رائعا في المثل المعروف بمصل "الابن الشاطر"، ومحوره: "الأب الرحيم": جاذبية الزائفة، النزوح عن البيت الابوي؛ البؤس المدفع الذي آل اليه الابن بعد أن بدد ثروته؛ الخزي العميق بسبب ما اجبر عليه من رعاية الخنازير؛ التأمل في الخيرات المفقودة؛ التوبة وقراره الافضاء إلى أبيه بذنبه؛ طريق العودة؛ حفاوة الوالد به حفاوة سخية؛ فرح الأب: هذه كلها ملامح ترسم مسار الارتداد، واما الحلة الفاخرة والخاتم ووليمة العيد فهي رموز هذه الحياة الجديدة النقية الكريمة الزاخرة بالفرح، حياة الإنسان الذي يرجع إلى الله والى حضن اسرته أي الكنيسة. قلب المسيح الذي يسير وحده أعماق حب ابيه، استطاع أن يكشف لنا عميق رحمته، كشفاً مشبعاً بالبساطة والروعة.

VI. سر التوبة والمصالحة

1440- الخطيئة هي اولاًَ إهانة لله وقطع للشركة معه. وهي، في الوقت نفسه مساس بالشركة مع الكنيسة. ومن ثم فالارتداد يستنزل علينا صفح الله، ويحقق المصالحة مع الكنيسة، في آن واحد. وهذا ما يوحيه ويحققه، ليتورجيا، سر التوبة والمصالحة.

الله وحده يغفر الخطايا

1441- الله وحده يغفر الخطايا، ولأن يسوع هو ابن الله، فهو يقول عن نفسه: "إن ابن البشر له سلطان يغفر به الخطايا في الأرض" (مر 2، 10)، ويمارس هذا السلطان الإلهي: "مغفورة لك خطاياك" (مر 2، 5)، وهو، إلى ذلك، بفعل سلطته الإلهية، يفوض إلى الناس هذا السلطان، يمارسونه باسمه.

1442- لقد أراد المسيح أن تكون كنيسته بكاملها، في حياتها وصلاتها وتصرفها، علامة ووسيلة للمغفرة والمصالحة اللتين استحقهما لنا بثمن دمه بيد انه وكل إلى خلفائه في الخدمة الرسولية ممارسة سلطان الحل، وفوض إليهم "خدمة المصالحة" (2 كو 5، 18). فالرسول مبعوث "باسم المسيح"، "والله نفسه" هو الذي، من خلاله، يحث ويناشد: "صالحوا الله" (2 كو 5، 20).

المصالحة مع الكنيسة

1443- إن يسوع، مدة حياته العلنية، لم يغفر الخطايا وحسب، بل أظهر أيضاً مفعول هذا الغفران: لقد أعاد الخطأة الذين غفر لهم خطاياهم إلى حضن جماعة شعب الله، وكانت الخطيئة قد اقصتهم عنها بل نفتهم منها، وهناك دليل ساطع على هذا: وهو ان يسوع قد قبل الخطأة إلى مائدته، بل جلس هو نفسه إلى مائدتهم، وقد أعرب بتصرفه هذا، بطريقة مؤثرة وفي آن واحد، عن صفح الله وعودة الخاطئ إلى حضن شعب الله.

1444- لقد أعطى الرب الرسل ما له من سلطان خاص على مغفرة الخطايا وأعطاهم أيضاً السلطة لإجراء مصالحة الخطأة مع الكنيسة. هذا الطابع الكنسي في مهمتهم ينعكس خصوصاً في الكلمة التي وجهها المسيح رسميا إلى سمعان بطرس: " سأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات " (متى 16، 19) " مهمة الربط والحل هذه التي اعطيت لبطرس، قد أعطيت أيضاً لهيئة الرسل متحدين برئيسهم " 0 متى 18، 18؛ 28، 16- 20).

1445- وتعني لفظتا الحل والربط: أن من تعزلونه من شركتكم يعزل من شركته مع الله. وأن تقبلونه ثانية في شركتكم، يقبله الله أيضاً في شركته. فالمصالحة مع الكنيسة لا تنفصل عن المصالحة مع الله.

سر الغفران

1446- لقد وضع سّر التوبة لجميع الاعضاء الخطأة في الكنيسة، وفي طليعتهم اولئك الذين، بعد المعمودية، سقطوا في الخطيئة الثقيلة وخسروا هكذا نعمة المعمودية، وجرحوا الشركة الكنسية. هؤلاء يجدون في سر التوبة فرصة جديدة للارتداد إلى الله واستعاده نعمة البرارة. ويرى آباء الكنيسة في هذا السر "خشبة (خلاص) جديدة بعد الغرق الذي يحدثه فقدان النعمة".

1447- الصيغة العلمية التي اعتمدتها الكنيسة، عبر الأجيال، في ممارسة هذا السطلان الذي تلقته من الرب، قد تبدلت كثيراً، ففي الاجيال الاولى، كانت مصالحة المسيحيين الذين افترقوا الكبائر العلني عن خطاياهم، وذلك، غالبا، مدة سنين طويلة قبل ان يحفظوا بالمصالحة " هيئة التائبين هذه، (المحصورة في بعض الخطايا الثقيلة) لم يكن لينتمي إليها إلا قلة من الناس، وفي بعض المناطق مرة واحدة في الحياة. في غصون القرن السابع، أدخل بعض المرسلين الأيرلنديين إلى اوروبا القارية، بوحي من التقليد الرهباني في الشرق، الطريقة الفردية " في ممارسة التوبة، معفاة من كل قيام علني ولمدة طويلة بأعمال توبة قبل نيل المصالحة مع الكنيسة. وأمسى السر، منذئذ، يتم بطريقة فردية بين التائب والكاهن. هذا النمط الجديد بما بات يفترضه من إمكان التكرار، أفسح الطريق إلى ممارسة سّر التوبة وممارسة متواترة، وأتاح للكاهن ان يمنح الصفح، في احتفال واحد، عن الخطايا الثقيلة والخطايا العرضية. هذه الصيغة في ممارسة سر التوبة هي، في خطوطها الكبرى، الصيغة المرعية حتى اليوم في الكنيسة.

1448- وإننا لنلاحظ ذات البنية الأساسية عبر التطورات التي تقلب فيها هذا السر، في نظامه وطريقة الاحتفال به، على مر الاجيال، فهناك عنصران جوهريان متساويان في الأهمية: من جهة أعمال الإنسان المرتد بفعل الروح القدس، وهي التوبة والإقرار بالخطايا، والكفارة؛ ومن جهة أخرى، عمل الله بواسطة الكنيسة. فالكنيسة التي تغفر الخطايا وتحدد طريقة التكفير عنها، بواسطة الأسقف وكهنته، وباسم يسوع المسيح تصلى، هي أيضا، لأجل الخاطئ وتشترك معه في عمل التكفير وهكذا، يخطئ الخاطئ بالشفاء ويعود إلى حضن الشركة الكنسية.

1449- صيغة الحل المستعملة في الكنيسة اللاتينية تعبر عن مقومات هذا السر الجوهرية: أبو المراحم هو ينبوع كل عفران، ويحقق مصالحة الخطأة بفصح ابنه وموهبة روحه عبر صلاة الكنيسة وخدمتها:

"فليظهر لك الله ابونا رحمته، هو الذي صالح العالم بموت ابنه وقيامته وأرسل الروح القدس لمغفرة الخطايا. وليهب لك الصفح والسلام بواسطة الكنيسة وخدمتها وانا اغفر لك خطاياك كلها باسم الآب والابن والروح القدس".

VII. أعمال التائب

1450- "إن التوبة تلزم الخاطئ بأن يتقبل بسرور هذه العناصر كلها: الندم في قلبه، والإقرار بلسانه، وفي تصرفه تواضعاً كاملاً أو تكفيراً مثمراً".

الندامة

1451- تتصدر الندامة أفعال التائب كلها. والندامة هي "ألم في النفس وكره للخطيئة وعزم على الا نعود إليها من بعد"

1452- عندما تصدر الندامة عن حب لله يفوق كل شيء تسمى " كاملة" (ندامة المحبة) هذه الندامة تغفر الخطايا العرضية، وتحظى أيضاً بمغفرة الخطايا المميتة إذا رافقها العزم على الثابت على اللجوء إلى سر الاعتراف في أقرب فرصة.

1453- الندامة المسماة "ناقصة" هي أيضاً عطية من الله وحفز من الروح القدس، يولدها اعتبار بشاعة الخطيئة والخوف من العقاب الأبدي وسائر العواقب التي تهدد الخاطئ (ندامة الخوف) هذه الهزة الضميرية قد تحدث بدء تطور باطن يكتمل بالحلة السرية، بفعل الروح القدس. ولكن الندامة الناقصة، بحد ذاتها، لا تفوز بمغفرة الخطايا الثقيلة بل تمهد لنيلها في سر التوبة.

1354- يحسن الاستعداد لقبول هذا السر بمحاسبة الضمير، نقوم بها في ضوء كلمة الله، انسب النصوص لهذا الغرض نجده في وصايا الله العشر وفي التعليم الاخلاقي المتضمن في الأناجيل ورسائل الرسل: عظة الجبل، والتعاليم الرسولية.

الإقرار بالخطايا

1455- الاعتراف بالخطايا (أو الإقرار)، حتى من الناحية البشرية البحتة، يحررنا ويسهل مصالحتنا مع الآخرين. الإقرار يتيح للإنسان أن يواجه الاخطاء التي اقترفها، ويتحمل مسؤوليتها، ويعود من ثانية إلى الله والى الشركة الكنسية ليعد لذاته مستقبلاً جديداً.

1456- الإقرار بالخطايا للكاهن هو جزء جوهري في سر التوبة: "على التائبين أن يعدوا، في الاعتراف، كل الخطايا المميتة التي يتذكرونها، بعد محاسبة للنفس متقنة، حتى وإن كانت هذه

الخطايا حميمة، واقتصرت على مخالفة الوصيتين الأخيرتين في لائحة الوصايا العشر، فهذه الخطايا تجرح النفس أحيانا بجرح أبلغ وأخطر من الخطايا من الخطايا التي ترتكب بمشهد من الجميع".

"عندما يحاول المؤمنون بالمسيح أن يقروا بكل الذنوب التي يتذكرونها، لا يمكن أن نشك بأنهم يكشفونها كلها امام صفح الله ورحمته، واما الذين يتصرفون بعكس ذلك، ويخفون عمدا بعضا منها، فهم لا يقدرون للرحمة الإلهية شيئا تصفح عنه بواسطة الكاهن، لأنه " إذا خجل المريض من كشف جرحه للطبيب، فالطب لا يداوي ما يخفى عليه".

1457- تأمر الكنيسة " كل مؤمن بلغ سن الرشد بأن يعترف، أقله مرة في السنة، بالخطايا الثقيلة التي يتذكرونها " من يتذكر خطيئة مميته ارتكبها عليه الا يتناول القربان المقدس، قبل أن ينال الحلة السرية، حتى وان اوجس ندامة كبيرة، ما لم يكن له سبب خطير للتناول، وامتنع عليه الوصول إلى كاهن معرف. وعلى الاولاد أن يقبلوا على سر التوبة قبل المناولة الاولى.

1458- الاعتراف بالخطايا اليومية (الخطايا العرضية) ليس ملزما حصراً ولكن الكنيسة تحبذه بشدة ولا غرو، فالاعتراف المنتظم بخطايانا العرضية يساعدنا في تهذيب ضميرنا، ومكافحة ميولنا الرديئة، والتماس البرء من المسيح، والتقدم في حياة الروح ولا شك أننا إذا نلنا بهذا السر، موهبة رحمة الآب، بطريقة متواترة فذلك يدفعنا إلى أن نكون رحماء على مثاله:

"من يعترف بخطاياه يعمل بمعية الله. فالله يشكو ذنوبك فإذا شكوتها أنت أيضا، فإنك تنضم إلى الله. الله والخاطئ هما اثنان نوعا ما: فعندما يحدثونك عن الانسان فالإنسان من صنع الله وعندما يحدثونك عن الخاطئ، فالخطيئة من صنع نفسه، فدمر صنعته أنت لكي ينقذ الله ما صنع هو (...) عندما تبدأ تمج ما صنعت، حينئذ تبدأ حسناتك، لأنك تقر بأعمالك السيئة. بداية الحسنات هي الإقرار بالسيئات. تصنع الحقيقة وتقبل إلى النور".

التكفير

1459- ثمة خطايا كثيرة تسيء إلى القريب، فلابد من ان نبذل المستطاع للتكفير عن الإساءة (رد المسروقات مثلاً، إعادة حسن الصيت لمن افترينا عليه، التعويض عن الجروح) ذاك مقتضى من أبسط مقتضيات العدل. ولكن الخطيئة، علاوة على ذلك تجرح الخاطئ نفسه وتضعفه، كما تجرح وتضعف علاقاته بالله وبالقريب. إن الحلة تلغي الخطيئة ولكنها لا تداوي كل البلبلات التي أحدثتها الخطيئة. على الخاطئ، بعد أن ينهض من كبوته، أن يسعى إلى استرداد كامل عافيته

الروحية، عليه إذًا ان يضيف على توبته ما يعوض به عن ذنوبه: عليه أن: "يكفر" عن ذنوبه بما يتناسب وإياها. هذه الكفارة تسمى "العقوبة".

1460- "الكفارة" التي يفرضها المعرف يجب أن تراعي وضع التائب وتتوخى مصلحته الروحية، وتتناسب، قدر الإمكان، مع خطورة الخطايا المرتكبة وطبيعتها، قد تكون الكفارة صلاة، أو تقدمة، او قياماً بأعمال رحمة، او خدمة للقريب او تقشفات طوعية أو تضحيات وأهم من ذلك كله الصبر في احتمال صليبنا كل يوم. هذه الكفارات تساعدنا في التمثل بالمسيح الذي كفر وحده عن خطايانا مرة واحدة، وتتيح لنا ان نكون وارثين مع المسيح القائم من القبر "ما دمنا نتألم معه" (روم 8، 17).

"إلا أن كفارتنا التي تقدمها عن خطايانا، لا تتم إلا بيسوع المسيح: فنحن، من تلقاء أنفسنا وبحد ذاتنا لا نقوى على شيء ولكن "بمعونة من يقوينا، نستطيع كل شيء". فليس للإنسان ما يفاخر به، ولكن "فخرنا" هو المسيح (...) الذي به نكفر عن خطايانا "مثمرين ثمار توبة"، تستمد منه قوتها، وبه نقربها إلى الآب، وبفضله يرضى الآب عنها".

VIII. خادم سر التوبة

1461- بما أن المسيح قد وكل إلى رسله خدمة المصالحة، فالأساقفة خلفاؤهم والكهنة، معاونو الأساقفة، يواصلون القيام بهذه الخدمة. فالأساقفة والكهنة هم الذين يملكون، بقوة سر الكهنوت، سلطان مغفرة الخطايا كلها، "باسم الآب والابن والروح القدس".

1462- مغفرة الخطايا تصالحنا مع الله، ولكنها تصالحنا أيضاً مع الكنيسة فالأسقف، الرأس المنظور في الكنيسة الخاصة، يعتبر إذًا بحق، منذ الأزمنة الغابرة، صاحب السلطان الأول في خدمة المصالحة، والقيم على نظام التوبة. وأما الكهنة الذين يعاونونه، فيمارسون بمقدار هذا السلطان ما ينتدبهم لهذه المهمة اسقفهم (او رئيس رهبنة أو البابا، بقوة الحق الكنسي.

1463- ثمة خطايا على جانب كبير من الخطورة يقع عليها الحرم، وهو اشد كنسية تنزل بالخاطئ وتحترم عليه قبول الأسرار وممارسة بعض الأعمال الكنسية، ولا يحق من هذا الحرم، بموجب الحق الكنسي، إلا البابا والاسقف المحلى، ومن ينتدبانه من الكهنة في حال خطر الموت يجوز لكل كاهن، وان لم يفوض إليه سماع الاعترافات، أن يحل من كل خطيئة ومن كل حرم.

1464- على الكهنة أن يحثوا المؤمنين على الإقبال إلى سر التوبة، وعليهم أن يتفرغوا لهذا السر كل مرة يطلبه المسيحيون بطريقة معقولة.

1465- عندما يقوم الكاهن بخدمة سر التوبة، إنما يقوم بخدمة الراعي الصالح الذي يبحث عن النعجة الضالة، وخدمة السامري الرحيم الذي يضمد الجروح، والأب الذي ينتظر الابن الشاطر ويرحب به عند عودته، والقاضي الذي لا يحابي أحداً، ويصدر حكماً عادلاً ورحيماً. وقصارى القول إن الكاهن هو علامة محبة الله ورأفته بالخاطئ وأداتها.

1466- ليس المعرف سيد الصفح الإلهي بل خادمه. خادم هذا السر يجب أن يتحد بنية المسيح ومحبته. وعليه ان يكون على معرفة وخبرة بطريقة التصرف المسيحي، وإلمام بالشؤون الإنسانية، واحترام ورقة في معاملة الإنسان الساقط. وعليه أن يهوى الحقيقة ويتمسك بالتعليم الكنسي ويقود التائب برفق إلى الشفاء والنضج الكامل. وعليه ان يصلي ويكفر عنه ويكل أمره إلى رحمة الرب.

1467- نظراً إلى دقة هذه الخدمة وعظمتها، والى الاحترام الواجب للأشخاص تعلن الكنيسة ان كل كاهن يسمع اعترافات ملزم بحفظ السر المطلق في ان الخطايا التي يعترف بها التائبون، وذلك تحت طائلة العقوبات الشديدة. ولا يجوز له أيضاً أن يستخدم ما يستقيه من الاعتراف من معلومات تتعلق بحياة التائبين. هذا السر الذي لا يحتمل أي استثناء يسمى، لأن ما يكشفه التائب للكاهن يبقى "مختوماً" بالسر.

IX. مفاعيل هذا السر

1468- "كل مفعول سر التوبة ان يعيدنا على نعمة الله ويضمنا إليه في صداقة قصوى" هدف هذا السر ومفعوله هو إذًا ان نتصالح مع الله. إن الذين يقبلون إلى سر التوبة بقلب منسحق، واستعداد ورع "يشعرون من بعده بسلام الضمير وراحته، ترافقهما تعزية روحية قوية" وذلك بأن سر المصالحة مع الله يجلب لنا "قيامة روحية" حقيقة واسترداداً لما يملكه أبناء الله، في حياتهم، من كرامة وخيرات أثمنها صداقتنا مع الله".

1469- هذا السر يصالحنا مع الكنيسة. فالخطيئة تثلم الشركة الاخوية أو تحطمها وسر التوبة يصلحها ويرممها وهو، في هذا الصدد لا يشفي فقط من أعيد إلى الشركة الكنيسة، بل يحدث أثراً محييا في حياة الكنيسة التي ألمت بها خطيئة أحد اعضائها فإذا ارتد الخاطئ إلى شركة القديسين وثبت فيها، فهو يتقوى بتبادل الخبرات الروحية بين جميع أعضاء جسد المسيح الحية، سواء الذين لايزالون في دروب هذه الحياة أو اللذين سبقونا إلى الوطن السماوي:

" لابد من التذكر بأن المصالحة مع الله تستتبع، نوعا ما، مصالحات أخرى، تصلح ما تؤدي إليه الخطيئة من صدوع أخرى: فالتائب الذي شمله الصفح يصالح ذاته في عمق كيانه، حيث

يستعد حقيقته الباطنة؛ ويصالح إخوته الذين أهانهم، نوعاً ما، وجرحهم؛ ويصالح الكنيسة بل الخليقة كلها".

1470– في هذا السر يستبق الخاطئ، نوعاً ما، بوضع ذاته تحت حكم الله الشفوق، الحكم الذي سوف يخضع له في ختام حياته الدنيوية، لأننا الآن، ونحن في قيد هذه الحياة، يترك لنا الخيار بين الحياة والموت، وليس لنا إلا التوبة باباً لدخول الملكوت الذي تنفينا منه الخطيئة الثقيلة. فعندما يرتد الخاطئ إلى المسيح بالتوبة والإيمان، ينتقل من الموت إلى الحياة "ولا يخضع للدينونة" (يو 5، 24).

X. الغفرانات

1471– قضية الغفرانات في الكنيسة. عقيدة وممارسة. مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بسر التوبة.

ما هو الغفران؟

"الغفران هو أن يترك لنا الله العقاب الزمني الذي تستتبعه الخطايا المغفورة غلطتها وترك العقاب هذا يخطئ به المؤمن بشروط معينة، بفعل الكنيسة التي جعلها الله قيمة على ثمار الفداء فتوزعها بسلطانها، وتطبق على المؤمن استحقاقات المسيح والقديسين".

"يكون الغفران جزئيا أو كاملاً، حسبما يعفى الخاطئ جزئياً او كلياً من العقاب الزمني الذي تجره الخطيئة" "كل مؤمن باستطاعته ان يحصل على غفرانات [....] لنفسه أو يطبقها على الراقدين".

عقوبات الخطيئة

1472– لكي نفهم هذه العقيدة وهذه الممارسة في الكنيسة، لابد من النظر إلى الخطيئة في مفعولها المزدوج فالخطيئة الثقيلة تحرمنا الشركة مع الله، وتجعلنا، من ثم، غير أهل للحياة الأبدية، وهذا ما يسمى "بالعقاب الابدي" للخطيئة. ومن جهة أخرى، كل خطيئة، حتى الخطيئة العرضية، تجعلنا نتعلق تعلقاً مريضا بالخلائق، يحتاج إلى تنقية، سواء في هذا العالم أم بعد الموت، في الحالة المعروفة "بالمطهر" هذه التنقية تعفينا مما يسمى "بالعقاب الزمني" للخطيئة، هاتان العقوبتان، يجب الا نعتبرهما شبه انتقام ينزله الله بنا من الخارج، بل نتيجة نابعة من طبيعة الخطيئة نفسها. التوبة الصادرة عن محبة متقدة قد تؤدي بالخاطئ إلى تنقية كاملة تعفي صاحبها من كل عقاب.

1473- معفرة الخطيئة واستعادة الشركة مع الله يستتبعان محو العقوبات الابدية الناجمة عن الخطيئة وانما تبقي هناك عقوبات زمنية وعلى المسيحي ان يسعي إلى ان يتحمل في الصبر عذابات الحياة ومحنها المتنوعة ومتى حانت الساعة ان يواجه الموت راضيا ويحسب هذه العقوبات الزمنية نعمة من الله وعليه ان يدأب بأعمال الرحمة والمحبة وكذلك بالصلاة ومختلف اعمال التوبة في ان يخلع عنه كليا الانسان القديم ويلبس الانسان الجديد.

في شركة القديسين

1474- المسيحي الساعي إلى تنقية ذاته من الخطيئة وتقديس ذاته بمعونة النعمة الإلهية، ليس وحيداً في مسعاه هذا، "حياة كلّ من أبناء الله مرتبطة ارتباطاً عجيباً، في المسيح وبالمسيح، بحياة جميع إخوته المسيحين، في وحدة تفوق الطبيعة، وحدة جسد المسيح السرّي، كما في شخص سرّي".

1475- في شركة القديسين، "يقوم بين المؤمنين – الذين بلغوا الوطن السماوي والذين قبُلوا في المطهر للتكفير عن ذنوبهم، والذين لا يزالون حُجاجاً في الأرض- رباط محبّة دائم، وتبادل فائض لجميع الخيور". في هذا التبادل العجيب، قداسة الفرد تعود على الآخرين بفائدة تتخطّى، إلى حدّ بعيد، الأذى الذي تُلحقه بالآخرين خطيئة الفرد. وهكذا يجد الخاطئ التائب، في الركون إلى شركة القديسين، وسيلة أسرع وأفعل، ليتنقىّ من عقوبات الخطيئة.

1476- هذه الخيور الروحية النابعة من شركة القديسين، نسيمّيها أيضاً كنز الكنيسة. "وليس هذا الكنز مجموعَ خيور، على شاكلة الثروات المادّية المكدّسة على مدّ الأجيال، بل هو الثمن اللانهائي الفيّاض الذي احرزته، عند الله، كفّارات المسيح ربنا واستحقاقاته المقرّبة لتُعتَق البشريّة من الخطيئة وتنال الشركة مع الآب. ففي المسيح فادينا تفيض كفّاراتُ فدائه واستحقاقات هذا الفداء".

1477- "وينضاف إلى هذا الكنز أيضاً صلوات الطوباوية العذراء مريم وأعمالهُا الصالحة ولها، في نظر الله، ثمن دائم التجدد لا حدّ له ولا قياس، وكذلك صلوات جميع القديسين وأعمالهم، وقد تقدّسوا بنعمة المسيح، وساروا في خطاه، وأرضوا الرب بسيرتهم، وساهموا، وهم يعملون لخلاصهم، في خلاص إخوتهم أيضاً، في وحدة الجسد السرّي".

نيل الغفران من الله بواسطة الكنيسة

1478- تحظى "بالغفران" بواسطة الكنيسة التي نالت من المسيح يسوع سلطان الحلّ والرّبط. فبقوّة هذا السلطان، تتوسط الكنيسة للمسيحي، وتفتح له كنز استحقاقات المسيح والقديسين، وتنال

له، من لدن أبي المراحم، ترك العقوبات الزمنية الناجمة عن خطاياه. وهكذا، لا تبغي الكنيسة أن تغيث هذا المسيحي فحسب، بل أن تستحثّه على القيام بأعمال تقوى وتوبة ومحبّة.

1479- نظراً إلى أنّ المؤمنين الراقدين الذي لا يزالون في طور التطهر هم أعضاء أيضاً في شركة القديسين عينها، بوسعنا أن نسعفهم بطرق متنوّعة، كأن ننال لهم من الغفرانات ما يعفيهم من العقوبات الزمنيّة التي جرّتها عليهم ذنوبهم.

XI. الاحتفال بسرّ التوبة

1480- سرّ التوبة، أسوة بباقي الاسرار، هو عمل ليتورجي. وهذه هي عادةً عناصر الاحتفال به، تحيّة الكاهن وبركتُه، قراءة كلمة الله لإنارة الضمير وتحريك الندامة والحثّ على التوبة، الاعترافُ الذي به يُقرّ التائب بخطاياه ويكشفها للكاهن، فرضُ القصاص وقبوله، الحلّ من الخطايا على يد كاهن، الحمد والشكُرُ وصرفُ التائب مُزوَّداً ببركة الكاهن.

1481- نجد في الليتورجيا البيزنطية للحلّ عدّة صيغ ابتهالية تعبّر تعبيراً رائعاً عن سرّ الغفران، "الإله الذي، بواسطة ناتان النبي، غفر لداود خطاياه التي اعترف بها، ولبطرس الذي بكى بكاء مرّاً، وللزانية التي أفاضت الدموع على قدميه، وللعشار والابن الشاطر، هذا الإله عينه يصفح عنك، بواسطتي أنا الخاطئ، في هذه الحياة وفي الآخرة، ويظهرك بلا دينونة أمام منبره الرهيب، هو المبارك إلى دهر الداهرين. آمين".

1482- سرّ التوبة، يجوز إقامته أيضاً في إطار احتفال جماعي، نستعدّ فيه معاً للاعتراف، ونشكر الله معاً ما جاد به علينا من الصفح. في هذا الإطار يُفسح مجال للاعتراف الفردي بالخطايا، وللحل الفردي، في تضاعيف ليتورجيا كلمة الله، مع ما يرافق ذلك من قراءات وعظة ومحاسبة ضمير مشتركة، والتماس جماعيّ للصفح وصلاة الأبانا والشكر المشترك. هذا الاحتفال الجماعي يعبّر، بطريقة أبلغ، عن التوبة في طابعها الكنسي. ولكن، أيّاً كانت طريقة الاحتفال به، فَسِرّ التوبة هو دائماً، في طبيعته ذاتها، عمل ليتورجي وبالتالي كنسيّ وعلنيّ.

1483- في حال الضرورة الماسّة يجوز اللجوء إلى سرّ المصالحة في احتفال جماعي يتضمّن الاعتراف العمومي والحلّ العمومي. مثل هذه الحاجة قد يطرأ في حال خطر موت داهِم لا يتيح للكاهن أو للكهنة ما يكفي من الوقت للاستماع إلى اعتراف كل تائب بمفرده. وقد تطرأ الضرورة الماسّة أيضاً عندما لا يتوفرّ عدد المعرّفين لتلبية جمهور التائبين، والاستماع، بالطريقة المفروضة، إلى اعترافاتهم الفردية في وقت معقول، فيُحرم التائبون، مدّة طويلة، عن غير ذنب منهم، نعمة السرّ أو التناول المقدس. في هذه الحال، يجب على المؤمنين، لينالوا حلًّا صحيحاً لذنوبهم، أن

يعقدوا العزم على الاعتراف الفردي بخطاياهم الثقيلة، في الوقت المطلوب. وإنّه لمن صلاحيّات الأسقف الأبرشي أن ينظر في الشروط المطلوبة للحل الجماعي. أمّا توافد المؤمنين في مناسبة الأعياد الكبرى أو في مناسبات الحجّ، فلا يشكّل حالة من أحوال هذا الخطر الماسّ.

1484- "الاعتراف الفرديّ الكامل والحلّ الذي يعقبه هما الطريقة العادية الوحيدة لتحقيق المصالحة مع الله والكنيسة، إلاّ إذا أعفي من مثل هذا الاعتراف مانع طبيعيّ أو أدبيّ". هذه القاعدة لا تخلو من أسباب عميقة. فالمسيح يعمل من خلال كلّ من الأسرار، ويتوجّه شخصيّاً إلى كلّ من الخطأة، "يا بنيّ، مغفورة لكَ خطاياك" (مر 5، 2). إنّه الطبيب المنحني على كلّ من المرضى المحتاجين إليه ليبرأوا، يُقيلهُم من عثرتهم ويعيدهم إلى الشركة الأخوية. الاعتراف الفرديّ هو الصيغة الأمثل لعقد المصالحة مع الله والكنيسة.

بإيجاز

1485- *"في مساء الفصح ظهر الرب يسوع لرسله وقال لهم، "خذوا الروح القدس. فمن غفرتم خطاياهم غفرت لهم، ومن أمسكتم أمسكت" (يو 20، 22- 23).*

1486- *مغفرة الخطايا المقترفة بعد المعمودية تمنح بواسطة سرّ خاص يعرف بسرّ الارتداد، أو الاعتراف، أو التوبة، أو المصالحة.*

1487- *من يخطأ يجرح الله في كرامته ومحبته، ويجرح كرامة الانسان الذاتّية بصفته كائناً مدعّواً إلى أن يكون ابن الله، ويبلبل راحة الكنيسة الروحية، تلك الكنيسة التي يجب على كلّ مسيحي أن يكون فيها حجراً حياً.*

1488- *في نظر الإيمان، لا شرَّ أعظم من شرّ الخطيئة ولا شيء يجرّ على الخطأة أنفسهم وعلى الكنيسة وعلى العالم بأسره عواقب أوخم.*

1489- *العودة إلى الشركة مع الله التي نفقدها بالخطيئة هي حركة تولدها نعمة الله الرحيم والمعنيّ بخلاص البشر. ولا بّد أن نلتمس هذه العطية النفيسة لذواتنا وللغير.*

1490- *حركة العودة إلى الله تُدعى ارتداداً وتوبة تفترض توجّعاً وكرهاً للخطايا المقتَرفة والعزم الثابت على ألاّ نعود نخطأ من بعد. الارتداد يتّصل إذًا بالماضي وبالمستقبل، ويتقوّى بالاتّكال على رحمة الله.*

1491- *سرّ التوبة قوامه الأعمال الثلاثة التي يقوم بها التائب، والحل الذي يعطيه الكاهن. أعمال التائب هي التوبة والاعتراف أي كشف الخطايا للكاهن، والعزم على التكفير عنها والقيام بأعمال التكفير.*

1492- التوبة (أو الندامة) يجب ان ترتكز على أسباب تتصل بالإيمان. فإذا صدرت التوبة عن محبة خالصة لله، فهي "التوبة الكاملة". وأما إذا ارتكزت على أسباب أخرى، فهي "التوبة الناقصة".

1493- من رام المصالحة مع الله ومع الكنيسة، عليه أن يعترف للكاهن بجميع الخطايا الثقيلة التي لم يعترف بعد بها والتي يتذكرها بعد محاسبة دقيقة لضميره. وأما الاعتراف بالخطايا العرضية، وإن لم يكن ملزماً، فالكنيسة تحبذه، مع ذلك، وتشدد عليه.

1494- يعرض المعرف على التائب القيام ببعض أعمال "التكفير" أو "التعويض"، لإصلاح الضرر الناتج عن الخطيئة، واستعادة الخصال التي يتميز بها تلميذ المسيح.

1495- لا يجوز إلا للكهنة الذين تفوض إليهم الكنيسة سلطان الحلّ، أن يغفروا الخطايا باسم المسيح.

1496- المفاعيل الروحية لسرّ التوبة هي:

- المصالحة مع الله التي بها يستعيد التائب النعمة الإلهية،
- المصالحة مع الكنيسة،
- محو العقاب الأبدي الذي تستوجبه الخطايا الثقيلة،
- محو العقوبات الزمنية – ولو جزئياً – الناجمة عن الخطايا،
- السلام وطمأنينة الضمير والتعزية الروحية،
- تنامي القوى الروحية، في سبيل الجهاد المسيحي الروحي.

1497- الاعتراف الفردي والكامل بالخطايا الثقيلة والحل الذي يعقبها هما الوسيلة العادية الوحيدة للمصالحة مع الله ومع الكنيسة.

1498- يستطيع المؤمنون، بواسطة الغفرانات، أن ينالوا لذواتهم وللنفوس المطهرية أيضا محو العقوبات الزمنية الناجمة عن الخطايا.

المقال الخامس

مسحة المرضى

1499- "بالمسحة المقدّسة المقرونة بصلاة الكهنة، الكنيسة كلهّا تشفع بالمرضى لدى الرب الذي تألمّ ليعزّيهم ويخلصّهم، وتحثّهم على أفضل من ذلك، أن يشتركوا اشتراكاً طوعياً في آلام المسيح وموته، فيؤدّوا بذلك قسطهم في ما يعود على شعب الله بالخير".

I. ركائزها في تدبير الخلاص المرض في حياة البشر

1500- لقد كان المرض والعذاب دائماً من أخطر المعضلات الملمّة بالحياة البشرية. ففي المرض يختبر الانسان مدى عجزه وحدوده ومحدوديّته. وكل مرض يتراءى لنا الموت من خلاله.

1501- وقد يقود المرض إلى الجزع والانكفاء على الذات، بل إلى اليأس والثورة على الله أحياناً. ولكنّه قد يصيّر الانسان أكثر نضجاً، ويساعده في تمييز ما ليس جوهريّاً في حياته، فيرتدّ إلى ما هو جوهريّ. وقد يفضي المرض، غالباً جدّاً، إلى التماس الله والعودة إليه.

المريض تجاه الله

1502- إنسان العهد القديم عاش المرضَ في حضرة الله، يسكب أمامه شكواه من مرضه، ومنه، وهو سيّد الحياة والموت، يلتمس الشفاء. ويصبح المرض سبيلاً إلى الارتداد، وصفحُ الله بدءاً للشفاء. ويختبر اسرائيل المرض، بطريقة سرّية، مرتبطاً بالخطيئة والشر، والاخلاص لله ولشريعته طريقَ عودة إلى الحياة، "أنا الرب معافيك" (خر 15، 26). ويتراءى للنبي أنّ العذاب قد يكسب أيضاً معنى فدائيّاً لذنوب الآخرين. ويتنبأ أشعيا أخيراً بأنّ الله سوف يؤتي صهيون زمناً ينزع فيه كلّ إثم ويشفي كلّ مرض.

المسيح الشافي

1503- شفقة المسيح على المرضى وشفاؤه كثيرين بعلل من كلّ نوع هما الدليل الساطع على أنّ "الله قد افتقد شعبه"، وأنّ ملكوت الله قد أضحى قريباً جدّاً. ولم يكن يسوع ليملك سلطان الشفاء وحسب، بل سلطان مغفرة الخطايا أيضاً. لقد جاء ليبرئ الانسان كلهّ، جسداً وروحاً. إنّه الطبيب الذي يحتاجه المرضى. وقد أوغلت به شفقته على كل المعذّبين إلى حدّ التماهي وإيّاهم، "كنت مريضاً فعُد تُموني" (متى 25، 36). هذه المحبّة التي آثر بها السّقماء ما زالت توقظ لدى

المسيحيين، عبر الأجيال، تنبّهاً خاصاً لجميع المعذّبين جسماً وروحاً، وهي مصدر الجهود المتواصلة للتخفيف عنهم.

1504- كثيراً ما كان يسوع يطلب الإيمان من المرضى، ويستعين بوسائل حسّية للشفاء، الريق ووضع اليدين والطين والغسل. وكان المرضى يحاولون أن يلمسوه "لأنّ قوّة كانت تخرج منه وتبرئ الجميع" (لو 6، 19). وهكذا لا يزال المسيح "يمسّنا" بواسطة الأسرار ليشفينا.

1505- كان المسيح يتأثّر لكل هذه الأوصاب، فلا يرقّ للمرضى وحسب، بل يعتنق أسقامهم: "أَخذَ أَسقامَنا وحَمَلَ أَمراضَنا" (متى 8، 17). ومع ذلك، لم يبرئ كلّ المرضى، لأن الأشفية كانت من آيات مجيء ملكوت الله، التي تنبئ بشفاء أعمق: وهو الانتصار بفصحه على الخطيئة والموت. لقد أخذ المسيح على عاتقه، وهو على الصليب، كلّ ثقل الشرّ ورفع خطيئة العالم (يو 1، 29)، التي ما المرض سوى نتيجة لها. فالمسيح، بآلامه وموته قد أضفى على العذاب معنى جديدًا: وهو أن العذاب يستطيع أن يجعلنا على صورته ويضمّنا إلى آلامه الخلاصية.

"إشفوا المرضى"...

1506- يدعو المسيح تلاميذه إلى اتّباعه حاملين، هم أيضاً، صليبهم، وباتّباعه يكتسبون نظرة جديدة إلى المرض وإلى المرضى ويشركهم يسوع في حياته الفقيرة الخادمة، ويدعهم يساهمون في رسالة الشفقة والشفاء التي يقوم بها، "مضوا يدعون الناس إلى التوبة، وطردوا كثيراً من الشياطين ودهنوا بالزيت كثيراً من المرضى فشفوهم" (مر 6، 12- 13).

1507- وينتدبهم الرب ثانية، من بعد قيامته، لهذه الرسالة، "والذين يؤمنون تصحبهم هذه الآيات، فباسمي يضعون أيديهم على المرضى فيتعافون" (مر 16، 17- 18) ويثبتها بالآيات التي تصنعها الكنيسة باستدعاء اسمه. هذه الآيات تعلن، بطريقة خاصة، أنّ يسوع هو حقّاً "الإله الذي يخلص".

1508- ان الروح القدس يجود على البعض بموهبة شفاء خاصة، ليعلن قوّة النعمة الصادرة عن القائم من بين الأموات. ولكنّ أحرَّ الصلوات قد لا تؤدّي أحياناً إلى شفاء كلّ الأمراض. وهكذا تَعلمَّ القديس بولس من الرب أنّ، "حسبك نعمتي، ففي الضعف يبدو كمال قدرتي (2 كو 12، 9)، وأنّ احتمال الآلام قد يعني أنّي "أتُمُّ في جسدي ما ينقص من آلام المسيح في سبيل جسده الذي هو الكنيسة" (كول 1، 24).

1509- "اشفوا المرضى" (متى 8، 10). هذه المهمّة، تلقتّها الكنيسة من الربّ وتسعى إلى تحقيقها بكلّ ما توفّره للمرضى من وسائل العناية، وما ترافقهم به من أدعية وتشفعات. إنّها تؤمن بحضور المسيح الحيّ، طبيب النفوس والأجساد. هذا الحضور يفعل فعله بطريقة خاصة عبر

الأسرار، وخصوصاً عبر الافخارستيا، وهي الخبز الذي يعطي الحياة الأبدية والذيُ يُلمح القديس بولس إلى علاقته بالصحة البدنيّة.

1510- إلاّ أنّ الكنيسة الرسوليّة مارست طريقة طقسيّة خاصّة لفائدة المرضى، يشير إليها القديس يعقوب، "هل فيكم مريض؟ فليدع كهنة الكنيسة ليصلوّا عليه بعد أن يمسحوه بالزيت باسم الربّ. إنّ الصلاة مع الإيمان تخلصّ المريض، والربّ ينهضه. وإن كان قد اقترف خطايا تُغفر له" (يع 5، 14- 15). وقد اعتبر التقليد الطقس واحداً من أسرار الكنيسة السبعة.

سرّ للمرضى

1511- إنّ الكنيسة تؤمن وتعترف بوجود سرّ من الأسرار السبعة، يهدف خصوصاً إلى مساندة المبتلين بالمرض، وهو مسحة المرضى:

"هذه المسحة المقدّسة قد وضعها المسيح ربّنا سرّاً من أسرار العهد الجديد، بالمعنى الحقيقيّ والحصري وقد ألمح إليه مرقس، وأعلنه يعقوب الرسول أخو الرب، وأوصى به المؤمنين".

1512- في التقليد الليتورجي، شرقاً وغرباً، نجد منذ القدم شهادات تثبت استعمال الزيت المقدّس لمسح المرضى. وعلى توالى القرون، أخذت الكنيسة تقصر مسحة المرضى، أكثر فأكثر، على المشرفين على الموت. ولذا سمّيت "بالمسحة الأخيرة". ولكنّ الليتورجيا، بالرغم من هذا التطوّر، لم تكفّ يوماً عن الصلاة إلى الربّ ليردّ المريض عافيته، إذا كان ذلك مفيداً لخلاصه.

1513- إنّ الدستور الرسولي في "مسحة المرضى المقدّسة" الصادر في 30 تشرين الثاني 1972، في أعقاب المجمع الفاتيكاني الثاني، قد قرّر اعتماد القواعد التالية، في الطقس الروماني:

"يمنح سر مسحة المرضى للمرضى المخطرين، فيُدهنون على جبهتهم ويديهم بزيت مبارك حسب الأصول- زيت زيتون أو أيّ زيت آخر مستخرج من النبات- مع القول مرّة واحدة، "بهذه المسحة المقدّسة، يشدّدك الربّ العظيم الرحمة بنعمة الروح القدس. ويخلصّك ويُنهضك بعد أن يحرّرك من خطاياك".

II. من ينال هذا السرّ ومن يمنحه؟

في حال المرض الخطير....

1514- مسحة المرضى "ليست سرّاً مقصوراً على من بلغوا الغاية القصوى من الحياة. ومن ثمّ، فالميقات المناسب لقبولها هو، في الحقيقة، عندما يبدأ المؤمن يتعرّض لخطر الموت من جرّاء المرض أو الشيخوخة".

1515- إذا استعاد المريض عافيته بعد قبوله المسحة، يجوز له، كلمّا جدّ عليه مرض خطير، أن يقبل هذا السر ثانيةً. وحتى في غضون ذات المرض، يمكن تكرار هذا السرّ إذا تفاقم المرض. ويتعيّن قبول سرّ المرضى قبل الإقبال على عمليّة جراحية خطيرة. ويصحّ هذا الإجراء نفسه للمسنّين الذين تتدهور صحّتهم.

"... فليدعُ كهنة الكنيسة"

1516- الأساقفة والكهنة هم وحدهم خَدَمة سرّ مسحة المرضى. وواجب الرعاة أن يحيطوا المؤمنين علماً بفوائد هذا السر. ول يُحّثَّ المؤمنون المرضى على أن يستدعوا الكاهن ليقبلوا هذا السرّ. وليستعدّ المرضى لقبوله بحسن التأهّب لمعاونة رعاتهم وكلّ الجماعة الكنسيّة المدعوّة إلى أن تحيط المرضى إحاطة خاصّة جدّاً بصلواتها والتفاتاتها الأخويّة.

III. كيف يُحتفل بهذا السرّ؟

1517- مسحة المرضى، ككلّ الأسرار، يُحتفل ليتورجيا وجماعيّاً، سواء أفي الأسرة أقُيمت أم في المستشفى أم في الكنيسة، لمريض واحد أو لمجموعة من السقماء. ومن المناسب جدّاً أن يُحتفل بها في إطار الافخارستيا، تذكار فصح الرب. ويمكن أن يسبق المسحة سرّ التوبة ويعقبها سرّ الافخارستيا إذا دعت الظروف إلى ذلك. ولا غرو فالافخارستيا، باعتبارها سرّ فصح المسيح، يجب أن يكون آخر سرّ نقبله في ختام رحلتنا الأرضية، والزاد الذي يتيح لنا "العبور" إلى الحياة الأبدية.

1518- الكلمة والسرّ يؤلّفان حقيقة لا تنفصم. ليتورجيا الكلمة تفتتح الاحتفال، مسبوقة بفعل التوبة. فأقوال المسيح وشهادة الرسل توقظ إيمان المريض والجماعة، فيلتمسان من الربّ قوّة روحه.

1519- ويتضمّن الاحتفال بهذا السرّ، بصورة رئيسيّة، العناصر التالية، "فكهنة الكنيسة" يضعون أيديهم –في الصمت– على المرضى، ويصلوّن عليهم بإيمان الكنيسة، وهذه هي صلاة "الاستدعاء" التي يختصّ بها هذا السرّ. ثمّ يمنحون المسحة بالزيت الذي يُباركه الأسقف إذا أمكن. هذه الأعمال الليتورجية ترمز إلى النعمة التي ينالها المرضى من هذا السرّ.

IV. مفاعيل الاحتفال بهذا السرّ

1520- موهبة الروح القدس. أولى نعم هذا السرّ هي نعمة تعزية وسلام وصبر للتغلبّ على الصعاب التي تلازم حالة المرض الثقيل أو وهن الشيخوخة. هذه النعمة هي عطيّة من الروح القدس، تجدّد الثقة والإيمان بالله وتقوّي النفس في مواجهة وساوس الشيطان واجتذاب النفس إلى

اليأس والجزع من الموت. معونة الرب هذه، بقوة روحه، تهدف، ولا شك، إلى شفاء نفس المريض، ولكن إلى شفاء جسده أيضاً، إذا كانت تلك مشيئة الله. "وإن كان قد اقترف خطايا، تُغفر له" (يع 5، 15).

1521- الاتّحاد بآلام المسيح. بنعمة هذا السرّ يتلقىّ المريض من القوّة والموهبة ما يمكّنه من الاتّحاد بآلام المسيح اتّحاداً أوثق، فهو مُكرَّس، نوعاً ما، ليؤتي ثمراً يتشبه بآلام المخلص الفادية. فالعذاب الذي ينجم عن الخطيئة الأصلية يكتسب معنى جديداً، ويصبح اشتراكاُ في عمل يسوع الخلاصيّ.

1522- نعمةُ الكنيسة. المرضى الذين يقبلون هذا السرّ، "باشتراكهم الطوعيّ في آلام المسيح وموته"، يؤدّون "قسطهم، في ما يعود على شعب الله بالخير". إنّ الكنيسة، باحتفالها بهذا السرّ، في شركة القديسين، تشفع إلى الله لخير المريض، كما أنَّ المريض يساهم هو أيضاً، بنعمة هذا السرّ، في تقديس الكنيسة وخير كلّ الذين تتألمّ الكنيسة لأجلهم، وتقرّب ذاتها، بالمسيح، إلى الله الآب.

1523- تأهب للعبور الأخير، لئن كان سرّ مسحة المرضى يُمنح لجميع الذين يُعانون من أمراض وأسقام ثقيلة، فهو يُمنَح، بأولى حجة، للمشرفين على النزوح من هذه الحياة، مما دفع إلى تسميته أيضاً "بسر المنتقلين". إنّ مسحة المرضى تُتمّ شَبَهنا بموت المسيح وقيامته، كما ابتدأت المعمودية بذلك، وتُتوّج المسحات المقدّسة التي تتخلّ مختلف مراحل الحياة المسيحية، فمسحة المعمودية تثبّت فينا الحياة الجديدة، ومسحة التثبيت أو الميرون تُقوّينا في جهاد هذه الحياة. وأمّا المسحة الأخيرة فتحصّن نهاية حياتنا الأرضيّة بسور متين، تأهّباً للصراعات الأخيرة قبل دخولنا بيت الآب.

٧. الزاد، آخر سرّ من حياة المسيحي

1524- إنَ الكنيسة تقدّم الافخارستيا زاداً للمشرفين على مغادرة هذه الحياة، بالإضافة إلى مسحة المرضى. الاشتراك في جسد المسيح ودمه في هذه اللحظة، لحظة العبور إلى الآب، يكتسب معنى لافتاً وأهمّية خاصة. فهو بذار حياة أبديّة وقوةُ قيامة، على حدّ قول الربّ، "من أكل جسدي وشرب دمي، فله الحياة الأبدية، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير" (يو 6، 54). فالافخارستيا، بالإضافة إلى كونها سرّ موت المسيح وقيامته، هي هنا سرّ الانتقال من الموت إلى الحياة، ومن هذا العالم إلى الآب.

1525- فكما انّ أسرار المعمودية والتثبيت والافخارستيا تؤلفّ وحدة متكاملة هي "أسرار التنشئة المسيحية"، كذلك أسرار التوبة والمسحة المقدّسة والافخارستيا، يمكن اعتبارها زاداً أخيراً، في اللحظة

التي تبلغ فيها الحياة المسيحية أجَلها. "هذه الأسرار تُعدّ للانطلاق إلى الوطن" وتُنهي رِحلتنا الأرضية.

بإيجاز

1526- *"هل فيكم مريض؟ فليدعُ كهنة الكنيسة ليصلوا عليه بعد أن يمسحوه بالزيت باسم الربّ. إنّ الصلاة مع الإيمان تخلص المريض والربّ ينهضه. وأن كان قد اقترف خطايا تغفر له" (يع 5، 14- 15).*

1527- *الهدف من سرّ مسحة المرضى تزويد المسيحي بنعمة خاصة عندما يعاني من الصعاب ما يلازم حالة المرض الثقيل أو الشيخوخة.*

1528- *الوقت المناسب لنيل المسحة المقدسة هو، في الحقيقة، الوقت الذي يجد فيه المؤمن نفسه في خطر الموت بسبب مرض أو شيخوخة.*

1529- *كل مرة يصاب المؤمن بمرض خطير، يستطيع أن يقبل المسحة المقدسة، ويستطيع أن يقبلها مرة ثانية، عند تفاقم المرض.*

1530- *يجوز للأساقفة وللكهنة وحدهم أن يمنحوا سرّ مسحة المرضى، ويستعملون، في منحه، الزيت الذي يُباركه الأسقف أو، عند الحاجة، الكاهن الذي يحتفل به.*

1531- *قوام الاحتفال بهذا السرّ دهن جبهة المريض ويديه بالزيت (في الطقس الروماني) وأجزاء أخرى من الجسم (في الشرق). ويرافق المسحة صلاة ليتورجية يتلوها الكاهن المحتفل ويلتمس فيها النعمة الخاصة المرتبطة بهذا السرّ.*

1532- *النعمة الخاصة التي ترافق سرّ مسحة المرضى لها عادة مفاعيل:*

- *أتحاد المريض بآلام المسيح، لخيره وخير الكنيسة كلها،*
- *التعزية والسلام والصبر في تحمل المرض أو الشيخوخة، تحملاً مسيحياً،*
- *مغفرة الخطايا التي لم يستطع المريض أن ينالها بواسطة سرّ التوبة،*
- *استرداد العافية إذا توافق ذلك مع الخلاص الروحي،*
- *التأهب للعبور إلى الحياة الأبدية.*

الفصل الثالث

أسرار خدمة الشركة

1533- المعمودية والتثبيت والافخارستيا هي من أسرار التنشئة المسيحية، وهي مرتكز الدعوة المشتركة بين جميع اتباع المسيح، أي الدعوة إلى القداسة وإلى رسالة التبشير بالإنجيل في العالم. وهي تزوّد الانسان بالنعم الضروريّة ليحيا بمقتضى الروح في هذه الحياة المترحّلة والذاهبة شطر الوطن.

1534- ثمّة سرّان آخران، الكهنوت والزواج، هدفهما خلاص الآخرين. لا شكّ أنهما يساهمان أيضاً في خلاص الفرد، ولكن من خلال خدمة الآخرين، ويخوّلان المؤمنين رسالة خاصة في الكنيسة، ويساعدان في بناء شعب الله.

1535- بفضل هذين السرّين، يستطيع الذين تكرّسوا بالمعمودية والتثبيت للكهنوت المشترك بين جميع المؤمنين، أن ينالوا مسحات أخرى. فالذين يقبلون سرّ الكهنوت يُكرَّسون ليكونوا، باسم المسيح، "وبكلمته ونعمته، رعاة للكنيسة". "والأزواج المسيحيون، من جهتهم، يُقوّون ويُكرَّسون، نوعاً ما بسرّ خاص، ليضطلعوا بواجبات حالتهم، اضطلاعاً لائقاً".

المقال السادس

سرّ "الكهنوت"

1536- سرّ الكهنوت هو السرّ الذي يكفل استمرار الرسالة التي وكلها المسيح إلى تلاميذه ناشطةً، في الكنيسة حتى منتهى الأزمنة، هو إذًا سرّ الخدمة الرسولية، ويتضمّن ثلاث رُتب الأسقفية، والكهنوت، والشماسيّة (في شأن الخدمة الرسولية، من ناحية تأسيسها ورسالتها من قبل المسيح، أنظر الفقرات 874- 896. وأمّا هنا فلا نعالج إلاّ الطريقة الأسرارية التي يتمّ بها تراث هذه الخدمة).

I. لماذا يسمى هذا السر "بالنظام"

1537- لفظة "النظام"، في العهد الروماني القديم، كانت تدلّ على الهيئات المنتظمة، في مفهومها المدنيّ ولاسيّما الهيئة الحاكمة. "والتنظيم" هو ضمّ اناس إلى "نظام" ما. وأمّا في الكنيسة، فنجد هيئات منظّمة، يسميها التقليد منذ القدم "رُتبا"، مستوحياً بعض المرتكزات في الكتاب المقدّس.

فالليتورجيا تتكلمّ عن رتبة الأساقفة ورتبة الكهنة، ورتبة الشمامسة هناك فئات أُخرى كانت تحمل هذه التسمية، الموعوظون، والعذارى، والأزواج، والأرامل....

1538- الانضمام إلى إحدى تلك الهيئات في الكنيسة كان يتمّ عبر "طقس" معيّن، يدعى "رتبة" وهو عمل دينيّ وليتورجي قوامه تكريس أو بركة أو سرّ. وأمّا اليوم فهذه اللفظة مقصورة على العمل الأسراريّ الذي به ينظمّ المؤمن إلى رتبة الأساقفة أو الكهنة أو الشمامسة. وتعني ما هو أبعد من مجرّد انتخاب أو تعيين أو تفويض أو تأسيس يصدر عن الجماعة، لأنّ عمل التكريس يؤتي المرء نعمةً من الروح القدس تتيح له أن يمارس "سلطاناً مقدّساً" لا يصدر إلاّ عن المسيح نفسه، بواسطة الكنيسة. هذا العمل يسمّى أيضاً تكريسا لأنّه نوع من الفرز والتولية يقوم به المسيح نفسه لأجل كنيسته وضع يدي الأسقف، مع صلاة التكريس، هو العلامة الظاهرة لفعل التكريس هذا.

II. سرّ الكهنوت في تدبير الخلاص كهنوت العهد القديم

1539- لقد أقام الله الشعب المصطفى "مملكة أحبار وأمّةً مقدّسة" (خر 19، 6). ولكنّ الله اختار، في شعب إسرائيل، أحد الأسباط الاثني عشر، وهو سبط لاوي الذي فرزه للخدمة الليتورجية، وجعل ذاته ميراثاً له. ثمّة طقس خاص استُعمل لتكريس كهنوت العهد القديم منذ جذوره، فكان "كلّ حَبر يُقام لدى الله من أجل الناس ليُقرِّب قرابين وذبائح كفاّرة للخطايا".

1540- هذا الكهنوت الذي أُقيم لإعلان كلمة الله وإعادة الشركة مع الله بالذبائح والصلاة، يبقى ذلك قاصراً عن أن يحققّ الخلاص، وبحاجة إلى أن يكرّر الذبائح بلا انقطاع، وعاجزاً عن أن يوفرّ للإنسان قداسةً راسخة لن تحقّقها إلاّ ذبيحة المسيح.

1541- إلاّ أنّ ليتورجيا الكنيسة تتوسّم في كهنوت هارون والخدمة اللاوية، كما تتوسّم في هيئة السبعين "شيخاً"، رموزاً للخدمة الكهنوتية في العهد الجديد. إليك في الطقس اللاتيني دعاء الكنيسة، في افتتاحية صلاة تكريس لسيامة الأساقفة:

> "اللهم يا أبا يسوع المسيح... بدأتَ تكوّن كنيستك طَوالَ زمن العهد القديم، منذ البدء أعددتَ الشعب المتحدّر من إبراهيم ليكون شعباً مقدّساً، لقد أقمتّ لهم رؤساء وكهنة، ودبّرت لهم دائماً من يقوم بخدمة مذبحك".

1542- في رسامة الكهنة تصليّ الكنيسة هكذا:

> "أيها الرب الآب القدوس...، لقد أقمت منذ العهد القديم، في شبه إيذان بالأسرار الآتية، أحباراً عظاماً يرعون شعبك ويتأوّلون قيادتهم، ولكنّك اخترت أيضاً رجالاً آخرين أشركتهم في خدمتهم

ومساعدوهم في مهمّتهم. وهكذا اخترت سبعين رجلاً مملوئين حكمةً وأفرغت عليم الروح الذي أعطيته لموسى، وأشركت أبناء هارون في بركة التكريس التي نالها أبوهم".

1543- في صلاة التكريس الملحوظة في رسامة الشمامسة تعترف الكنيسة قائلة، "ايها الآب القدوس.... لقد أقمتَ، لبناء هذا الهيكل الجديد (الكنيسة) خَدَمةً ينتمون إلى ثلاث رتب مختلفة، الأساقفة والكهنة والشمامسة، ومهمّتهم جميعاً أن يخدموك، على غرار أبناء سبط لاوي الذين فرز تَهم لخدمة بيتك، في العهد القديم، وجعلت ذاتك ميراثاً لهم".

كهنوت المسيح الأوحد

1544- كل رموز الكهنوت في العهد القديم تكتمل في المسيح يسوع "الوسيط الأوحد بين الله وبين الناس (1 طيم 2، 5) إنّ التقليد المسيحي يعتبر ملكيصادق "كاهن الله العلي" (تك 14، 18) رمزاً لكهنوت المسيح الذي دعاه الله وحده "حبراً على رتبة ملكيصادق" (عب 5، 10؛ 6، 20)، حبراً "قدّوساً بريئاً لا عيب فيه" (عب 7، 26)، "أجعل الذين قدّسهم كاملين أبداً، بقربان واحد" (عب 10، 14) أي بذبيحة صليبه الواحدة.

1545- ذبيحة المسيح الفادية واحدة لا غير. لقد تمّت مرّة واحدة، ولكنّها ماثلة في ذبيحة الكنيسة الافخارستية. كذلك كهنوت المسيح الواحد يغدو حاضراً في كهنوت الخدمة من غير أن تنقص وحدانية كهنوت المسيح، "ومن ثمّ، فالمسيح هو الكاهن الحقيقي الأوحد، وما الآخرون سوى خَدّمته".

طريقتان للاشتراك في كهنوت المسيح الأوحد

1546- إنّ المسيح الكاهن الأعظم والوسيط الأوحد، قد جعل من الكنيسة "مملكةً من الكهنة لإلهه وابيه" (رؤ 1، 6). ومن ثمّ فجماعة المؤمنين كلهّا كهنوتيّة في حدّ ذاتها. ويمارس المؤمنون كهنوتهم العماديّ عبر مساهمة كل واحد بحسب دعوته الخاصة، في رسالة المسيح الكاهن، والنبيّ والملك. ويتكرّس المؤمنون ليكونوا... كهنوتاً مقدّساً "بواسطة سرّي المعمودية والتثبيت"

1547- كهنوت الخدمة الراعويّة أو الكهنوت الإيروخي (التراتبي) الذي يمارسه الأساقفة والكهنة، والكهنوت المشترك بين جميع المؤمنين"، وإن اشتركا، كلّ على طريقته الخاصة، في كهنوت المسيح الواحد"، إلاّ أنّهما يختلفان اختلافاً جوهرياّ، أحدهما عن الآخر، وإن "كانا على تناسق بينهما". وذلك بأنّ كهنوت المؤمنين المشترك يتحققّ في نماء نعمة المعمودية وتُحوّلها إلى حياة إيمان ورجاء ومحبّة وحياة في الروح، واما كهنوت الخدمة الراعوية فهو في خدمة الكهنوت المشترك، ويُعنى

بتنمية نعمة المعموديّة لدى جميع المسيحيين. إنّه وسيلة من الوسائل التي لا يكفُّ المسيح عن استعمالها ليبني كنيسته ويقودها. ولذا ينتقل في الكنيسة بواسطة سرّ خاص، هو سرّ الكهنوت.

في شخص يسوع – الرأس....

1548– من خلال الخدمة الكنسيّة التي يقوم بها الخادم المرسوم، يحضر المسيح نفسه في كنيسته، بصفته رأس جسده السرّي، وراعيَ قطيعه، والكاهن الأعظم لذبيحة الفداء، ومعلمّ الحقّ. وهذا ما، تعبّر عنه الكنيسة بقولها، أنّ الكاهن، بقوة سرّ الكهنوت يعمل في *شخص المسيح الرأس*

"ذاك الكاهن عينه، يسوع المسيح، يقوم الكاهن حقّاً مقامه. فإذا صحّ أنَّ هذا الكاهن بتكريسه الكهنوتي، قد أصبح شبيهاً بالكاهن الأعظم، فهو يتمتّع بالقدرة على العمل بقوّة المسيح نفسه الذي يمثّله".

"المسيح مصدر كّلّ كهنوت، فكاهن العهد القديم كان رمزاً للمسيح، وكاهن العهد الجديد يعمل بشخص المسيح".

1549– بالخدمة الكهنوتية التي يقوم بها خصوصاً الأساقفة والكهنة، يصبح حضور المسيح، بصفته رأس الكنيسة، حضوراً مرئيّاً وسط جماعة المؤمنين. فالأسقف، على حدّ ما جاء في تعبير بليغ للقديس إغناطيوس الأنطاكي، إنّما هو صورة حيّة لله الآب.

1550– حضور المسيح هذا في الكاهن يجب ألاّ يُفهَم على أنّه حِرز له من كل وهن بشريّ، كروح التسلطّ والأخطاء وحتى الخطيئة. فقوّة الروح القدس لا تضمن كلّ أعمال الكاهن بذات الطريقة. هذه الضمانة مكفولة ولا شكّ في الأسرار، بحيث إنّ خطيئة الكاهن ذاتها لا تحجب ثمرة النعمة، ولكنّ ثمّة أعمالاً أخُرى كثيرة تحمل بصمات الكاهن البشريّة وتترك فيها آثاراً لا تدلّ دائماً على أمانته للإنجيل، وتستطيع، من ثمّ، أن تُلحِق ضرراً بالكنيسة وخصبها الرسوليّ.

1551– هذا الكهنوت هو كهنوت خدمة "هذه المهمّة التي أناطها الربّ برعاة شعبه هي خدمة حقيقيّة"، مرتبطة ارتباطاً كليّاً بالمسيح وبالبشر. فهي منوطة كليّاً بالمسيح وبكهنوته الواحد، ولكنّها أقُيمت للناس ولجماعة الكنيسة. إنّ سرّ الكهنوت يؤتي "سلطاناً مقدّساً"، ما هو إلاّ سلطان المسيح بالذات. ولا بدّ، في ممارسة هذا السلطان، من اتّخاذ المسيح مقياساً ونموذجاً، هو الذي، بدافع محبّته، صار آخر الكلّ وخادماً للكل. "وقد قال المسيح صراحة إن عنايتنا بقطيعه هي دليل محبّتنا له".

"باسم الكنيسة جمعاء"

1552- كهنوت الخدمة لا يهدف فقط إلى أن يمثّل المسيح – رأس الكنيسة – في جماعة المؤمنين، بل أن يعمل أيضاً باسم الكنيسة جمعاء، عندما يرفع إلى الله صلاة الكنيسة، وخصوصاً عندما يقرّب ذبيحة الافخارستيا.

1553- "باسم الكنيسة جمعاء"، لا تعني هذه العبارة أنّ الكهنة هم منتدبو الجماعة. فصلاة الكنيسة وتقدمتُها هي صلاة المسيح وتقدمتُه. والعبادة التي يُقيمها المؤمنون هي أبداً عبادة المسيح في كنيسته وبكنيسته. فالكنيسة، جسد المسيح، تصليّ بأجمعها وتقرّب ذاتها "به ومعه وفيه"، في وحدة الروح القدس، إلى الله الآب. كلّ الجسد، الرأس والأعضاء، يصليّ ويقرّب ذاته، ولذا فالذين هم، في جسد المسيح، خَدَمة هذا الجسد بنوع خاص، يُدعَون خَدَمة لا للمسيح وحسب، بل للكنيسة أيضاً. وذلك بأنّ كهنوت الخدمة لا يمثّل الكنيسة إلاّ لأنّه يمثّل المسيح.

III. الدرجات الثلاث في سرّ الكهنوت

1554- "إن ممارسة الخدمة الكنسية التي أقامها الله موزّعة على درجات متنوّعة بين من يسمّونهم، منذ القدم، أساقفة وكهنة وشمامسة". وتقرّ العقيدة الكاثوليكية التي تعبّر عنها الليتورجيا والسلطة التعليمية والعُرف الثابت في الكنيسة أنّ ثمّة درجتين اثنتين تشاركان في خدمة كهنوت المسيح، الأسقفية والكهنوت. وأمّا الرتبة الشماسية فتهدف إلى مساعدتهما وخدمتهما. ولذا فلفظة الكهنوت لا تنطبق، في الاستعمال الراهن، إلاّ على الأساقفة والكهنة، لا على الشمامسة. إلاّ أنَ العقيدة الكاثوليكية تعلمّ أن درجتي المشاركة الكهنوتية (الأسقفية والكهنوت) ودرجة الخدمة (الذياكونية) تُمنح كلهّا بواسطة سرّ واحد هو "سرّ الرسامة" أو سرّ الرتبة

"على الجميع أن يُجلوّا الشمامسة إجلالهم للمسيح يسوع، وكذلك الأسقف أيضاً الذي هو صورة الآب، والكهنة على أنّهم محفل الله ومجمع الرسل، بدونهم يتعذّر الكلام عن الكنيسة".

السيامة الأسقفية – ملء سر الكهنوت

1555- "بين الخِدَم المختلفة التي تُمارس في الكنيسة، منذ أيامها الأولى، تحتفل المحلّ الأوّل بشهادة التقليد، وظيفة أولئك الذين أقُيموا في الأسقفية وكأنّهم، بتسلسلهم في خلافة متّصلة منذ البدء، فَسائلُ ينتقل بها الزرع الرسوليّ".

1556- للقيام بهذه المهمّة السامية، "أغنى المسيح رسله بفيض خاص من الروح القدس نازلاً عليهم، وبوضع الأيدي سَلمّوا هم أنفسهم إلى مُعاونيهم موهبةَ الروح القدس التي انتقلت إلينا حتى يومنا هذا بطريق السيامة الأسقفية.

1557- يعلمّ المجمع الفاتيكاني الثاني "أنّ السيامة الأسقفية تعطي ملء سر الكهنوت الذي يسمّيه التقليد الكنسي الليتورجي والآباء القديسون الكهنوت الأعظم وذروة الخدمة المقدّسة".

1558- "تولي السيامة الأسقفية، مع مهمّة التقديس، مهمّتي التعليم والقيادة. فوضع الأيدي وكلمات السيامة تعطي نعمة الروح القدس وتطبع الأسقف بطابع مقدّس، بحيث أن الأساقفة يقومون، بطريقة سامية ومرئيّة، مقام المسيح نفسه المعلمّ والراعي والحبر، ويقومون بمهمّته. "وهكذا، أقيم الأساقفة، بالروح القدس الذي أنزِل عليهم، مع لمّين في الإيمان حقيقيّين وأصيلين، كما أقُيموا أحباراً ورعاة".

1559- "بقوّة السيامة الأسقفية وبالشركة التسلسليّة مع رئيس الجسم الأسقفي واعضائه، يصير المرء عضواً في هذا الجسم". هذه الهيئة الأسقفية يظهر طابعها وطبيعتها الجماعية في ممارسات عدّة، منها العُرف العريق في الكنيسة والقاضي بأن يشترك أكثر من أسقف في سيامة أسقف جديد. ولكي تكون السيامة الأسقفية شرعيّة لا بدّ، اليوم، من أن يتدخّل أسقف روما تدخلاً خاصاً، نظراً إلى أنّه هو الرباط الحسّي الأعلى في شركة الكنائس الخاصة ضمن الكنيسة الواحدة، وضمان حريتها.

1560- كل أسقف، بصفته نائباً للمسيح، يتولىّ رعاية الكنيسة الخاصة التي وُكِلت إليه. ولكنّه يحمل أيضاً، بطريقة جماعية مع جميع إخوته في الأسقفية، همَّ جميع الكنائس، "لا شكّ أنّ كلّ أسقف يرعى من القطيع القسم الموكل إلى عنايته، ولكنه، بصفته خليفةً شرعيّاً للرسل بفعل تنصيب إلهي، يصبح متضامناً في المسؤولية عن الرسالة الرسولية في الكنيسة".

1561- كلّ ما أتينا على ذكره يفسّر لماذا الافخارستيا التي يحتفل بها الأسقف تكتسب معنى خاصّاً يعبّر عن اجتماع الكنيسة حول المذبح برئاسة من يمثّل، بطريقة مرئيّة، المسيح الراعي الصالح ورأس كنيسته.

رسامة الكهنة، معاوني الأساقفة

1562- إنّ المسيح الذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم، قد جعل خلفاءَ الرسل، أي الأساقفة، وبواسطتهم، شركاءَ في قداسة المسيح ورسالته. ثمّ إنّ الأساقفة قد سلمّوا بعضاً من أعضاء الكنيسة، بوجه شرعي وتفاوت في الدرجة، مهامَّ خدمتهم"، "وقد انتقلت وظيفة الأساقفة الرعائية إلى الكهنة

وإنّما بدرجة أدنى. فقد أُقيم هؤلاء في الكهنوت أعوانا للأساقفة في تأدية الرسالة التي سلمّها المسيح إليهم".

1563- "إنّ وظيفة الكهنة تُشركهم، بحكم اتّحادها بالدرجة الأسقفية، في السلطة التي يبني المسيح بها جسده ويقدّسه ويسوسه. ومن ثمّ فكهنوت الكهنة، الذي يفترض أسرار التنشئة المسيحيّة، يُعطى بواسطة سرٍّ خاص يَسِمُهم بوَسم مميّز، بمسحة الروح القدس، ويصيّرهم على شبه المسيح الكاهن فيُمكِّنهم من العمل باسم المسيح الراس بالذات".

1564- "إنّ الكهنة، مع أنّهم لا يملكون مهمّة الحبريّة العليا، ويخضعون للأساقفة في ممارسة سلطتهم، فإنّهم متّحدون معهم في الكرامة الكهنوتيّة. وهم، بقوّة سرّ الكهنوت مكرّسون على صورة المسيح الكاهن الأعظم الأبدي، ليبشّروا بالإنجيل، ويكونوا رعاة للمؤمنين، ويقيموا الشعائر الدينية، بحكم كونهم كهنةُ حقيقيّين للعهد الجديد".

1565- بقوّة سرّ الكهنوت يشترك الكهنة في الرسالة التي وكلها المسيح إلى تلاميذه، في أبعادها الجامعة. فالموهبة الروحيّة التي نالوها بالرسامة تُعدّهم لا لرسالة محدودة وضيّقة، بل لرسالة خلاص جامعة، تمتدّ "حتى أقاصي الأرض" (رسل 1، 8)، "وفي نفسهم استعداد للكرازة بالإنجيل في كلّ مكان".

1566- "ويمارس الكهنة خدمتهم المقدّسة على الوجه الأكمل في تأدية فرائض العبادة في المحفل الإفخارستيّ، ففيه ينوبون مناب المسيح، ويُعلنون سرّه، ويضمّون طلبات المؤمنين إلى ذبيحة المسيح رأسِ هم، ويجعلون ذبيحة العهد الجديد الواحدة، ذبيحة المسيح مقرّباً نفسَه لأبيه مرّة واحدة قرباناً لا عيب فيه، حاضرةً ومنفذّةً في ذبيحة القداس، إلى أن يأتي الرب". من هذه الذبيحة الواحدة تستمدّ خدمتُهم الكهنوتية كلّ قوّتها".

1567- "ولما كان الكهنة معاونين أهلَ فطنة للدرجة الأسقفية، وكانوا لها العون والأداة، وكانوا مدعوّين لخدمة شعب الله، فإنّهم مع أسقفهم يؤلفّون أسرة كهنوتية واحدة، متنوّعة الوظائف. وفي كلّ مكان فيه جماعة من المؤمنين، يجعلون الأسقف حاضراً، من بعض الوجوه، لارتباطهم بقلب واثق وسخيّ، آخذين على عاتقهم نصيبهم من مهامّه وعنايته، وعاملين بها في اهتمامهم اليوميّ بالمؤمنين". وهكذا، لا يستطيع الكهنة أن يمارسوا خدمتهم إلاّ بالخضوع للأسقف وفي الشركة معه. وعدُ الطاعة الذي يقطعونه للأسقف في حفلة الرسامة، وقبلة السلام التي يعطيها الأسقف في ختام ليتورجيّا الرسامة، مفادهما أنّ الأسقف يعتبرهم أعوانه وأبناءه وإخوته وأصدقاءه وأنّهم ملتزمون بأن يردّوا له ذلك محبّةً وطاعة.

1568- إن الكهنة، بفعل رسامتهم التي أولتهم درجة الكهنوت، هم كلهُّم متّحدون اتّحاداً صميماً فيما بينهم برباط الأخوّة السرّية، ولكنّهم، بفعل انسلاكهم في خدمة أبرشية يقوم عليها أسقف محليّ، يؤلفون، بصفة خاصة، على هذا المستوى، أسرة كهنوتية واحدة". وحدة هذه الاسرة الكهنوتية تجد لها تعبيراً ليتورجياً في العرف القاضي بأن يضع الكهنة، هم أيضاً، على المرتسمين، أيديهم بعد الأسقف أثناء حفلة الرسامة.

رسامة الشمامسة – "للخدمة"

1569- "في الدرجة الدنيا من درجات الرتب المقدّسة، يوجد الشمامسة الذين رُسموا بوضع الأيدي، لا بقصد الكهنوت بل بقصد الخدمة". في رسامة الشمّاس لا يضع اليد على المرتسم إلاّ الأسقف وحده، للدلالة على أنّ الشماس مرتب ط ارتباطاً خاصّاً بالأسقف في مهامّ "خدمته".

1570- يشترك الشمامسة اشتراكاً مميّزاً في رسالة المسيح ونعمته. فالرسامة تطبعهم بختم (بوسم) لا يبلى يجعلهم على صورة المسيح الذي صار خادماً للجميع. ومن صلاحيّات الشمامسة أن يعاونوا الأسقف والكهنة في إقامة الأسرار الإلهيّة ولا سيّما الاحتفال بالافخارستيا وتوزيعها، وأن يحضروا عقد الزواج ويباركوه، ويُعلنوا الإنجيل ويعظوا، ويرأسوا صلاة الجناز ويتفرّغوا لمختلف أعمال المحبّة.

1571- منذ المجمع الفاتيكاني الثاني أعادت الكنيسة اللاتينية الشماسيّة "بمثابة درجة خاصة ودائمة من درجات الرتب المقدّسة"، بينما كنائس الشرق كانت لا تزال محتفظة بها. هذه الشماسيّة الدائمة التي يمكن أن تُمنح للمتزوّجين تزوّد الكنيسة بثروة لافتة، للقيام برسالتها. فالذين يضطلعون في الكنيسة بأعباء خدمة حقيقيّة، سواء في الحياة الليتورجية والرعائية أم في الأعمال الاجتماعية والإنسانية، يناسبهم ويفيدهم أن يتقوّوا بوضع الأيدي الذي تناقلته الكنيسة منذ عهد الرسل، ويتّحدوا بالمذبح أتّحاداً أوثق، فينهضوا بخدمتهم بوجه أفعل، بقوّة النعمة التي ينالونها بالرسامة الشماسية.

IV. الاحتفال بهذا السرّ

1572- الاحتفال بسيامة أسقف أو كهنة أو شمامسة، نظراً إلى أهميته في حياة الكنيسة الخاصة، يقتضي توافر أكبر عدد ممكن من المؤمنين. من الأفضل أن يقام نهار الأحد وفي الكاتدرائية، بالحفاوة المناسبة لهذا الظرف. الرسامات الثلاث للأسقف والكاهن والشماس تسير في ذات السياق، وتأخذ مكانها في إطار الليتورجيا الافخارستيا.

1573- الطقس الجوهري في سرّ الكهنوت قوامه، في الدرجات الثلاثة، أن يضع الأسقف يده على رأس المرتسم ويتلو صلاة التكريس الخاصة التي يطلب فيها إلى الله أن يفيض الروح القدس عليه ويجود بالمواهب المنوطة بالخدمة التيُ يُنتدب لها المرتسم.

1574- ثمّة طقوس ملحقةٌ تحيط بحفلة الرسامة كما في سائر الأسرار. هذه الطقوس تتنوّع تنوّعاً عميقاً في مختلف التقاليد الليتورجيا، ولكنّها تشترك كلّها في التعبير عن مختلف وجوه النعمة السرّية. فالطقوس التمهيدية، في الطقس اللاتيني – تقديمُ المرشّح للرسامة واختيارُه، وكلمة الأسقف، وطرْحُ الأسئلة على المرشح للرسامة، وطلبات القديسين- تُثبت أنّ اختيار المرشّح للرسامة قد تمّ بمقتضى الأعراف المعهودة في الكنيسة، وتمهّد للقيام رسميّاً بعمل الرسامة. وتعقب الرسامة مجموعة من الطقوس تعبّر، بطريقة رمزية، عن السر الذي تحققّ وتكمّله، مسْحُ الأسقف والكاهن بالزيت المقدّس، رمز المسحة الخاصة التي يجود بها الروح القدس ويُخصب بها خدمتهما، تسليمُ الأسقف كتاب الأناجيل، والخاتم والتاج والعصا رمز مسؤوليته الرسولية في التبشير بكلمة الله، وأمانته للكنيسة عروس المسيح، ومهمّته في رعاية قطيع الربّ، تسليم الكاهن الصينية والكأس، وهما تقدمة الشعب المقدس التي يجب على الكاهن أن يقرّبها لله، تسليم الشماس كتاب الأناجيل، وقد انتدب للبشارة بإنجيل المسيح.

V. من الذي يمنح هذا السرّ؟

1575- المسيح هو الذي اصطفى الرُسل وجعل لهم نصيباً في رسالته وسلطته. وعندما ارتفع وجلس إلى يمين الاب، لم يتخلّ عن قطيعه بل حفظه، بواسطة الرسل، في ظلّ حمايته، ولا يزال يوجّه حتى الآن بواسطة الرعاة الذين يواصلون اليوم رسالته. فالمسيح هو الذي "يولي" بعضهم أن يكونوا رسلاً وبعضهم رعاة، ويواصل عمله بواسطة الأساقفة.

1576- لمّا كان سرّ الكهنوت هو سرّ الخدمة الرسوليّة، فإنّه يعود إلى الأساقفة، بصفتهم خلفاء الرسل، أن ينقلوا "الموهبة الروحية" و "البذار الرسولي". فالأساقفة الذين سيموا سيامة صحيحة، أي في خط الخلافة الرسوليّة، يَمنحون، بوجه صحيح، سرّ الكهنوت في درجاته الثلاث.

VI. من الذي يحظى بهذا السرّ؟

1577- "يجوز للرجل المعمّد وحده أن ينال الرسامة المقدّسة بوجه صحيح. فقد اختار الرب يسوع رجالاً ليؤلّفوا هيئة الرسل الاثني عشر، وقد جرى الرّسل على منواله عندما اختاروا معاونيهم، الذين سيخلفونهم في مهمّتهم. ومن خلال هيئة الأساقفة والكهنة الذين يتّحدون بهم في سرّ الكهنوت،

تظلّ هيئة الاثني عشر حاضرة، بطريقة واقعيّة، إلى أن يعود المسيح. وترى الكنيسة ذاتها مرتبطة بهذا الاختيار الذي حدّده الربّ نفسه، وتعتبر، من ثمّ رسامة النساء غير ممكنة.

1578- ما من إنسان يملك حق المطالبة بسرّ الكهنوت. فما من أحد يدّعي لنفسه هذه المهمّة إلاّ إذا دعاه الله إليها. فمن يتوسّم في ذاته مخايل دعوة الله إلى الخدمة الكهنوتية، عليه أن يطرح رغبته بتواضع على السلطة الكنسيّة التي تتولىّ وحدها المسؤولية والحق في الدعوة إلى قبول الدرجات الكهنوتية. فهذا السرّ، كأيّ نعمة أخرى لا يُقبل إلاّ بمثابة عطية مجانيّة.

1578- كلّ الخَدَمَة المرسومين في الكنيسة اللاتينية، باستثناء الشمامسة الدائمين، يتمّ اختيارهم عادة من بين الرجال المؤمنين الذين يعيشون في حالة العزوبة ويرغبون في المحافظة عليها "لأجل ملكوت السماوات" (متى 19، 12). وبما أنّهم مدعوّون إلى التكرّس للرب ولأموره بلا توزّع في القلب، فهم يبذلون أنفسهم لله وللناس بذلاً كاملاً. العزوبة هي علامة الحياة الجديدة التي يتكرّس لها خادم الكنيسة، فإذا قبلها بقلب مشرق بالفرح استطاع أن يبشّر بملكوت الله بطريقة مشعّة.

1580- الكنائس الشرقية تطبّق منذ قرون، نظاماً مختلفاً، فبينما الأساقفة لا يُختارون إلاّ من المتبتّلين، يجوز لرجال متزوجين أن يُرسموا شمامسة وكهنة. هذه العادة تُعتبر شرعيّة منذ عهد قديم، وهؤلاء الكهنة يؤدّون خدمة مثمرة في جماعتهم. وعلى كلّ فبتولية الكهنة هي موضوع إجلال عظيم في الكنائس الشرقيّة، وكثيرون هم الكهنة الذين آثروها طوعاً، لأجل ملكوت الله. ولكن في الشرق كما في الغرب لا يجوز لمن قبل سرّ الكهنوت أن يتزوج.

VII. مفاعيل سرّ الكهنوت الوّسْم الذي لا يبلى

1581- إنّ هذا السرّ يجعل الكاهن على صورة المسيح، بنعمة خاصة من الروح القدس، ليصير أداة للمسيح لأجل كنيسته. بالرسامة يصبح الكاهن أهلاً لأن يمثّل المسيح رأس الكنيسة في وظائفه الثلاث، بصفته كاهناً ونبيّاً وملكاً.

1582- هذا الاشتراك في وظيفة المسيح لا يُمنح إلاّ مرّة واحدة، كما هي الحال في المعمودية والتثبيت، وذلك بانّ سرّ الكهنوت يولي صاحبه، هو أيضاً، وَسْما روحيّا لا يبلى، ولا يمكن، من ثمّ، أن يتكرّر ولا أن يُمنح بطريقة وقتيّة.

1583- يجوز لإنسان حظي برسامة صحيحة أن يُعفى، لأسباب باهظة، من الواجبات والوظائف المرتبطة بالرسامة أو أن تُحرّم عليه ممارستها. ولكنّه لا يستطيع أن يرتدّ إلى الحالة العلمانية بالمعنى الدقيق، لأنّ الوسم الذي وُسم به بالرسامة يبقى إلى الأبد. فالدعوة والرسالة التي تلقّاهما يوم رسامته تطبعانه بطابع دائم.

1584- ولما كان المسيح، في النهاية، هو الذي يعمل ويحقّق الخلاص عبر الخادم المرسوم، فعدم الجدارة التي تسوم هذا الخادم لا تحول دون عمل المسيح. وهذا ما يؤكّده القديس أوغسطينوس بقوّة،

"وأمّا الخادم المتكبّر فيجب أن يُصفَّ مع الشيطان. ولكن موهبة المسيح لا تُنتَهّك بسبب ذلك. فكلّ ما يسيل من خلاله يظلُّ نقيّاً، وكلّ ما يمرّ به يبقى صافياً وينزل على الأرض الخصبة. قوّة السرّ الروحية هي أشبه بالنور، المدعوّون إلى الاستنارة يتلقّونها نقيّة، وإذا اجتازت كائنات مدنّسة فهي لا تتدنّس".

نعمة الروح القدس

1585- نعمة الروح القدس التي يتميّز بها هذا السرّ هي أن تجعل الإنسان على شبه المسيح الكاهن والمعلمّ والراعي الذي أُقيم المرتسم خادماً له.

1586- فالأسقف يجد فيها نعمة القوّة ("الروح الرئاسي"، أي الروح الذي يقيم الرؤساء، كما تطلب صلاة سيامة الأسقف في الطقس اللاتيني) القوّة التي تمكّنه من أن يسوس كنيسته ويذود عنها بحزم وفطنة، فعل أب وراعٍ، بمحبّة مجّانية للجميع، وإيثار للفقراء والمرضى وذوي الفاقة. هذه النعمة تدفعه إلى إن يبشّر الجميع بالإنجيل، ويكون قدوة لقطيعه، ويتقدّمه في طريق القداسة والتماهي، في الافخارستيا، مع المسيح الكاهن والضحيّة، ولا يخشى أن يبذل حياته في سبيل، النعاج

"أيها الرب الذي يعرف القلوب، هّب خادمك الذي اخترته للأسقفية، أن يرعى قطيعك المقدّس ويمارس لديك الكهنوت الأعظم بلا لوم، ويخدمك ليلاً ونهاراً. وليجع عل وجهك دوماً متعطّفاً ويقرّب تقادم كنيستك المقدّسة. ولتكن له، بقّوة روح الكهنوت الأعظم، سلطة العفو عن الخطايا، بحسب وصّيّتك، وليوزّع الوظائف حسب أمرك، وليحّلّ من كل قيد بقّوة السلطة التي أوليتها رسلك، وليُرضِك بوداعته وعفّة قلبه، ويقدم لك طيباً ذكيّاً، بابنك يسوع المسيح".

1587- الموهبة الروحيّة التي توليها الرسامة الكهنوتية، يعبّر عنها الطقس البيزنطي بهذه الصلاة التي يتلوها الأسقف وهو واضع يده على المرتسم:

"أيها الربّ املأ من ارتضيت أن ترفعه إلى الدرجة الكهنوتية، من نعمة الروح القدس، ليكون أهلاً لأن يقف، بلا لوم، أمام مذبحك، ويبشّر بإنجيل ملكوتك، ويُتمّ خدمة كلمة حقّك، ويقرّب لك تقادم وذبائح روحية، ويجدد شعبك بغسل الميلاد الثاني، فيلاقيَ إلهنا العظيم ومخلصّنا

يسوع المسيح، ابنك الوحيد، في مجيئه الثاني، وينال من لدن رحمتك التي لا حدّ لها، مكافأة قيامه بمهامّ رتبته قياماً حسنًا".

1588- وأمّا الشمامسة، "فإنّ نعمة السرّ تؤتيهم القوّة ليخدموا شعب الله، بالاشتراك مع الأسقف وكهنته، في "خدمة" الليتورجيا والكلمة والمحبّة".

1589- أمام عظمة نعمة الكهنوت، وأعبائه أوجس الآباء القديسون الدعوة الملحّة إلى التوبة ليستجيبوا، بكلّ حياتهم، لذاك الذي جعلهم، بسرّ الكهنوت، خَدَمةً له. ويقول القديس غريغوريوس النزينزي، وهو في مطلع حياته الكهنوتية، في هذا الصدد:

"يجب أن نتنقّى قبل أن ننقّي الآخرين، وأن نتعلمّ لنع لمّ، وأن نكون نوراً لننير، ونتقرّب إلى الله لنقّرب إليه الآخرين، ونتقدّس لنقدِّس، ونقود الناس باليد وننصحهم بفهم". "إنّي أعلم خَدَمةُ من نحنُ، وفي أي مرتبة نقيم، من هو ذاك الذي تتوجّه إليه. أعرف سموّ الله وضعف الإنسان، ولكنّي أعرف قوّته أيضاً". (من هو الكاهن؟ إنه) "حامي الحقيقة، يقف مع الملائكة، ويمّجّد مع رؤساء الملائكة، ويرفع إلى المذبح العلويّ ضحايا الذبائح، ويشارك المسيح كهنوته، ويجدّد الخليقة ويعيد (إليها) صورة (الله)، ويجدد خلقها للعالم العلويّ، وأعظم من هذا كلة لأنَّهُ يؤلَّه ويؤلِّه". "ويقول خوري أرس القديس، "الكاهن يواصل عمل الفداء على الأرض"...، "لو كنّا نُحسِن فهمَ الكاهن على الأرض، لكنّا نموت لا من الخوف بل من الحبّ"...، "الكهنوت هو محّبّة قلب يسوع".

بإيجاز

***1590**- يقول القديس بولس لتلميذه طيموتاوس، "أنّبهك على أن تحيي الهبة التي جعل الله لك بوضع يديّ" (2 طيم 1، 6)، ومن رغب في الأسقفية تمنى أمراً عظيماً (1 طيم 3، 1). وقال لتيطس، "تركتك في كريت لتتم فيها تنظيم الأمور وتقيم كهنةً في كل بلدة كما أوصيتك" (تي 1، 5).*

***1591**- الكنيسة كلها شعب كهنوتي. المؤمنون كلهم، بنعمة المعمودية، يشتركون في كهنوت المسيح. هذا الاشتراك نسميه "كهنوت المؤمنين العام". على أساسه وفي خدمته يقوم اشتراك آخر في رسالة المسيح، ينبع من سرّ الكهنوت، ومهمة الخدمة الكهنوتية، يؤديها الكاهن وسط الجماعة باسم المسيح الراس وبشخصه.*

***1592**- كهنوت الخدمة يختلف اختلافا جوهريا عن كهنوت المؤمنين العام لأنه يولي صاحبه سلطانا مقدسا لخدمة المؤمنين. الخدمة المرسومون يمارسون خدمتهم لشعب الله بالتعليم (مهمة التعليم) وإقامة الشعائر الإلهية (المهمة الليتورجية) والولاية الرعائية (مهمة الإدارة).*

1593- منذ العهود الأولى مُنح الكهنوت وموِرس على درجات ثلاث، الأساقفة والكهنة والشمامسة. هذه الخدم التي تتم بالرسامة الكهنوتية لا بديل منها للكنيسة في تكوينها الُبنيوي، فبدون الأساقفة والكهنة والشمامسة، لا وجود للكنيسة.

1594- ينال الأسقف ملء سرّ الكهنوت الذي يولجه في الهيئة الأسقفية ويجعل منه الرئيس المنظور للكنيسة الخاصة التي وكلت إليه. إنّ الأساقفة بصفتهم خلفاء الرسل واعضاء الهيئة الأسقفية، لهم نصيب في المسؤولية الرسولية والرسالة التي تضطلع بها الكنيسة كلها، بإمرة البابا خليفة القديس بطرس.

1595- إنّ الكهنة يتحدون بالأساقفة في الكرامة الكهنوتية، ولكنهم يخضعون لهم، في الوقت نفسه، في ممارسة مهامهم الرعائية. إنهم مدعوون إلى أن يكونوا للأساقفة معاونين فطنين، ويؤلفون حول اسقفهم أسرة أسقفية، تحمل معه مسؤولية الكنيسة الخاصة. ويتسلمون من الأسقف مهمة العناية بجماعة رعوية أو بوظيفة كنسية معينة.

1596- الشمامسة هم خدمة مرسومون للقيام بأعباء الخدمة في الكنيسة. إنهم لا يمنحون كهنوت الخدمة، ولكنّ الرسامة توليهم وظائف هامة في خدمة الكلمة والشعائر الإلهية، والادارة الراعوية، وخدمة المحبة، وهي مهام يضطلعون بها تحت سلطة أسقفهم الراعويّة.

1597- يمنح سرّ الكهنوت بوضع الأيدي تليه صلاة تكريس احتفالية تلتمس من الله للمرتسم ما يلزمه من نعم الروح القدس للقيام بخدمته. وتترك الرسامة في المرتسم وعس ما سريا لا يبلى.

1598- لا تمنح الكنيسة سرّ الكهنوت إلا رجالاً معمدين، يملكون من المؤهلات للقيام بخدمتهم ما تم التثبت منه بطريقة قانونية. وللسلطة الكنسية وحدها ترجع المسؤولية والحق في الدعوة إلى الكهنوت.

1599- في الكنيسة اللاتينية لا يُمنح سرّ الكهنوت عادةً إلاّ رجالاً مستعدّين لاعتناق البتوليّة طوعاً ويعلنون نيّتهم في المحافظة عليها محبةً بملكوت الله وخدمة الناس.

1600- يرجع للأساقفة أن يمنحوا سرّ الكهنوت في درجاته الثلاث.

المقال السابع

سرّ الزواج

1601- "إنّ عهد الزواج الذي به تقوم بين رجل وامرأة شركة تشمل الحياة كلهّا، وتهدف، من طبيعتها، إلى خير الزوجين وإلى إنجاب البنين وتربيتهم، قد رقّاه المسيح الربّ، بين المعمّدين، إلى كرامة سرّ".

I. الزواج في تصميم الله

1602- إنّ الكتاب المقدس يبدأ برواية خلق الرجل والمرأة على صورة الله ومثاله، وينتهي برؤيا "عروس الحمل" (رؤ 19، 9). ويتحدّث الكتاب المقدس، على مدى صفحاته، عن الزواج "وسرّه"، وتأسيسه والمعنى الذي أفرغه الله عليه، ومصدره وغايته، وتطبيقاته المتنوّعة على مدى تاريخ الخلاص، وصعوباته الناجمة عن الخطيئة، وتجدّ ده "في الرب" (1 كو 7، 39)، في العهد الجديد، عهد المسيح والكنيسة.

الزواج في نظام الخلق

1603- "إنّ الشركة العميقة، شركة الحياة والحب، التي يقيمها الزوجان، قد أسّسها الخالق وجهّزها بقوانينها الخاصة. فالله هو نفسه الذي وضع الزواج". الدعوة إلى الزواج منقوشة في طبيعة الرجل والمرأة كما خرجا من يد الخالق. ليس الزواج إذًا مؤسّسة محض إنسانية، بالرّغم من التغيّرات التي طرأت عليه مدى الأجيال، في مختلف الثقافات والبُنى الاجتماعية، والمواقف الروحية. هذه التنوّعات يجب ألاّ تُنسينا ما هنالك من ملامح مشتركة ودائمة. ومع أنّ كرامة هذه المؤسّسة لا تتراءى بنفس الوضوح في كلّ مكان، إلاّ أننا نجد، مع ذلك، في كلّ الثقافات، حسّاً عميقاً بعظمة الزواج. "إنّ ازدهار الفرد والمجتمع مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمؤسّسة الزوجية والعائليّة".

1604- إنّ الله الذي خلق الانسان عن حبّ، دعاه أيضاً إلى الحبّ، وهي دعوة أساسيّة وفطرية في كلّ انسان. ولا غرو، فالإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله، والله هو ذاته "محبّة" (1 يو 4، 8. 16). وإذ خلق الله الإنسان رجلاً وامرأة، فحبّهما المتبادَل يصبح صورة للمحبّة المطلقة والراسخة التي أحبّ بها الله الإنسان. وقد رأى الله ذلك حسناً جدّاً. هذا الحب باركه الله وجعله خصباً يتحقّق في تعهّد عمل الخلق تعهداً مشتركاً "وباركهم الله وقال لهم، أنُموا واكثروا واملأوا الأرض واخضعوها" (تك 1، 28).

1605- لقد خلق الله الرجل والمرأة أحدهما للآخر. هذا ما يؤكّده الكتاب المقدّس، "ليس حسناً أن يبقى الانسان وحده" (تك 2، 18). فالمرأة هي "لحم من لحم" الرجل، أي مساوية له وقريبة منه وقد وهبها الله "نصرة" للرجل، تمثّل الله الذي منه تأتي نصرتنا. "ولذلك يترك الرجل أباه وأمّه ويلزم امرأته فيصيران كلاهما جسداً واحداً" (تك 2، 24). فأن يعني ذلك بينهما وحدة لا تنفصم، هذا ما يبيّنه الرب نفسه مذكّراً ما كان قصد الله "منذ البدء"، "وهكذا ليسا هما بعدُ اثنين بل هما جسد واحد" (متى 19، 6).

الزواج تحت حكم الخطيئة

1606- لا بدّ لكلّ إنسان أن يختبر الشرّ حوله أو في ذاته. هذا الاختبار نقع عليه أيضاً في العلاقات ما بين الرجل والمرأة. فقرانهما بات دائماً عرضةً للخلاف، وروح التسلطّ، والخيانة، والغيرة، ولصراعات قد تصل إلى حدّ الكراهية والقطيعة. هذه الفوضى قد تظهر بقليل أو كثير من الحدّة، وقد نتغلبّ عليها قليلاً أو كثيراً، بحسب الثقافات والأزمنة والأفراد، إلاّ أنّها تبدو ممهورة بطابع شامل.

1607- ويُعلمّنا الإيمان أنَّ هذه البلبلة التي نلمسها لمساً أليم اً، لا تأتي من طبيعة الرجل والمرأة، ولا من طبيعة علاقتهما، بل من الخطيئة. فالخطيئة الأولى هي مقاطعة لله، أوُلى نتائجها تصدُّعُ الشركة الأصلية بين الرجل والمرأة. علاقتهما تشوّهت باتهامات متبادَلة، وميل أحدهما إلى الآخر، وهو الهبةُ التي حباهما الله نفسه، تحوّل إلى علاقات تسلطّ وشهوة، ودعوتهما الجميلة إلى الخصب والتكاثر وإخضاع الأرض أمست مرهقةً بأوجاعِ الولادة وكسب الرزق.

1608- بيد أنّ نظام الخلق لا يزال قائماً، وإن تعكّر تعكُّراً ذريعاً. فالرجل والمرأة بحاجة إلى معرفة نعمة الله لشفاء جروح الخطيئة. والله، في رحمته اللامتناهية، لم يبخل بها عليهما البتّة. بدون هذه المعونة يعجز الرجل والمرأة عن تحقيق وحدة حياتهما التي لأجلها خلقهما الله "منذ البدء".

الزواج تحت تربية الناموس

1609- إنّ الله، في رحمته، لم يتخلَّ عن الانسان الخاطئ. فما تُعا قَ ُبُ به الخطيئة من أوجاع الولادة، والعمل "بعرق جبينك" (تك 3، 19)، إنّما هو من قبيل العلاجات التي تحدُّ من شرور الخطيئة. بعد السقطة، يساعد الزواج في التغلبّ على الانطواء على الذات "والأنانية" والبحث عن اللذة، كما يساعد في الانفتاح على الغير والتعاون وبذل الذات.

1610- الوعي الأدبي لمقتضى وحدة الزواج وديمومته قد تطوّر وفاقاً للنهج التربوي الذي ساد الشريعة القديمة. لا شكّ أنّ تعدد الزوجات عند قدامى الآباء والملوك لم ينحسر بطريقة صريحة بيد أنّ الشريعة التي أنُزلت على موسى توخّت حماية المرأة من مِزاجية تسلطّ الرجل، وإن كانت تحمل، على حدّ قول الرب، آثار "قسوة قلب" الانسان التي دفعت بموسى إلى السماح بتطليق المرأة.

1611- لقد توسّم الأنبياء في العهد الذي قطعه الله مع إسرائيل صورة حبٍ زوجيّ مقصور على الزوج والزوجة وقائم على الأمانة، فمهّدوا بذلك لضمير الشعب المصطفى أن يتفهّم بعمق وحدانية الزواج وديمومته. وإننا لنجد في سِفرَي راعوت وطوبيّا إثباتات مؤثّرة لسموّ معنى الزواج والأمانة والتوادّ بين الزوجين. وقد آنس التقليد دوماً في "نشيد الأناشيد" تعبيراً فريداً عن الحبّ البشري، من

حيث إنّه انعكاس لحبّ الله، الحبّ "القويّ كالموت" والذي "لا تستطيع المياه الغزيرة أن تطفئه" (نش 8، 6- 7).

الزواج في ظلّ الربّ

1612- الميثاق الزوجي بين الله وشعبه إسرائيل مهّد للعهد الجديد والأبديّ الذي أراد به ابن الله، بالتجسّد وبذل الذات، أن يضمّ إليه كلّ البشرية التي خلصّها، مهيّئاً بذلك "عرس الحمل".

1613- لقد صنع يسوع، عند عتبة حياته العلنيّة، أوّل آية له – عن طلب من أمه – بمناسبة حفلة زواج. وتولي الكنيسة أهمية كبرى لحضور يسوع في عرس قانا، وترى فيه تثبيتاً لجودة الزواج وإيذاناً بأنَّ الزواج سوف يكون آية فعّالة من آيات حضور المسيح.

1614- وقد علمّ المسيح، بلا مواربة، في كرازته، المعنى الأصيل لاتّحاد الرجل والمرأة، كما أراده الخالق منذ البدء، فالسّماح بتطليق المرأة، في شريعة موسى، ما كان سوى تساهلا عملَته "قساوة القلب". فاتّحاد الرجل والمرأة في الزواج لا يقبل الانفصام، لأنَّ الله نفسه قد أقرّه، "فلا يفرّق الإنسان ما جمعه الله" (متى 19، 6).

1615- هذا التشديد الصريح على ديمومة الوثاق الزوجي قدُ يُذهل العقل ويبدو من المقتضيات التي لا يمكن تحقيقها. ومع ذلك فيسوع لمُ يُرهق الأزواج بعبء باهظ لا يمكن حمله، وأثقل مما جاء في الشريعة الموسويّة. فالمسيح إنّما جاء ليعيد الخليقة إلى نظامها الأول الذي بلبلته الخطيئة، وهو يؤتينا من القوّة والنعمة من يُمكّننا من أن نعيش الزواج في ملكوت الله وبُعده الجديد. فالأزواج لن "يدركوا" معنى الزواج، في معناه الأصيل، ولن يتمكّنوا من أن يعيشوه بمعونة المسيح، إلاّ إذا تبعوا المسيح وزهدوا في أنفسهم، وحملوا صليبهم. نعمة الزواج هذه إنّما هي ثمرة صليب المسيح، ومصدر كل حياة مسيحية.

1616- وهذا ما يعلمّه الرسول بولس بقوله، "أيّها الرجال، أحبّوا نساءكم كما أحبّ المسيح كنيسته وضحّى من أجلها ليقدّسها (أف 5، 25- 26). ويضيف فوراً "ولذلك يترك الرجل أباه وأمّه ويلزم امرأته فيصير الاثنان جسداً واحداً. إنّ هذا السرّ العظيم، وأعني به سرّ المسيح والكنيسة" (أف 5، 31- 32).

1617- الحياة المسيحية كلهّا تحمل طابع الحبّ الزوجي القائم بين المسيح والكنيسة. فالمعموديّة – هي المدخل إلى شعب الله – هي أيضاً سرّ عرسي. إنّها، نوعاً ما، "ماء الاستحمام" الذي يسبق وليمة العرس، أي الافخارستيا. ويصبح الزواج المسيحيّ، هو أيضاً، علامة فاعلة، وسرّ العهد

المُبرم بين المسيح والكنيسة. وبما انّ الزواج بين المعمّدين هو عبارة هذا العهد ووسيلة نعمته، فهو سرّ حقيقيّ من أسرار العهد الجديد.

البتولية لأجل الملكوت

1618- محور كلّ حياة مسيحية هو المسيح، والصلة به تتقدّم كلّ الصلات الأُخرى، العائليّة والاجتماعية. فمنذ بدء تاريخ الكنيسة، نجد رجالاً ونساء انصرفوا عن الزواج وعظيم قيمته، وصحبوا الحمل كيفما سار، لا يهتمّون إلاّ لما هو للربّ ولما يرضيه، وهبّوا لاستقبال العريس القادم. المسيح نفسه دعا بعضاً لأتّباعه في هذا النمط من الحياة الذي يبقى هو مثاله.

"هناك في الخصيان من وُلدوا من بطون أمّهاتهم على هذه الحال، وفي الخصيان من خصاهم الناس، وفي الخصيان من خَصَوا أنفسهم من أجل ملكوت السماوات. فمن استطاع أن يفهَم فليَفهَم" (متى 19، 12).

1619- البتولية لأجل ملكوت السماوات هي تَفَتُّحُ نعمة المعمودية، وعلامة بليغة من علامات سموّ العلاقة بالمسيح، وانتظار عودته على أحرّ من الجمر، والدلالة على أنّ الزواج هو من شؤون هذا الدهر العابر.

1620- سرّ الزواج والبتولية لأجل ملكوت الله كلاهما من الرب نفسه يصدران. فهو الذي يؤتيهما قيمةً ويجود عليهما بالنعمة التي لا بدّ منها لممارستهما طبقاً لإرادته. احترام البتولية لأجل الملكوت والزواج في مفهومه المسيحي صنوان لا يفترقان بل يتكاملان.

"تقبيح الزواج يقلّ من سموّ البتولية، والإشادة به يُعلى ما يُفترض من الإعجاب بالبتولية. فكلّ ما لا يبدو خيراً إلاّ بمقارنته بالشرّ ليس بالحقيقة خيراً. وأمّا ما يفوق الخيور التي لا يرقى إليها شكّ، فهو الخير الأسمى".

II. الاحتفال بالزواج

1621- في الطقس اللاتيني الاحتفال بالزواج بين مؤمنين كاثوليكيّين يتمُّ عادة في غضون القداس، بداعي الصلة القائمة بين جميع الأسرار وسرّ المسيح الفصحي. ففي الافخارستيا نحيي ذكرى العهد الجديد الذي فيه اتّحد المسيح إلى الأبد بالكنيسة عروسه الحبيبة التي ضحّى بذاته لأجلها فيجدر إذًا أن يرسّخا توافقهما على تواهب الذات والحياة باتّحادهما بالمسيح في تقديم ذاته لأجل الكنيسة، تقدمة "ماثلة" في الذبيحة الافخارستية. ويجدر بهما أن ينالا الافخارستيا، فيشتركا في جسد المسيح ودمه فيصيرا، من ثمّ، جسداً واحداً" في المسيح.

1622- "إنّ الاحتفال الليتورجي بالزواج بصفته عملا سرّيا يهدف إلى التقديس، يجب أن يكون، في حدّ ذاته، عملاً صحيحاً لائقاً ومثمراً". فيجدر إذًا بالعروسين أن يستعدّا للاحتفال لزفافهما بقبول سرّ التوبة.

1623- بحسب التقليد اللاتيني، الزوجان هما خادما نعمة المسيح، يمنحان أحدهما الآخر سرّ الزواج، بالإعراب عن رضاهما أمام الكنيسة. أمّا في تقاليد الكنيسة الشرقية، فالمحتفلون –أساقفة أو كهنة– هم شهود على رضى المتبادل بين الزوجين، ولكنّ بركتهم ضرورية أيضاً لصحّة السرّ.

1624- الليتورجيات، على أنواعها، حافلة بصلوات البركة والدعاء، تتوجّه إلى الله بطلب نعمته وبركته للزوجين، ولا سيّما للزوجة. في صلاة الاستدعاء الملحوظة في حفلة الزفاف، ينال الزوجان الروح القدس عربون شركة الحبّ بين المسيح والكنيسة. فالمسيح هو خاتم ميثاقهما ومصدر حبّهما على مدى الزمن، والقوّة التي بها تتجدّد أمانتهما.

III. الرّضى الزوجيّ

1625- طرفا الميثاق الزوجيّ هما رجل وامرأة معمّدان، طليقان من كلّ قيد زوجيّ، يُعربان بحرّية عن رضاهما، وتقوم "الحرية" هنا على ما يلي:

- أن لا يمارس أيُّ ضغط على طالب (أو طالبة) الزواج،
- ألاّ يحول دون زواجهما أيّ شرع طبيعيّ أو كنسيّ.

1626- تعتبر الكنيسة تبادل الرِّضى بين الزوجين عنصراً أساسيّاً "مُكوّناً للزواج". فإذا انتفى تبادل الرِّضى ليس ثمّة من زواج.

1627- قوامُ الرِّضى "فعل إنسانيّ فيه يتمّ بين الزوجين موهبة ذاتَيهما أحدهما للآخر"، "أقبَلكِ زوجةً لي..."، "أقبلكَ زوجاً لي..." هذا التراضي الذي يربط الزوجين أحدهما بالآخر يبلغ مداه في أن الإثنين يصيران "جسداً واحداً".

1628- يجب أن يكون الرضى فعل أرادةِ كلٍّ من المتعاقدَين، بريئاً من كل عنف أو خوف خارجيّ خطير. وليس ثمّة من سلطة بشرية بإمكانها أن تقوم مقام هذا الرضى. فإذا انتفت هذه الحرّية كان الزواج باطلاً.

1629- لهذا السبب (أو لأسباب أخُرى تجعل الزواج باطلاً وغير قائم)، تستطيع الكنيسة بعد أن تنظر في الوضع عبر المحكمة الكنسية المختصّة، أن تعلن "بطلان الزواج"، أي أنّ الزواج لم يتمّ

منذ الأصل. في هذه الحال يحقّ للمتعاقدَين أن يعقدا زواجاً آخر، على أن يتقيّدا بالواجبات الطبيعية الناجمة عن قران سابق.

1630- الكاهن (أو الشماس) الذي يحضر حفلة الزواج، يتقبّل رضى الزوجين باسم الكنيسة، ويمنحهما بركة الكنيسة. إنّ حضور الخادم الكنسي (والشاهدين) يعبّر بطريقة مرئيّة عن أنّ الزواج هو حقيقة كنسيّة.

1631- لهذا السبب تطلب الكنيسة عادة للمؤمنين من أبنائها الصيغة الكنسية لإجراء الزواج. ثمّة، أسباب كثيرة تساعد في تعليل هذا القرار:

- الزواج الأسراريّ عمل ليتورجي فيجدر، من ثمّ، أن يُحتفل به في الكنيسة في إطار ليتورجي علنيّ،
- يندرج الزواج في نظام كنسي، وُيُنشئ في الكنيسة حقوقاً وواجبات بين الأزواج وتجاه الأولاد،
- لمّا كان الزواج حالة حياة ضمن الكنيسة، كان لا بدّ من أن يحظى باليقين (من هنا لزوم الشاهدين)،

إنّ الطابع العلني في رضى الزوجين يحمي ميثاقهما وُيُساعدهما في الوفاء به.

1632- لكي يكون وعد الزوجين عملاً حرّاً ومسؤولاً، ولكي يقوم الميثاق الزوجيّ على أسس بشريّة ومسيحية راسخة ودائمة، لا بدّ من اعتبار التأهب للزواج واجباً في غاية الأهمية.

إنّ ما يقدّمه الأهل والعيل من أمثلة ودروس هو الطريقة المثلى لمثل هذا التأهيل.

مهّمّة الرعاة والجماعة المسيحية، بصفتها "اسرة الله"، لا بدّ منها لتوريث القيم الإنسانية والمسيحية النابعة من الزواج والأسرة، ولا سيّما في هذا الزمن الذي نرى فيه الكثير من الشبّان يعانون خبرة البيوت المحطّمة التي لم تعد تؤمّن بكفاية هذه التربية.

"يجب تثقيف الشبّان تثقيفاً ملائماً في الزمان والطريقة، يحيط بكرامة الحبّ الزوجي ومهمّته وممارسته. وأفضل ما يكون هذا التثقيف في حضن العائلة، فإذا نشأوا على الطهارة استطاعوا، في الوقت المناسب، أن ينتقلوا إلى الزواج بعد فترة من الخطبة يقضونها في الكرامة واللياقة".

الزواجات المختلطة واختلاف الدين

1633- الزواج المختلط (بين كاثوليكي ومعمّد غير كاثوليكي)، ليس الحالة النادرة في بلدان كثيرة، يقتضي، من الأزواج والرعاة، تنبّهاً خاصّاً. وأمّا الزواجات في حالة اختلاف الدين (بين كاثوليكي وغير معّمّد) فتتطلبّ الحيطة أكبر.

1634- اختلاف المذاهب بين الزوجين لا يقوم عائقاً مستعصياً دون الزواج، إذا توصّلا إلى وضع ما وَرَثَ كلٌّ منهما من جماعته موضع الفائدة المشتركة، وإذا تعلمّ كلٌّ من الآخر الطريقة التي يحقّق فيها أمانته للمسيح. بيد أنّ مشاكل الزواجات المختلطة يجب ألاّ نقدرها دون قدرها. وسبب هذه المشاكل أنّ المسيحيين لم يُوَفّقوا بعد في تذليل انقسامهم. ويُخشى على الأزواج أن يكابدوا، في عقر بيتهم، مأساة انقسام المسيحيين. وقد يكون اختلاف الدين سبباً لاستفحال هذه المشاكل. الاختلافات في شأن الإيمان، والنظرة إلى الزواج، وحتى الذهنّيات الدينية المختلفة قد تمسي مصدر توترات في الزواج، ولا سيّما في شأن تربية البنين. وقد ينجم عن ذلك كلهّ خطر اللامبالاة الدينية.

1635- في نظر الشرع المرعيّ في الكنيسة اللاتينيّة، لا بدّ، لإقامة الزواج المختلط بوجه شرعيّ، من ترخيص صريح من السلطة الكنسيّة. عند اختلاف الدين، لا بدّ من تفسيح صريح من المانع ليكون الزواج صحيحاً. هذا الترخيص أو هذا التفسيح يفترضان أنّ الطرفين يعلمان أهداف الزواج وخصائصه الجوهرية ولا يرفضانها، وكذلك أنّ الطرف الكاثوليكي يُثبت التزامه، التيُ يُعلم الطرف غير الكاثوليكي بها، بالحفاظ على إيمانه وتعميد الأولاد وتربيتهم في الكنيسة الكاثوليكية.

1636- في كثير من المناطق، توصّلت الجماعات المسيحية المعيّنة، بفضل الحوار المسكوني، إلى أن تضع نهجا رعائيّا مشتركا للزواجات المختلطة، يهدف إلى مساعدة الأزواج في أن يعيشوا وضعهم الخاص في ضوء الإيمان وهو يهدف أيضاً إلى مساعدتهم في التغلبّ على التوتّرات القائمة بين واجبات الزوجين أحدهما تجاه الآخر، وواجباتهما تجاه جماعاتهما الكنسية. ولا بدّ لهذا النهج الرعائيّ من أن يشجّع على تنمية ما هو مشترك بينهما في الإيمان واحترام ما يفرّق بينهما.

1637- في الزواجات المعقودة في حالة اختلاف الدين يضطلع الزوج الكاثوليكيّ بمهمّة خاصة، "لأنّ الزوج غير المؤمن يتقدّس بامرأته، والمرأة غير المؤمنة تتقدّس بالزوج المؤمن" (1 كو 14، 7). وكم يكون فرح الزوج المؤمن وفرح الكنيسة عظيماً، إذا أدّى هذا "التقديس" إلى اهتداء الزوج الآخر إلى الإيمان المسيحي، اهتداءً حرّاً. إنّ الحبّ الزوجيّ الخالص، مع ممارسة الفضائل العائلية في التواضع والصبر، والمثابرة على الصلاة، قد يُعدّ الزوج غير المؤمن لقبول نعمة الاهتداء.

IV. مفاعيل سرّ الزواج

1638- "من الزواج الصحيح ينشأ بين الزوجين وثاق، هو من طبيعته دائم ومقصور على اثنين. ثم إنّ الزواج المسيحي يولي الزوجين قوّة وشبه تكرّس، بواسطة سرّ خاص، للواجبات والكرامة المرتبطة بحالتهما".

الوثاق الزوجي

1639- إنّ الرضى الذي يتبادله الزوجان عطاءً ذاتيّاً وقبولاً، يختمه الله نفسه. من هذا الميثاق "تنشأ مؤسّسة يثبّتها الشرعُ الإلهيّ، حتى في نظر المجتمع البشري نفسه". ميثاق الزوجين يندمج في الميثاق القائم بين الله والبشر، "والحبّ الزوجي الصحيح تحتضنه المحبّة الإلهية".

1640- الوثاق الزوجي يقيمه إذًا الله نفسه، فينجم عن ذلك أنّ الزواج المعقود والمكتمل بين معمّدين لا يجوز أبداً حلّه. هذا الوثاق المنبثق عن الزوجين بفعل إنساني حرّ، وزواج مكتمل، هو واقع لا يقبل النّقض من بعد، ويُنشئ ميثاقاً يكفله الوفاء الإلهيّ. وليس في مقدور الكنيسة أن تتصدّى لهذا الترتيب الذي شاءته الحكمة الإلهيّة.

نعمة سرّ الزواج

1641- إنّ للأزواج المسيحيين، "في وضعهم الحياتي وحالهم، مواهبَهم الخاصة في شعب الله". هذه النعمة التي يختصّ بها سر الزواج تهدف إلى رفع الحب بين الزوجين إلى درجة الكمال، وتمتين وحدتهما غير المنفصمة. بهذه النعمة "يتعاون الزوجان في تقديس ذاتهما في الحياة الزوجية، وفي إنجاب البنين وتربيتهم".

1642- المسيح مصدر هذه النعمة "فكما أنّ الله قطع مع شعبه قديماً عهد محبة وأمانة، هكذا أراد الآن مخلصّ البشر، عروس الكنيسة، أن يلاقي المسيحيين في سرّ الزواج". فهو يلازمهم ويؤتيهم القوّة ليتبعوه، حاملين صليبهم، وينهضوا من كبواتهم، ويتبادلوا الصفح، ويحملَ بعضهم أثقال بعض، ويخضع بعضهم لبعض بتقوى المسيح" (أف 5، 21) ويُحبّ بعضهم بعضاً محبّةً تفوق الطبيعة، رقيقة وخصبة. وفي مباهج حبّهم وحياتهم العائلية، يؤتيهم المسيح أن يتذوّقوا، منذ الآن، طعم وليمة عرس الحمل "من أين لي أن استمدّ القوة لأن أصف وصفاً وافيا سعادة الزواج الذي تهيئه الكنيسة، وتثبّته التقدمة وتمهره البركة، الملائكة يعلنونه، والآب السماوي يصادق عليه. ما أروعهما زوجين مسيحيَّين يوحدّهما رجاء واحد، ورغبة واحدة، وخدمة واحدة! كلاهما ابنان لأب واحد، وخادمان لمعلمّ واحد. لا شيء يفرّقهما، لا في الروح ولا في الجسد، بل هما، في الحقيقة، اثنان في جسد واحد. وحيث الجسد واحد، فالروح واحد أيضاً".

7. فوائد الحبّ الزوجي ومقتضياته

1643- الحبّ الزوجي كلٌّ متكامل يتألفّ من كلّ مقوّمات الشخص، نداءِ الجسد والغريزة، قوّة الاحساس والمودّة، توقِ الروح والارادة، وهو يهدف إلى وحدة شخصية عميقة تتخطّى الاتّحاد في

جسد واحد، وتمكّن الاثنين من أن يكونا قلباً واحداً ونفساً واحدة. ويقتضي الديمومة والأمانة في عطاء متبادل حتى النهاية، ويتوق إلى الخصب. تلك، ولا شكّ، مزايا كلّ حبّ زوجي طبيعيّ، إنّما ينضاف إليها معنى جديد، لا ينقّيها ويرسّخها وحسب، بل يرتفع بها إلى مرتبة تجعلها تعبيراً عن قيم مسيحيّة مميّزة".

وحدة الزواج وديمومته

1644- الحبّ بين الزوجين يقتضي، من ذات طبيعته، الوحدة والديمومة في شركة شخصيّة تشمل الحياة كلهّا، "هكذا ليسا هما اثنين، بل جسد واحد" (متى 19، 6). "إنّهما مدعوّان إلى أن ينموا كلّ يوم في شركتهما، عبر الأمانة اليومية للوعد الذي يتضمّنه الزواج بتبادل العطاء كاملاً". هذه الشركة البشرية تتثبّت وتتنقّى وتكتمل بالشركة في يسوع المسيح، النابعة من سرّ الزواج، وتتعمّق باشتراك الزوجين في حياة الإيمان وفي الافخارستيا.

1645- "المساواة في الكرامة الشخصية التي يجب الاعتراف بها للمرأة وللرجل، في نطاق الحب المتبادل والكامل، تُظهر بوضوح وحدة الزواج التي ثبّتَها السيد المسيح". تعدد الزوجات ينقض هذه المساواة في الكرامة، ويناقض الحبّ الزوجيّ في وحدانيّته ومُطلقيّته.

أمانة الحب الزوجي

1646- الحب الزوجي يفرض على الزوجين، من طبيعته، أمانةً لا تُخترق. وهذا نتيجة ما يقوم به الزوجان عندما يتبادلان موهبة الذات. والحبّ يتوخّى الديمومة، لا يمكن أن يُعقدّ لفترة محدودة. "هذا الاتحاد الحميم، بصفته عطاء متبادلاً بين شخصين، وإذا انضاف إليه خير البنين، يقتضي من الزوجين أمانةً تامّة، وارتباط الواحد بالآخر ارتباطاً لا ينفصم".

1647- ولكن السبب الأعمق نجده في أمانة الله لعهده والمسيح لكنيسته بسرّ الزواج يصبح الزوجان أهلاً لأن يُمثِّلا هذه الأمانة ويشهدا لها، ويُضيفا على ديمومة الزواج معنى جديداً أعمق.

1648- قد يبدو صعباً بل متعذِّراً أن نرتبط بإنسان آخر مدى الحياة. ولكنّه من الأهمية بمكان أن ننشر البشرى السعيدة أنّ الله يُحبّنا حبّاً نهائيّاً لا عودة منه، وأنّ للزوجين قسطاً في هذا الحب الذي يحملهما ويساندهما، وأنّهما يستطيعان بأمانتهما أن يقوما شاهدين لله في حبّه الوفيّ. إن الأزواج الذين، بنعمة الله، يؤدّون هذه الشهادة، في ظروف صعبة جدّاً أحياناً كثيرة، يستحقّون شكر الجماعة الكنسية ودعمها.

1649- هناك، مع ذلك، أوضاع تمسي فيها المساكنة الزوجية، من الوجهة العمليّة، عبئاً لا يُطاق لأسباب متنوّعة جدّاً. في مثل هذه الأحوال تقبل الكنيسة بأن يفترق الزجان افتراقا جسديّاً وتنتهي المساكنة. إلاّ أنّ الزوجين يلبثان أمام الله، زوجاً وزوجة، ولا يحقّ لهما أن يعقدا زواجاً جديداً. في هذا الوضع الصعب، قد تكون المصالحة أحسن الحلول، إذا أمكن. الجماعة المسيحية مدعوّة إلى مساعدة هؤلاء الأشخاص ليعيشوا وضعهم بطريقة مسيحية، في الأمانة لوثاق زواجهم الذي يبقى غير قابل للانفصام.

1650- كثيرون هم اليوم، في بلاد كثيرة، الكاثوليك الذين يركنون إلى الطلاق طبقاً للقوانين المدنية، ويعقدون مدنيّاً زواجاً جديداً. ولكنّ الكنيسة تتمسّك بأنّها لا تستطيع أن تعترف بصحّة زواج جديد، إذا ثبتت صحّة الزواج الأول، ولذلك أمانةً لكلام يسوع المسيح ("من طلقّ امرأته وتزوّج غيرها زنى عليها. وإن طلقّت امرأة زوجها وتزوّجت غيره زنت" (مر 10، 11- 12). المُطلقّون الذين يعقدون مدنيّاً زواجاً آخر يجعلون أنفسهم في وضع يناقض موضوعيّاً شريعة الله. ولا يجوز لهم، من ثمّ، يُقبلوا للمناولة الافخارستية، ما دام هذا الوضع قائماً. ولا يجوز لهم، لهذا السبب عينه، أن يمارسوا بعض المهامّ الكنسية. وأمّا المصالحة، بواسطة سرّ التوبة، فلا يُنعمُ بها إلاّ الذين تابوا عمّا فرط منهم من انتهاك علامة العهد والأمانة للمسيح وتعهّدوا أن يعيشوا في العفّة الكاملة.

1651- على الكهنة والجماعة كلهّا أن يعاملوا بالحسنى والرعاية المسيحيين الذين يعيشون في هذه الحالة والذين يحفظون الإيمان غالباً ويرغبون في تربية أبنائهم تربية مسيحية، لئلاّ يَحسَبوا أنفسهم معزولين عن الكنيسة التي بإمكانهم ومن واجبهم، بصفتهم معمّدين، أن يشتركوا في حياتها:

"ويجب أن يُدعَوا إلى سماع كلام الله وحضور ذبيحة القداس والمثابرة على الصلاة والمساهمة في أعمال المحّبّة، وفي مبادرات الجماعة لأجل العدالة، وتربية أولادهم في الإيمان المسيحي، والعكوف على روح التوبة وأعمالها، لكي يلتمسوا، يوماً بعد يوم، نعمة الله".

الانفتاح على الخصب

1652- "في طبيعة المؤسسة الزوجيّة والحبّ الزوجيّ إنجاب الأولاد وتربيتُهم وهم لهما بمثابة الإكليل على الهامة":

"الأولاد هم أسمى عطايا الزواج، وبهم أعظم الخير للوالدين أنفسهم. والله نفسه الذي قال، "لا يحسن أن يكون الإنسان وحده" (تك 2، 18) والذي "منذ البدء خلق رجلاً وامرأة" (متى 4، 19)، أراد أن يَشركه إشراكاً مميّزاً في عمله الخلاقّ. ولذا بارك الرجل والمرأة قائلاً، "أنُموا واكثروا" (تك 1، 28). ومن ثمّ، فكلّ حبٍّ زوجيّ خالص ومفهوم على حقيقته. وما يصدر

عنه من بُنية تشمل الحياة العائلية كلّها، ومن غير أن نقللّ من أهمية أهداف الزواج الأخرى، كلّ ذلك يُتيح للأزواج أن يساهموا، بنفس شجاعة، في محبّة الخالق والمخلصّ الذي يريد أن يعمل بواسطتهم بلا كلل، على توسيع نطاق أسرته وتنمية طاقتها؟".

1653- خصب الحب الزوجيّ يشمل ثمار الحياة الأدبيّة والروحيّة والفائقة الطبيعة التي يرثها الأبناء من والديهم بالتربية. فالوالدون هم لأبنائهم أهمّ المربّين وأوّلهم. من هنا أنّ المهمّة الأساسية النابعة من الزواج والأسرة، هي التجنّد لخدمة الحياة.

1654- وأمّا الأزواج الذين لم يرزقهم الله بنين، فبإمكانهم، مع ذلك، أن يمارسوا حياة زوجية حافلة بالقيم، بشريّا ومسيحيّاً. وبوسعهم أن يجعلوا من زواجهم إشعاعاً خصيباً بالمحبّة والضيافة والتضحية.

VI. الكنيسة البيتيّة

1655- لقد أراد المسيح أن يولدّ ويترعرع في حضن أسرة يوسف ومريم المقدّسة. وما الكنيسة سوى "أسرة الله". نواة الكنيسة، منذ عهدها الأول، لم تكن غالباً سوى أولئك الذين "من أهل بيتهم" كانوا يدخلون في طاعة الإيمان. وعندما كانوا يهتدون إلى الإيمان كانوا يرغبون أيضاً لكلّ "أهل بيتهم" أن ينالوا الخلاص. هذه العيل التي اعتنقت الإيمان باتت جزر حياة مسيحية وسط عالم غير مؤمن.

1656- في أيّامنا، وفي عالم بات، في معظم الأحوال، غريباً عن الإيمان بل مناوئاً له، أصبحت العيل المسيحية على جانب كبير من الأهمية، بصفتها مواقد إيمان حيّ ومشعّ. وهذا ما حمل المجمع الفاتيكاني الثاني على تسمية الأسرة بالكنيسة البيتيّة، على حدّ تعبير قديم. "فعلى الوالدين، في نطاق الأسرة، أن يكونوا لأبنائهم، في شؤون الإيمان، أوّل المعلمّين بالقول والمثال، وأن يُعنَوا بدعوة كلّ منهم ولا سيّما الدعوة المقدّسة".

1657- هنا يُمارَس بطريقة مميّزة الكهنوت العمادي، كهنوت ربّ الأسرة والأم والأولاد وسائر أعضاء الأسرة، وذلك "بقبول الأسرار، ثم بالصلاة والحمد وشهادة السيرة المقدّسة، ثم بالكفر بالذات والمحبّة الفعّالة". وهكذا يصبح البيت أوّل مدرسة للحياة المسيحية تُكسبُ البنين "ثروة إنسانية". في البيت يتعلمّ الولد الصبر وبهجة العمل، والمحبّة الأخوية، والسخاء في الصفح وإن تكرّر، خصوصاً العبادة الإلهية بالصلاة وتقدمة الحياة.

1658- ولا بدّ من أن نذكر هنا أيضاً بعض الأشخاص المقرّبين جدا من قلب يسوع، بسبب الظروف الواقعيّة التي يعيشون فيها – على غير إرادتهم، في معظم الأحيان – ويستحقّون بالتالي

أن تسارع الكنيسة، ولا سيّما الرعاة، في إحاطتهم بالمحبّة والاهتمام، إنّهم العازبون بإعدادهم الكبيرة. كثيرون منهم لا ينتمون إلى اسرة بشريّة، وذلك، أحياناً كثيرة، بسبب عّوزهم. هناك من يعيشون هذه الحالة في روح التطوبيات وأهبة مثاليّة لخدمة الله والقريب هؤلاء كلهّم يجب أن نفتح لهم أبواب المنازل، "الكنائس البيتية"، وأبواب الأسرة الكبرى أي الكنيسة. "فما من أحد بلا أسرة في هذا العالم، فالكنيسة هي بيت الجميع وأسرة الجميع، ولا سيَما "المتعَبين والرازحين تحت أعبائهم" (متى 11، 28).

بايجاز

1659 *- يقول القديس بولس، "أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحبّ المسيح الكنيسة. إنّ هذا السرّ العظيم أي سرّ المسيح والكنيسة" (أف 5، 25. 32).*

1660 *- الميثاق الزوجيّ الذي به ينشئ رجل وامرأة بينهما شركة حياة وحبّ حميمة، قد أسسه الخالق ووضع له قوانين خاصة هذا الميثاق يهدف، من طبيعته، إلى خير الزوجين، وإلى إنجاب الأولاد وتربيتهم. وقد رفعه المسيح الربّ، بين المعمدين، إلى كرامة السرّ.*

1661 *- سرّ الزواج يرمز إلى اتحاد المسيح والكنيسة ويولي الزوجين أن يحبّ أحدهما الآخر كما أحبّ المسيح كنيسته. نعمة السرّ تكمل هكذا الحب البشريّ القائم بين الزوجين وترسخ وحدتهما التي لا تنفصم، وتقدسهما في طريق الحياة الأبدية.*

1662 *- يقوم الزواج على رضى المتعاقدين، أي على إرادة الزوجين أن يتبادلا عطاء الذات بطريقة نهائية ليحققا عهد حبّ وفيّ وخصيب.*

1663 *- الزواج يقيم الزوجين، في الكنيسة، في حالة علنية، فيحسن، من ثمّ، أن يحتفل به علناً، في إطار ليتورجي، أمام الكاهن (أو شاهد يمثل الكنيسة) والشاهدين وجماعة المؤمنين.*

1664 *- والوحدة والديمومة والانفتاح على الخصوبة هي مقوّمات الزواج الأساسيّة. تعدد الزوجات ينافي وحدته. والطلاق يفرّق ما جمعه الله. ورفض الخصوبة يصرف الحياة الزوجيّة عن "أسمى عطيّة" فيه، أي الولد.*

1665 *- الزواج الثاني الذي يعقده الأزواج المطلقون، في حال وجود الزوج الشرعي في قيد الحياة، ينافي قصد الله وشريعته اللذين تعلمناهما من المسيح. هؤلاء الأزواج لا يفصلون عن الكنيسة ولكنهم لا يستطيعون أن ينعموا بالمناولة الافخارستية. ويمارسون حياتهم المسيحية، بنوع خاص، بتربية أولادهم في الإيمان.*

1666- *البيت المسيحي هو المكان الذي يتلقى فيه الأولاد أولى بشائر الإيمان. ولذا يدعى البيت العائلي، بحقّ، "الكنيسة البيتية"، وهي بمثابة أسرة نعمة وصلاة ومدرسة للفضائل الإنسانية والمحبة المسيحية.*

الفصل الرابع

الاحتفالات الليتورجية الأخرى

المقال الأول

أشباه الأسرار

1667- "لقد وضعت الكنيسة المقدّسة أشباه أسرار، وهي علامات مقدّسة تُشبه الأسرار ولها مفعولات روحية في معظم الأحوال، وتُنال بتوسّلات الكنيسة، وبها يتهيّأ المؤمنون لتقبّل الأسرار والاستفادة من مفعولها الرئيسيّ، وبها تتقدّس شتّى أحوال الحياة".

أشباه الأسرار وملامحها المميّزة

1668- أشباه الأسرار وضعتها الكنيسة لتقديس بعض الخِدَم الكنسيّة وبعض الحالات الحياتيّة، وظروف الحياة المسيحيّة على أنواعها، وكذلك لتقديس الأشياء المفيدة للإنسان. وبوسعها أيضاً، إذا تماشت مع القرارات الرعائية التي يضعها الأساقفة، أن تلبّي ما يتميّز به الشعب المسيحيّ في منطقة أو في حقبة معيّنة، من حاجات وثقافة وتاريخ. وتتضمّن دائماً صلاة يرافقها غالياً علامةً معيّنة من مثل وضع اليد وإشارة الصليب والرشّ بالماء المقدّس (الذي يُذكّر بالمعموديّة).

1669- وهي منوطة بالكهنوت العماديّ، فكلّ معمّد مخوّل أن يكون "بركة" وأن "يمنح البركة "ومن ثمّ يجوز للعلمانيين أن يرأسوا بعض المباركات، ولكن بمقدار ما تقترن المباركة بالحياة الكنسية وبالأسرار، يجب حصرها في الخدمة الكهنوتية، فتكون من شأن الأساقفة والكهنة والشمامسة.

1670- إنّ أشباه الأسرار لا تولي نعمة الروح القدس على طريقة الأسرار، ولكنّها، بصلاة الكنيسة، تُعِدُّ النفس لقبول النعمة وتؤهلها للتعاون معها. "عند المؤمنين الحسنى الاستعداد، جميع أحداث الحياة تقريباً تتقدّس بالنعمة الإلهية التي تصدر عن السرّ الفصحي، سرّ آلام المسيح وموته وقيامته. فمنه تستمدّ جميع الأسرار وأشباه الأسرار قوّتها، وما من استعمال كريم لأيّ شيء من الأشياء المادّية تقريباً إلاّ أمكن توجيهُه إلى هدف تقديس الإنسان وتمجيد الله".

أشباه الأسرار في مختلف أشكالها

1671- من بين أشباه الأسرار نلحظ أوّلاً البركات (للأشخاص والمائدة والأمكنة). كلّ بركة هي بمثابة حمد لله وصلاة لنيل مواهبه. في المسيح، ينال المسيحيون من الله الآب" كلّ بركة روحية" (أف 1، 3)، ولذا تمنح الكنيسة البركة مستدعية اسم يسوع وراسمة عادةً إشارة صليب المسيح المقدّسة.

1672- ثمّة بركات لها مفعول دائم، وتهدف إلى تقديس أشخاص لله وتكريس أوان وأمكنة للاستعمال الليتورجي. من بين البركات الموجّهة إلى الأشخاص – ويجب أن نميّزها من الرسامة الكهنوتية- نذكر البركة الممنوحة لرئيس أو رئيسة دير، وتكريس العذارى والأرامل، وحفلة النذر الرهبانيّ والبركات الممنوحة لبعض الخِدم الكنسية (القرّاء، والمعاونين، ومعلّمي الدّين، الخ...). وأمّا بركات الأشياء والأماكن فنذكر منها تدشين كنيسة أو مذبح، وبركة الزيت والأواني والملابس والأجراس، الخ...

1673- عندما تلتمس الكنيسة علناً وبقوّة السلطة، باسم يسوع المسيح، حماية الأشخاص أو الأشياء من قبضة المحتال ونفوذه، فهي تُمارس ما يُسمّى "بالتعزيم". وقد مارسه يسوع، ومنه تستمدّ الكنيسة القدرة على التعزيم ومهّمة القيام به. ويُمارّس التعزيم، في شكل بسيط، عندما يُحتَفل بسرّ المعمودية. وأما التعزيم الاحتفالي أو "التعزيم الكبير" فلا يقوم به إلاّ كاهن بترخيص من الأسقف، ولا بدّ من أدائه بفطنة، وبالتقّيد بالقواعد التي تضعها الكنيسة. ويهدف "التعزيم" إلى طرد الشياطين أو اعتناق النفس من استحواذ الشيطان وذلك بالسلطة الروحية التي وكلها يسوع إلى كنيسته. ولكن الفرق الكبير بين الاستحواذ الشيطانيّ والحالات المرضيّة، ولا سّيّما الأمراض النفسانية التي يعود علاجها إلى العالم الطّبّي. من الأهمية إذًا بمكان، أن نمّيّز، قبل قيام التعزيم، بين الاستحواذ الشيطانيّ وحالة المرض.

التّقويّات الشعبية

1674- خارج نطاق ليتورجيا الأسرار وأشباه الأسرار، لا بدّ للكرازة من أن تحسب حساباً لبعض الأنماط التقويّة لدى المؤمنين والممارسات التعبديّة الشعبيّة. فالحسّ الديني، لدى الشعب المسيحيّ، قد انعكس دوماً في أشكال متنوّعة من التقوى تحيط بالحياة الأسرارية في الكنيسة. من ذلك، مثلاً، تكريم الذخائر، وزيارة المعابد، والحجّ والتطواف ودرب الصليب، والرّقص الديني، وصلاة الوردية، والأنواط، الخ...

1675- هذه التعابير التقويّة تضاف إلى الحياة الليتورجية في الكنيسة ولا تقوم مقامها، "لا بدَّ لها من تنظيم يماشي الزمن الطقسي، وينسجم مع الليتورجيا، ويصدر عنها بوجه من الوجوه، ويقود إليها، لأنّ الليتورجيا بطبيعتها أسمى وأرفع منها".

1676- لا بدّ من حسّ رعائي يدعم ويساند التقوى الشعبية، ولا بدّ، إذا اقتضت الحاجة، من العمل على تطهير وتثقيف الحسّ الدينيّ الذي يغذّي هذه العبادات وعلى تنمية معرفة سّر المسيح ولكنّ ممارستها تظلّ خاضعة لرعاية الأساقفة ورأيهم وللقواعد العامّة المرعيّة في الكنيسة.

"إنّ التقوى الشعبية هي، في الجوهر، مجموعة قيم مستمدّة من الحكمة المسيحية، تحاول الإجابة على المسائل الكبرى الكامنة في الوجود. الحسّ الفطري الشعبي، في الكنيسة الكاثوليكية، مؤهّل لأن يجد صيغاً تقويّة تتألفّ فيها عناصر الوجود. فهو يسوق معاً، بطريقة خلاقّة، الإلهيّ والبشريّ، المسيح والعذراء، الروح والجسد، الشركة والمؤسّسة، الشخص والجماعة، الإيمان والوطن، العقل والشعور. هذه الحكمة إنّما هي أنَسيّة مسيحية، تؤكّد، بطريقة جذرية، كرامة كلّ إنسان على أنّه ابن الله، وتقيم أخوّة أساسية، وتعلمّنا كيف نلتقي الطبيعة ونفهم معنى العمل، وتؤتينا دواعي للعيش في الفرح والبِ عشر، حتى وسط الملمّات. هذه الحكمة هي أيضاً للشعب مبدأ فطنة وتمييز، وحسٌّ إنجيليّ يساعده في أن يُدرك، بطريقة عفويّة، متى يحتلّ الإنجيل المقام الأوّل في الكنيسة، ومتى يفرَغ من محتواه وتطبِّق على منافسه مصالحُ أخرى".

بإيجاز

***1677**- أشباه الأسرار كناية عن علامات مقدسة وضعتها الكنيسة بهدف إعداد المؤمنين لقبول ثمرة الأسرار وتقديس مختلف ظروف الحياة.*

***1678**- تحتل البركات مكانا هاما بين أشباه الأسرار. وتتضمن البركةُ الإشادة بأعمال الله وعطاياه، وشفاعة الكنيسة ليتمكن الناس من أن يستعملوا مواهب الله بحسب روح الإنجيل.*

***1679**- الحياة المسيحية لا تتغذى فقط بالليتورجيا بل بأشكال متنوّعة من التقوى الشعبية تضرب جذورها في مختلف الحضارات. وتسعى الكنيسة، مع السهر على تنويرها بنور الإيمان، إلى تشجيع ما يعبر عن حسّ إنجيليّ وحكمة بشرية ويغني الحياة المسيحية من أشكال التقوى الشعبية.*

المقال الثاني

الجنّاز المسيحي

1680- كلُّ الأسرار ولا سيّما أسرار التنشئة المسيحية، هدفها البلوغ بالإنسان المُتبنى إلى الفصح الأخير الذي يولجه، عن طريق الموت، في حياة الملكوت. إذ ذاك يتمّ ما كان يُعترف به في الإيمان والرجاء، "أترجّى قيامة الموتى والحياة في الدّهر الآتي".

I. المسيحي وفصحه الأخير

1681- الموت، بمعناه المسيحي، ينكشف لنا في نور السرّ الفصحي، سِرِّ موت المسيح وقيامته، الذي عليه يرتكز رجاؤنا الوحيد. فالمسيحيّ الذي يموت في المسيح يسوع يهجر هذا الجسم ليقيم في جوار الرب.

1682- في اليوم الذي يموت المسيحيّ، تنتهي حياته الأسرارية، ويتمّ ميلاده الجديد الذي ابتدأ بالمعمودية، ويتحقّق "شَبَهه النهائي "بصورة الابن"، الشَبَه الذي نال بمسحة من الروح القدس، واشتراكه في وليمة الملكوت التي استبقها في الافخارستيا، حتى وإن بقيت عليه تنقيات لا بدّ منها ليلبس حلةّ العرس.

1683- إنّ الكنيسة التي حملت المسيحي سرّياً كالأمّ في أحشائها، طوال مسيرته الأرضية، ترافقه في نهاية طريقه، لتستودعه بين يدي الآب. وإنّها تقرّب للآب، في المسيح، ابن نعمته، وتَدفن، برجاء، في التراب، بذارَ الجسد الذي يقوم في المجد. هذه التقدمة تحتفل بها الكنيسة تمام الاحتفال في الذبيحة الافخارستيا. وأمّا البركات التي تسبقها فهي من قبل أشباه الأسرار.

II. الاحتفال بالجناز

1684- الجنّاز المسيحي هو احتفال ليتورجي كنسيّ وهدف الكنيسة، في إقامة هذه الخدمة، أن تعبّر عمّا يقوم من شركة حقيقيّة بينها وبين الميت، وأن تشترك أيضاً في الجنّاز الجماعة الملتئمة حول الميت، وتبشّ رها بالحياة الأبدية.

1685- الطقوس الجنائزّيّة على اختلافها تعبّر عمّا يتمّيّز به الموت المسيحي من طابع فصحيّ، وتلّبّي ظروف كلّ منطقة وتقاليدها، حتى في ما يتعلقّ باللون الليتورجي.

1686- تقترح رتبة الجنّازات في الليتورجيا الرومانية صيغاً ثلاثاً للاحتفال بالجناز، طبقاً للأمكنة الثلاثة التي يمكن أن تجري فيها المراسيم الجنائزية (البيت أو الكنيسة أو المقبرة)، وفقاً للأهمية التي تنيطها به الأسرة والعادات المحلّيّة والتقوى الشعبية. هذا الاحتفال له قاعدة مشتركة بين جميع التقاليد الليتورجية ويتضمّن أربع مراحل رئيسّيّة.

1687- استقبال الجماعة، يُفتتح الاحتفال بتحيّة إيمان. ثمّ يُستقبَل ذوو الفقيد بكلمة تعزية (والتعزية، بمفهومها في العهد الجديد، هي قوّة الروح القدس في الرجاء). وتنتظر الجماعة المصليّة على الفقيد، هي أيضاً، "كلمات في الحياة الأبدية". موت أحد أعضاء الجماعة (أو تذكاره السابع أو الثلاثون) إنّما هو من الأحداث التي يجب أن تتخطّى بنا آفاق "هذه الدنيا" وتجتذب المؤمنين إلى آفاق الإيمان الحقيقي بالمسيح الناهض.

1688- ليتورجيا الكلمة، وقت الجناز، تقتضي استعداداً دقيقاً باعتبار أنّ الجماعة الحاضرة قد تضمّ من المؤمنين من لا يتردّدون كثيرا على الليتورجيا، أو من أصدقاء الفقيد ليسوا على دينه. ولا بدّ، في العظة خصوصاً، "من تجنّب الأسلوب التقريظي"، والإطلالة على سرّ الموت المسيحّيّ، بشعاع المسيح الناهض من بين الأموات.

1689- الذبيحة الافخارستية عندما يُحتفَل بالجنّاز في الكنيسة، تكون الافخارستيا هي قلب الحقيقة الفصحّيّة الكامنة في واقع الموت المسيحّيّ. إذ ذاك تعّبّر الكنيسة عن ارتباطها الفاعل بالفقيد، فهي تقّرّب إلى الآب، في الروح القدس، ذبيحة موت المسيح وقيامته، وتطلب لابنه المسيحي التنقية من خطاياه وتبعاتها، وقبوله إلى مائدة الملكوت، في ملء الحقيقة الفصحية. بواسطة الافخارستيا المحتفَل بها على هذا الوجه، تتعلمّ جماعة المؤمنين، ولا سّيّما أسرة الفقيد، أن تعيش في الشركة مع "من رقد في الربّ"، وذلك بالاشتراك في جسد المسيح الذي هو فيه عضو حيّ، ثمّ بالصلاة لأجله ومعه.

1690- عندما تودّع الكنيسة الفقيد، "تستوعه الله". "إنّه الوداع الأخير الذي به تحيّي الجماعة المسيحية أحد أعضائها، قبل أن يوارى جسده القبر". ويعّبّر التقليد البيزنطي عن ذلك بقبلة الوداع للفقيد:

بهذه التحية الأخيرة: "نُنشد لنزوحه عن هذه الحياة ولفراقه، ولكنّنا نُنشد أيضاً لما هناك من شركة ورباط. فنحن لا نفترق بعضنا عن بعض، لأنّنا كلنّا نسير في طريق واحد وسنتلاقى في موضع واحد. لن نفترق أبداً لأنّنا نحيا في المسيح، ونحن الآن متّحدون بالمسيح، ذاهبون إليه وسنكون كلنّا معاً في المسيح".